دراسات مصطلحية

تأليف

أ. د. الشاهد البوشيخي

مدير معهد الدراسات المصطلحية
ورئيس وحدة القرآن والحديث والدراسات العليا
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب - ظهر المهراز - فاس



دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دراسات مصطلحية

وتشتمل على

- مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية .
- نظرات في المصطلح والمنهج .
- القرآن الكريم والدراسة المصطلحية .
- نظرات في قضية المصطلح العلمي في التراث .
- مصطلح الأمة بين الإقامة والتقويم والاستقامة .
- نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية .
- نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة .
- جهود معهد الدراسات المصطلحية في خدمة السنة المشرفة ؛ نموذج : مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية المعرَّفة .
- نظرات في تعريب العلوم الصحية وأهمية المصطلح الصحي في التراث .



تأليف

أ. د. الشاهد البوشيخي

مدير معهد الدراسات المصطلحية
ورئيس وحدة القرآن والحديث بالدراسات العليا
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب - ظهر المهراز - فاس

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

الطبعة الثانية
١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

البوشيخي ، الشاهد البوشيخي .
دراسات مصطلحية / تأليف الشاهد البوشيخي . - ط ١ -
القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ،
٢٠١١م .
٢٨٠ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٣ ٦٧ ٥٠٥٩ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - القرآن ، مصطلحات .
أ - العنوان .
٢٠٢, ٣

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عمر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

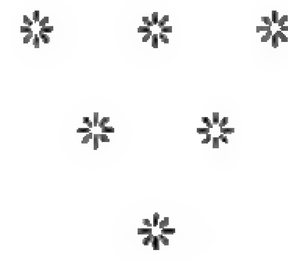
جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرع من شارع نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٢٦٣٩٨٦١ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلَّى اللَّه وسلَّم على سيدنا محمد وآله

ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم

فِهْرِسُ ٱلمُحتَوَيَاتِ



مشروع المعجم التاريخي
للمصطلحات العلمية

مُقَـدِّمَة

في صبيحة يوم الخميس (٢٠ نوفمبر ١٩٨٦م) كانت أول جلسة من جلسات « ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم » بكلية الآداب بفاس. ومما استمع إليه جمهورها الغفير، هذه الكلمات:

« إن مشكلة المنهج في دراسة مصطلحات النقد العربي وغيره من فنون ثقافتنا الأخرى، ينبغي أن تواجه من قِبل المصطلحيين بحزم.

وإن التنسيق بين مراكز البحث المصطلحي ينبغي أن يتم، وبأسرع ما يمكن، حفظًا لطاقات الأمة وأوقاتها وأموالها.

وإن الجهود الفردية والجماعية في ميدان المصطلح ينبغي أن تتقوى وتتكامل، لتصب في اتجاه واحد، هو تذليل **العقبة الكأداء: عقبة إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات؛** الذي هو خطوة من أهم الخُطا في الطريق إلى **المعجم التاريخي للغة العربية.**

وغني عن البيان أن أقول: إن إنجازنا لذلك المعجم سيؤدي إلى حل كثير من المعضلات في مختلف المستويات؛ ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا.

وغني عن البيان أن أقول أيضًا: **إن ذلك الإنجاز فوق طاقة الأفراد، فلتتأسس له مجموعات البحث في المصطلحات بكل الجامعات حسب التخصصات،** على غرار ما فعلت شعبة اللغة العربية وآدابها في العام الماضي بفاس ».

وفي عشية الأربعاء (٢٤ أكتوبر ٢٠٠١م)، كان جمهور ندوة « المعجم العربي » المنتقى، بمقر مجمع اللغة العربية الموقر، بدمشق، يستمع إلى هذا العرض المفصل عن « **مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية** » الذي ينشر اليوم.

وبين التاريخينِ ولد « معهد الدراسات المصطلحية » سنة (١٩٩٣م)، ولم يكن له مشروع إلا هذا المشروع. جاء في دليل المعهد (ص ٤)، تحت عنوان « مشروع المعهد » ما نصه:

« مشروع المعهد باختصار، هو العمل على إنجاز **المعجم التاريخي للمصطلحات العربية،** وفق خطة علمية منهجية متكاملة؛ تُرَشَّدُ فيها المناهج، وتُحَدَّثُ فيها الوسائل، وتُكَثَّفُ

فيها الجهود، وتُوجَّهُ فيها الطاقات، وتُنَسَّقُ فيها الأعمال، « لتصب في اتجاه واحد. هو تذليل العقبة الكأداء: عقبة إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات، الذي هو خطوة من أهم الخُطا في الطريق إلى المعجم التاريخي للغة العربية ».

وبولادة المعهد بدأ السير، فكانت خطة إنجاز **المرحلة الأولى من المشروع**، هي موضوع المدارسة العلمية الأولى للمعهد، وتلك التي قدم ورقتها مدير المعهد بعنوان « **مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية المعرَّفة** » يوم السبت (٢٠ شعبان ١٤١٥هـ) الموافق (٢١ يناير ١٩٩٥م).

ثم حميت الجهود وتتابعت، خادمة للمشروع؛ فكانت الندوات، والأيام الدراسية، والدورات التدريبية، ومجموعات البحث، بعدد من الجامعات. مما هو مفصل، أو مشار إليه في دليل المعهد الأخير (٢٠٠١م).

ولكن العرض الجامع المفصل للمشروع لم يتم إلا في هذا العرض الذي ينشر اليوم.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وحرر بفاس في (٩ محرم الحرام ١٤٢٣هـ)

الشاهد البوشيخي

غفر الله تعالى له

١
بيان المراد من « المشروع »

العنوان مركب من عنصرين كبيرين هما: « **المعجم التاريخي** » و « **المصطلحات العلمية** » ولا بد لبيان المراد من المركب منهما مِن بيانهما، **فما المقصود بهما؟**

(١/١) مفهوم المعجم التاريخي:

يقصد بـ « **المعجم التاريخي** » ذلك المعجم الذي يؤرخ لحياة الألفاظ التي يتضمنها، منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها أو موتها؛ متتبعًا التطور الذي طرأ عليها، ولا سيما الدلالي (اتساعًا وضيقًا، واستقرارًا واضطرابًا) والاستعمالي (كثرةً وقلةً، ومكانًا وزمانًا وميدانًا).

وغني عن البيان أنه **معجم** أولًا؛ فيه ما في المعاجم من مقومات المعجمية شكلًا ومضمونًا، ثم **تاريخي** ثانيًا.

(٢/١) مفهوم المصطلحات العلمية:

ويقصد بـ « **المصطلحات العلمية** » تلك الألفاظ التي تسمي مفاهيمَ معينة، في أي علم من العلوم، بأصنافها الثلاثة: العلوم الشرعية، والعلوم الإنسانية، والعلوم المادية؛ في أي عصر من الأعصار، وفي أي مصر من الأمصار، ولدى أي اتجاه من الاتجاهات، وفي أي تخصص من التخصصات.

وغني عن البيان أن **المصطلحية** هنا تصدق على اللفظ في أي مرحلة من مراحل حياته المصطلحية، منذ الاقتراح حتى الاستقرار [١].

وغني عن البيان أيضًا أن **العلمية** هنا لا تعني النسبة إلى العلم الذي خصصت له - تمييزًا له - « كليات العلوم » في العصر الحديث [٢].

(٣/١) مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية:

وعليه، فالمقصود بالمعجم التاريخي للمصطلحات العلمية في لغتنا وحضارتنا - **هو ذلك**

---

(١) ن: مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين (ص ٥٧).

(٢) ن: ورقات في المسألة العلمية (ص ٣٤).

العمل العلمي الجامع لكل الألفاظ التي تسمي مفاهيم في أي علم، مرتبة المباني ترتيبًا معجميًّا، لتيسير الوصول إليها، معروضة المعاني عرضًا تاريخيًّا، لرصد التطور الدلالي والاستعمالي الذي طرأ عليها، منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها.

فخرج بقيد « **العلمية** »، كل الأعمال غير العلمية التي قد يكون ضررها أكثر من نفعها. وما أملأ الأسواق بالأعمال التجارية التي تحرص على السبق بغير حق!

وخرج بقيد « **الجامع لكل الألفاظ التي تسمي مفاهيم** »، غير الجامع الذي يذكر بعضًا ويترك بعضًا؛ فيجعل التصور للواقع مبتورًا، والدلالة ناقصة؛ إذ « **ليست المصطلحات مفاتيح العلوم فحسب، بل هي خلاصة البحث فيها كل عصر ومصر؛ ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم وفي تطورها يتلخص تطور العلم** »[(١)].

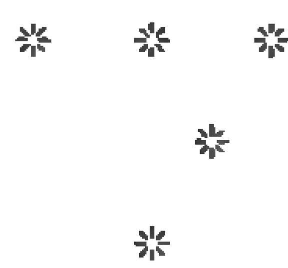
كما خرج به كل الألفاظ التي ليست بمصطلحات.

وخرج بقيد « **أي علم عرفه تاريخنا** »، المقتصر على مصطلحات علم أو علوم، غير الشامل لمصطلحات كل العلوم في تاريخنا. وفيه - على أهميته - من القصور ما لا يخفى.

وخرج بقيد « **مرتبة ترتيبًا معجميًّا** »، كل ما ليس بمرتب، أو مرتب ترتيبًا ليس بمعجمي. وفي ذلك ما فيه من العنت والعسر.

وخرج بقيد « **معروضة المعاني عرضًا تاريخيًّا** »، كل ما ليس كذلك. وهذا أهم قيد وأخص قيد، وهو في الموجود المتداول أفقد قيد. وبانعدامه ينعدم الوجود لهذا المعجم، ويفوت منه المقصود.

وبما أن مثل هذا العمل العلمي الشامل هو عادة فوق طاقة الأفراد، **ويحتاج في تخطيطه المنهجي، وتنفيذه العلمي، إلى جهود وجهود** من ذوي التفكير السديد، والتدبير الرشيد، والصبر المديد... فقد صار عبارة عن مشروع من المشاريع. ولكل مشروع موجبات للبحث فيه، وأهداف، ووسائل، ومراحل، يتطلبها السير - على بصيرة - فيه.



(١) مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ (ص ١٣).

٢
موجبات البحث في « المشروع »

لا جرم أن موجبات البحث في مثل هذا المشروع كثيرة ومتنوعة، **ولكن أهمها ثلاثة:**

(١/٢) الموجب اللغوي:

وأساسه الحاجة الماسة إلى معرفة تاريخ الألفاظ في اللغة العربية؛ إذ اللغة بنت الاستعمال. وكل مستعمل لا بد أن يضمّن ألفاظه رؤيته. و « لكل قوم ألفاظ » (١)، و « لكل صناعة ألفاظ » (٢)، والأقوام يتطورون، والصناعات تتطور. ولا يكاد يختلف المعجم الخاص في ذلك - عند النظر إليه متحركًا في التاريخ - عن المعجم العام. فوجب، رصدًا لذلك التطور، التتبعُ التاريخي للألفاظ دلالةً واستعمالًا، في كل الأعصار والأمصار، ولدى كل الاتجاهات والبيئات، لتؤدي اللغة وظيفتها الطبيعية في التواصل، وليفقه اللاحق مقالة السابق، دون ظلم ولا هضم.

صحيح أن ذلك لا يقوم على وجهه الصحيح، شمولًا وكمالًا، إلا بإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية جمْلة، لكن من يدعي أن إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية ليس بأهم خطوة في الاتجاه الصحيح؟

(٢/٢) الموجب العلمي:

وهو أظهر من أن ينبه عليه؛ لحاجة العلوم كلها في تاريخنا الطويل العريض إلى تاريخ أمين دقيق؛ تاريخ ينطلق واصفًا الجزئيات، ثم يتدرج راصدًا التطورات، ثم يقف مستخلصًا الكليات؛ تاريخ يقوم على النصوص الموثقة، والمصطلحات المدققة، والفهوم الممحصة المحققة؛ تاريخ يقام فيه لكل علم عموده، وتضبط فيه لكل علم حدوده، ويتبلور فيه لنسق كل علم وجوده؛ تاريخ يتحدد به الرصيد، ويعرف به القديم من الجديد، ويكون حجر الأساس لكل بناء جديد. إنه التاريخ المنتظر للعلوم في تاريخنا الطويل العريض، ولا سبيل إليه قبل المعجم المفتاح، وبغير المعجم المفتاح: المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية. فهل يستجيب العلماء في هذه الأمة لهذا التحدي؟

---

(١) الحيوان للجاحظ (٣/٣٦٦).

(٢) الحيوان للجاحظ (٣/٣٦٨).

(٣/٢) الموجب الحضاري:

إن الأمة اليوم في مرحلة اختبار واختمار؛ اختبار لقدرتها على البقاء مع شدة البلاء، واختمار لقدرتها على تحمل البلاء من أجل البقاء. ولن يعينها في الاختبار وعلى الاختمار مثل العلم؛ تستوعب ما كان منه، وما هو كائن، لتؤسس ما ينبغي أن يكون.

إن التحدي الحضاري الحالي للأمة يهددها تهديدًا حقيقيًّا بالفناء، وإن التصدي الحضاري المكافئ له لن يكون بغير إعادة بناء الذات، ولا سبيل إلى إعادة بناء الذات بغير الانطلاق من التراث، ولا سبيل بغير مفتاحه الذي هو المصطلحات.

وبما أن التراث ممتد في الزمان والمكان والإنسان، فإن ضرورة فهمه - على سعته - من أجل الاستيعاب، فالتقويم، فالتوظيف، تقتضي إيجاد معجم تاريخي شامل كامل لمفاتيحه التي هي المصطلحات.

فإذا أضيف إلى ذلك أن هذا التراث - وإن قرئ مرات - لما يقرأ بعين الذات، مما دعا إلى المناداة بضرورة القراءة الثالثة للتراث، تخليصًا له من آثار النظارات الزرقاء لغرب الغرب، وآثار النظارات الحمراء لشرق الغرب [1]...

إذا أضيف ذلك، تأكدت ضرورة هذا المعجم الحضارية، وتأكد وجوب إنجازه السريع للبناء، والشروع في مشروعه، تقوية للقدرة على البقاء وتحمل البلاء.

* *
*
*

(١) ن: نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين (ص ٥، ٦).

٣
أهداف « المشروع »

للمشروع ضربان من الأهداف: **قريبة** حسية ظاهرة الأثر، **وبعيدة** معنوية عميقة الأثر.

(١/٣) الأهداف القريبة:

فأما القريبة **فثلاثة** على التوالي:

(١/١/٣) إيجاد معجم تاريخي للمصطلحات العلمية المعرّفة:

و « نقصد بالمصطلحات العلمية المعرّفة: كل الألفاظ العربية الاصطلاحية التي تم شرحها ضربًا من الشرح، في أي تخصص من التخصصات العلمية، وفي أي قرن من قرون ثقافتنا.

ونقصد بالمعجم التاريخي لها: نسقها - بعد جمعها مع شروحها - نسقًا تاريخيًّا يقدم فيه السابق على اللاحق... (نسقًا يتضمن) جميع شروح... المصطلح مذ ظهر أول شرح له... حتى آخر شرح، موثقة محققة قدر الإمكان » (١).

والهدف من هذا الهدف هو « جمع جهود العلماء السابقين في مجال بيان المراد من الألفاظ الاصطلاحية في مختلف العلوم، ووضعها رهن إشارة الدارسين المصطلحيين للاستفادة منها بكل ضروب الاستفادة، ولدراستها أيضًا بكل أنواع الدراسة، وللبناء عليها فيما هو آتٍ » (٢) من أمر إنجاز المعجم العام الشامل موضوع العرض.

وهذا الهدف، على قربه وصغره، بعيد المقاصد، كبير الفوائد.

(٢/١/٣) إيجاد معجم تاريخي لمصطلحات كل علم:

مثل المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية، أو اللغوية، أو النقدية، أو غير ذلك. ويشتمل على جميع مصطلحات ذلك العلم: المعرّف منها وغير المعرّف، مصنفة معجميًّا، ومدروسة الدراسة المصطلحية التاريخية (٣)، بعد الدراسة الوصفية (٤).

---

(١) المدارسة الأولى للمعهد (ص ٤، ٥).

(٢) المصدر السابق (ص ٤).

(٣، ٤) ن: مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم، ضمن ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم (ص ٢٤ - ٢٧).

وبظهور مثل هذه المعاجم الخاصة بكل علم، يظهر المفتاح التاريخي الخاص لكل علم، فينفتح باب القراءة الصحيحة لأي مؤلَّف (بفتح اللام)، أو مؤلِّف (بكسر اللام)، أو مدرسة، أو اتجاه... في أي علم، فيُتخلص من كثير من الأخطاء القديمة والجديدة في الفهم، وما ينبني عليها من اختلافات أو اضطرابات في الحكم.

(٣/١/٣) إيجاد معجم تاريخي شامل لمصطلحات كل العلوم:

وهو المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية موضوع العرض، ويمثل البحر الذي تصب فيه جميع الأنهار السابقة ممزوجة في كل مادة من مواده؛ ففي مادة (ن. ق. د) مثلًا: النقد لدى المحدثين، والنقد لدى الأدباء، والنقد لدى الفقهاء... وهكذا في كل مصطلح. ولا حاجة - بعد ما تقدم - للتفصيل في هذا المعجم.

(٢/٣) الأهداف البعيدة:

وأما الأهداف البعيدة **فهدفان:**

(١/٢/٣) فهم التراث:

والذي يعنينا منه ها هنا، هو التراث العلمي - بالمفهوم العام للعلم - وهو مجموع ما ورثناه من العلم عن الآباء. وأنفس ما فيه هو الوحي: كتابًا وسنة، ثم عطاء العلوم المستنبطة منه، أو الخادمة له، أو المتأثرة به، عبر القرون؛ من علوم شرعية، أو إنسانية، أو مادية. ثم يأتي من بعد ذلك ما بعد ذلك وما دون ذلك، ممّا تتبرأ منه روح التراث، وقيم التراث، ولغة التراث؛ من دخيل قديم، وغازٍ جديد، لا صلة له بالتراث إلا أنه من الميراث.

والتراث، بسبب الجمود القديم أو الجحود الجديد، قد حيل بينه وبين نابتة الأمة. ولم تزده القراءات المتكررة له من الخارج إلا بعدًا عنها، فوجب اتخاذ سبيل للقراءة من الداخل، وهذه السبيل هي الدراسة المصطلحية الوصفية فالتاريخية للمصطلحات العلمية في تراثنا والتي يجلي ثمرتها وخلاصتها « المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية ».

« إن تراثنا هو ذاتنا؛ إذ المستقبل غيب، والحاضر - علميًا - لا وجود له، فلم يبق إلا الماضي الذي هو مستودع الذات وخزان الممتلكات، بما لها وما عليها من ملحوظات وملاحظات. فكيف نعرف إذن الذات إذا لم نفقه التراث؟

وإن مفتاح التراث هو المصطلحات، وإنما تؤتى البيوت من أبوابها، وأبواب كل علم مصطلحاته...

وإن مفتاح المفتاح هو الدراسة المصطلحية للمصطلحات؛ ذلك بأنها تعرِّف غير المعرَّف، وهو الأغلب، وتدقق تعريف ما عرِّف فلم يعرَّف، وهو الأقل، وتصحح أخطاء أصحاب النظارات الملونة، أو الذين يدرسون التراث بالطائرة، أو الذين لا يقوم منهجهم على الإحصاء، فتند عنهم أشياء وأشياء » [1].

(٢/٢/٣) تجديد بناء الذات:

وأول التجديد قتل القديم فهمًا كما قيل، وذلك هو ما تقدم في « فهم التراث »، وإنما يدرس التراث للبناء به وعليه فيما هو آتٍ؛ ذلك بأن الأمة وهي تجتاز مرحلة الاختبار والاختمار، محاولة استئناف السير في اتجاه الشهود الحضاري الواجب عليها للشهادة على الناس، تحتاج أول ما تحتاج، إلى تحديد عناصر القوة في ذاتها لتفعيلها، ومعرفة مقدار ذخيرتها ونوعها لتوظيفها والاستفادة منها في بابها وإبانها، وتعرُّف وجوه النقص والقصور فيها لتكميلها. وكل ذلك يتيسر بعد فهم التراث وتقويمه، والمفتاح الفاتح لكل ذلك هو « المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية ».

إن هذا المعجم ليس هو النهاية وإنما هو البداية؛ به تبدأ المراجعة لمصطلح الماضي، وبنتائجه تبدأ المواجهة لمصطلح الحاضر، وعلى أساسه يتم ما هو أهم من ذلك، وهو بناء مصطلح الغد؛ ذلك المصطلح الذي تتلخص علاقته بمستقبل الذات في ثلاث:

١ - **ضرورة الإبداع المصطلحي لبناء ذات المستقبل أو مستقبل الذات**، ولا إبداع مصطلحي بغير الإبداع العلمي، وإنما يسمى مَن ولد، ولا ولادة طبيعية بغير أبوين: اللغة الأم، والتراث الأب، ومن شذ، شذ في الضياع، وإنما يأكل ذئب التاريخ من اجتهادات الأم القاصية.

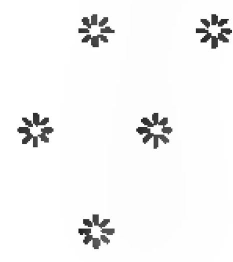
٢ - **ضرورة الاستقلال المصطلحي** لحوار الذات لغير الذات، ولا استقلال للمصطلح بغير استقلال مفهومه...

٣ - **ضرورة التفوق المصطلحي** كيفًا وكمًّا، لشهود الذات على غير الذات، ولا تفوق

---

(١) نظرات في المسألة المصطلحية ضمن أعمال مؤتمر « قضايا المصطلح » (ص ١٠٦).

للمصطلح بغير تفوق أهله، وإن السماء لا تمطر تفوقًا ولا إمامة حضارية، بل لا بد من السبق في عالم الأسباب، وإتيان البيوت من الأبواب [1].



(١) نظرات في المسألة المصطلحية، ضمن أعمال مؤتمر « قضايا المصطلح » (ص ١٠٧، ١٠٨).

٤
مراحل « المشروع »

المراحل الكبرى لإنجاز المشروع **ثلاث:**

(٤/١) مرحلة المصطلح المعرَّف:

والمقصود بها تلك المرحلة التي يركز فيها على تحقيق الهدف القريب الأول، وهو: إيجاد معجم تاريخي للمصطلحات العلمية المعرفة. وأهم مراحلها الصغرى ثلاث:

(٤/١/١) مرحلة الجمع والتوثيق:

« وفيها يتم التقصي لجميع المصطلحات المعرفة ضربًا من التعريف، في جميع المظان، بدءًا بالأقدم فالأقدم، والأغزر مادةً فالأغزر، والأوثق نصًّا فالأوثق »[١]؛ تجمع، وتوثق في جذاذات خاصة مصممة لهذا الغرض، لتسهيل التصنيف بعد.

(٤/١/٢) مرحلة المراجعة والتدقيق:

وفيها يتم التأكد من صحة المعلومات وتمامها وصحة تصنيفها... يدويًا وحاسوبيًا ما أمكن.

(٤/١/٣) مرحلة التصنيف والتأليف:

وفيها يتم تصنيف جميع ما جمع تصنيفًا تاريخيًا، لإبراز الاهتمام به عبر التاريخ، ثم حسب كل علم، لإيجاد المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية المعرَّفة لذلك العلم، ثم تؤلف المعاجم كلها في معجم جامع هو المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية المعرَّفة. وبتأليفه تكون المرحلة الأولى من مراحل المشروع قد انتهت لينتقل إلى المرحلة الثانية:

(٤/٢) مرحلة المصطلح غير المعرَّف:

والمقصود بها تلك المرحلة التي يركز فيها على تحقيق الهدف القريب الثاني، وهو إيجاد معجم تاريخي لمصطلحات كل علم على حدة. وبما أن المصطلح غير المعرّف أكثر بكثير من المعرّف، فقد سميت المرحلة باسمه. وأهم مراحلها الصغرى ثلاث:

---

(١) المدارسة الأولى للمعهد (ص ٥).

(١/٢/٤) مرحلة الدراسة الوصفية لمصطلحات كل علم، بأركانها وشروطها المفصلة في منهج الدراسة المصطلحية [١]:

وهذه المرحلة طويلة شاقة إلا على من يسرها اللّه تعالى عليه؛ لاقتضائها دراسة مصطلحات كل مؤلِّف على حدة، أو بعضها، وأحيانًا دراسة مصطلحات الكتاب الواحد، أو بعضها. وما أكثر المؤلَّفات والمؤلفين في كل تخصص! وما أقل الباحثين والباحثات في المصطلح!

(٢/٢/٤) مرحلة الدراسة التاريخية لمصطلحات كل علم بشروطها المشار إليها في منهج الدراسة المصطلحية [٢]:

وهذه المرحلة لا تكاد تقل مشقة عن سابقتها؛ لاقتضائها رصد التطور في كل مصطلح، منذ تطوره المحتمل لدى المؤلِّف الواحد في تراثه، حتى مجموع تراث التخصص على امتداده. وكل إخلال في المرحلة الوصفية ينتج عنه خلل في المرحلة التاريخية. والأصل استدراك المؤرخ على الواصف، ولكن أنى ذلك إلا لمن آتاه اللّه تعالى علمًا وفهمًا. وقليل ما هم!

(٣/٢/٤) مرحلة تأليف المعجم التاريخي لمصطلحات كل علم:

وهو الثمرة الطبيعية للدراستين السابقتين: الوصفية والتاريخية؛ يجتمع فيه ما افترق فيهما، وقد يوجد فيه ما لا يوجد فيهما، أو العكس.

وبتأليفه تنتهي المرحلة الثانية من مراحل المشروع، لينتقل إلى المرحلة الثالثة:

(٣/٤) مرحلة المعجم الشامل:

والمقصود بها تلك المرحلة التي يتركز فيها العمل على تحقيق الهدف القريب الثالث، وهو إيجاد معجم تاريخي شامل لمصطلحات كل العلوم. وهو المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية موضوع العرض. وأهم مراحلها الصغرى ثلاث:

(١/٣/٤) مرحلة تصنيف مادة المعاجم الخاصة بكل علم كلها، حسب الألفاظ

---

(١) ن: الوسيلة المنهجية، فيما يلي من البحث.

(٢) ن: مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم، ضمن ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم (ص ٢٥).

الاصطلاحية، وإدماجها بنظام معجمي تاريخي معين، ييسر الوصول إلى المراد بيسر، داخل كل مدخل معجمي.

(٢/٣/٤) **مرحلة تأليف ما صنف في صورة معجم تاريخي جامع** لكل مصطلحات العلوم، من الألف إلى الياء.

(٣/٣/٤) **تكشيف المعجم كله تكشيفًا تامًّا**، يجعل الانتفاع بما فيه في غاية اليسر.

وبهذا التكشيف تنتهي المرحلة الأخيرة من مراحل المشروع، وبانتهائها ينتهي إنجاز المشروع كله، ولا يبقى بعد ذلك إلا النشر الجيد له والتوزيع الجيد.

* * *
*
*

٥
وسائل « المشروع »

لإنجاز المشروع وسائل متعددة **أبرزها ثلاث:**

(٥/١) الوسيلة العلمية:

والمقصود بها جمهرة الباحثين الذين ينجز بهم المشروع. ولا شك أنهم سيتدرجون من الكثرة إلى القلة انطلاقًا من المرحلة الأولى التي تتطلب الكثير منهم.

ومن شروط الباحث في المرحلة الأولى:

١ - الاختصاص في العلم الذي يسهم في جمع مصطلحاته المعرفة، وإلا أخرج ما حقه الإدخال، وأدخل ما حقه الإخراج.

٢ - الأمانة في الجمع والنقل، وإلا فات المعجم بسببه ما لا ينبغي أن يفوت، ونقل إليه ما لا ينبغي أن ينقل.

٣ - الضبط في التوثيق والمراجعة والتدقيق، وإلا اهتزت القيمة العلمية للمعجم كله.

٤ - القدرة على تصنيف المؤتلف والمختلف، ولا سيما في من يكلف بآخر المرحلة.

ومن شروط الباحث في المرحلة الثانية، زيادة على ما تقدم:

١ - الكفاءة المنهجية في الدراسة المصطلحية، سواء أكان ذلك بسبب خبرة في البحث سابقة، أم بدربة كافية عليه لاحقة، وإلا بقي المعجم أملًا لا سبيل إلى تحقيقه.

٢ - الكفاءة في الصناعة المعجمية، ولا سيما في من يكلف بآخر المرحلة.

ومن شروط الباحث في المرحلة الثالثة، زيادة على ما تقدم:

- المشاركة في عدد من العلوم؛ لأن المعجم، بطبيعته في صورته الأخيرة، ملتقى للعلوم.

هذه أهم صفات الباحث في المشروع، وبقوتها تقوى « **علمية** » المشروع، وبضعفها تضعف « **علمية** » المشروع.

ولأهمية هذا النوع من الباحثين وقلته يلزم:

١ - الاصطفاء للأقوياء الأمناء منهم.

٢ – التكوين العلمي والمنهجي اللازم لهم.

٣ – التدريب على نوع العمل في المشروع، قبل الشروع منهم.

(٢/٥) الوسيلة المنهجية:

والمقصود بها الأداة المنهجية اللازمة لإنجاز المشروع، وهي أساسًا منهج الدراسة المصطلحية بالمفهوم الخاص، الذي تقدم شرط الكفاءة فيه في كل باحث في المشروع، ابتداء من المرحلة الثانية. ويمكن تلخيص معالمه الكبرى في خمسة أركان:

(١/٢/٥) الإحصاء:

« ويقصد به الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس »[1].

(٢/٢/٥) الدراسة المعجمية:

ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

(٣/٢/٥) الدراسة النصية:

ويقصد بها دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه؛ من صفات، وعلاقات، وضمائم، وغير ذلك. وهذا الركن هو عمود منهج الدراسة المصطلحية: ما قبله يمهد له، وما بعده يستمد منه.

(٤/٢/٥) الدراسة المفهومية:

ويقصد بها دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفًا مفهوميًا يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس.

(٥/٢/٥) العرض المصطلحي:

ويقصد به الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها. وهو الركن الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره. وجماع القول فيه – حسب ما انتهت إليه التجربة – أن يكون متضمنًا للعناصر الكبرى التالية على الترتيب:

---

(١) ن: نظرات في منهج الدراسة المصطلحية ومدى اهتمام إمام الحرمين الجويني به في كتابه « الكافية » (ص ٧).

٥/٢/٥/١ – التعريف.

٥/٢/٥/٢ – الصفات.

٥/٢/٥/٣ – العلاقات.

٥/٢/٥/٤ – الضمائم.

٥/٢/٥/٥ – المشتقات.

٥/٢/٥/٦ – القضايا.

وفي الملحق بهذا العرض، يوجد تفصيل هذا الإجمال. فلينظر آخره.

(٥/٣) الوسيلة الإدارية:

والمقصود بها جهاز التسيير والإشراف على المشروع جملة. وحسب التجربة المتواضعة لمعهد الدراسات المصطلحية يمكن تصور الجهاز بإجمال هكذا:

(٥/٣/١) هيئة الإشراف:

وهي الحاملة لهم المشروع، المستوعبة أكثر من غيرها لتصوره، الموجهة للعاملين فيه، الباحثة عما يلزم لتمويله، المتابعة له من أوله إلى آخره.

(٥/٣/٢) لجن التنسيق:

وهي التي تتولى التنسيق بين جهود مجموعات البحث في المعاجم التاريخية لمصطلحات مختلف العلوم – كل لجنة بمعجم – تحت إشراف هيئة الإشراف.

(٥/٣/٣) مجموعات البحث:

وهي التي تتولى مباشرةَ البحثِ في معجم من المعاجم؛ باختيار الباحثين فيه، وتكوينهم، وتدريبهم، ومتابعتهم، بتنسيق مع لجن التنسيق، وإشراف من هيئة الإشراف.

هذا وفي الطريق عوائق، على رأسها معضلة النص [١].

وفي الطريق عقبات، على رأسها عقبة التمويل، وعقبة التنسيق.

وفي الطريق مشاق وصعوبات، على رأسها ندرة الخبير، وقلة النصير، وطول المسير.

---

(١) ن: البحث العلمي في التراث ومعضلة النص (ص ٥ – ١٢).

لكن لا بد من السير، وإن مع وجود العائق، لتجاوز العائق.
ولا بد من السير، وإن مع وجود العقبات، باقتحام العقبات.
ولا بد من السير، وإن مع تحدي المشاق والصعوبات، بتحمل المشاق والصعوبات.
وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء. ومن سار على الدرب وصل.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فاس في شهر رجب الفرد (١٤٢٢هـ)

٦

ملحق
معالم « منهج الدراسة المصطلحية »

للمنهج في الدراسة المصطلحية مفهومان: **عام وخاص.**

– **فالمنهج بالمفهوم العام،** هو طريقة البحث المهيمنة المؤطرة للمجهود البحثي المصطلحي كله، القائمة على رؤية معينة في التحليل والتعليل والهدف. وهذا الذي يوصف بالوصفي أو التاريخي أو ما أشبه، تمييزًا له عن غيره.

– **والمنهج بالمفهوم الخاص،** هو طريقة البحث المفصلة المطبقة على كل مصطلح من المصطلحات المدروسة، في إطار منهج من مناهج الدراسة المصطلحية بالمفهوم العام. وهذا الذي يمكن تلخيص معالمه الكبرى بإيجاز شديد، منذ الشروع فيه حتى الفراغ منه، في خمسة أركان:

١ – **الإحصاء:**

ويقصد به الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس، وما يتصل به، لفظًا ومفهومًا وقضية، في المتن المدروس، **وذلك يعني:**

أ – إحصاء لفظ المصطلح إحصاء تامًّا، حيثما ورد، وكيفما ورد، وبأي معنىً ورد، في المتن المدروس، ما دام قدر من الاصطلاحية، داخل مجاله العلمي الخاص، ملحوظًا فيه؛ فالمصطلح مفردًا أو مجموعًا، معرفًا أو منكرًا، اسمًا أو فعلًا، مضمومًا إلى غيره أو مضمومًا إليه غيره، كل ذلك ضروري المراعاة عند الإحصاء.

ب – إحصاء الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من جذره اللغوي والمفهومي إحصاء تامًّا كذلك، على التفصيل نفسه.

جـ – إحصاء التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح أو بعضه دون لفظه، إحصاء تامًّا كذلك.

د – إحصاء القضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه، وإن لم يرد بها لفظه.

فإذا استُخلصت النصوص، وصُنفت حسب حاجة الدراسة، التصنيف الأولي، أمكن الانتقال إلى الركن الثاني:

٢ - الدراسة المعجمية:

ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية؛ فالاصطلاحية دراسة تبتدئ من أقدمها مسجلة أهم ما فيه، وتنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف، دراسة تضع نصب عينيها علام مدار المادة اللغوية للمصطلح، ومن أي المعاني اللغوية أخذ المصطلح، وبأي الشروح شرح المصطلح؛ وذلك لتمهيد الطريق إلى فقه المصطلح وتذوقه، وليسهل تصحيح الأخطاء التي قد يكون جلبها الإحصاء.

٣ - الدراسة النصية:

ويقصد بها دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه؛ من صفات وعلاقات، وضمائم، وغير ذلك.

وهذا الركن هو عمود منهج الدراسة المصطلحية: ما قبله يمهد له، وما بعده يستمد منه؛ إذا أحسن فيه بوركت النتائج وزكت الثمار، وإذا أسيء فيه، لم تفض الدراسة إلى شيء يذكر. ومدار الإحسان فيه على الفهم السليم العميق للمصطلح في كل نص، والاستنباط الصحيح الدقيق لكل ما يمكن استنباطه مما يتعلق بالمصطلح في كل نص. فالنصوص ها هنا هي المادة الخام التي يجب أن « تعالج » داخل مختبر التحليلات بكل الأدوات والإمكانات، لتقطر منها المعلومات المصطلحية تقطيرًا، وتستخرج استخراجًا؛ فمعطيات الإحصاء، ومعطيات المعاجم، ومعطيات تحليل الخطاب المقالية والمقامية معًا، ومعطيات المعارف داخل التخصص وخارجه، ومعطيات المنهج الخاص والعام، النظري والعملي - كل أولئك ضروري المراعاة عند التفهم، وكل ذلك مما به يتمكن من المفهوم وما يجلي المفهوم.

٤ - الدراسة المفهومية:

ويقصد بها دراسة النتائج التي فُهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفًا مفهوميًا يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس:

من تعريف له يحدده؛ بتضمنه كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم، وصفات له تخصه؛ كالتصنيف في الجهاز، والموقع في النسق، والضيق أو الاتساع في المحتوى، والقوة أو الضعف في الاصطلاحية، والنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب.

– وعلاقات له تربطه بغيره كالمرادفات والأضداد وما إليها، والأصول والفروع وما إليها.

– وضمائم إليه تكثر نسله وتحدد توجهات نموه الداخلي، كضمائم الإضافات والأوصاف..

– ومشتقات حوله من مادته تحمي ظهره، وتبين امتدادات نموه الخارجي.

– وقضايا ترتبط به أو يرتبط بها « مما لا يمكن التمكن منه إلا بعد التمكن منها؛ كالأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير... وغير ذلك مما قد يستلزمه تفهم مفهوم، ولا يستلزمه تفهم آخر » [(١)].

وهذه الشجرة المفهومية الوارفة الظلال، الزكية الغلال في أغلب الأحوال هي التي يجب أن تُجَلّى بعرضها في الركن الخامس على أحسن حال.

٥ – العرض المصطلحي:

ويقصد به الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها. وهو الركن الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره. وجماع القول فيه حسب ما انتهت إليه التجربة أن يكون متضمنًا للعناصر الكبرى التالية على الترتيب:

١ – التعريف:

ويتضمن:

– **المعنى اللغوي**، ولا سيما الذي يترجح أن منه أُخِذَ المعنى الاصطلاحي.

– **المعنى الاصطلاحي العام** في الاختصاص، ولا سيما الأقرب إلى مفهوم المصطلح المدروس.

---

(١) نحو منهج لدراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية للشاهد البوشيخي (مرقون) (ص ٦). عرض ألقي في ندوة القرآن المجيد وخطابه العالمي التي نظمتها كلية الآداب بأكادير، بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن أيام (١٤ – ١٤١٨/١/١٩هـ) موافق (٢١ – ١٩٩٧/٥/٢٦م).

- **مفهوم المصطلح المدروس** معبرًا عنه بأدق لفظ، وأوضح لفظ، وأجمع لفظ، ما أمكن.

وشرطه المطابقة للمصطلح، وضابطه أنه لو وضعت عبارة التعريف مكان المصطلح المعرَّف في الكلام لانسجم الكلام. وإنما ينضبط ذلك إذا راعى الدارس في تعريف المفهوم كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم، المستفادة من جميع نصوص المصطلح وما يتعلق به في المتن المدروس؛ فلا تبقى خاصة دون إظهار، ولا ميزة دون اعتبار.

وللتأكد من صحة التعريف وزيادة بيانه، يحلل بالتفصيل المناسب إلى كل عناصره. ومع كل مقال مثال، وإنما يتضح المقال بالمثال.

فإذا تم التعريف، وهو اللب والنواة، بدأ الحديث عن الصفات، وهي اللُّحمة والكسوة.

٢ - الصفات:

وتتضمن:

- **الصفات المصنِّفة:** وهي الخصائص التي تحدد طبيعة وجود المصطلح في الجهاز المصطلحي موضوع الدراسة؛ كالوظيفة التي يؤديها، والموقع الذي يحتله، وغير ذلك.

- **الصفات المبينة:** وهي الخصائص التي تحدد درجة الاتساع أو الضيق في محتوى المصطلح، ومدى القوة أو الضعف في اصطلاحية المصطلح وغير ذلك.

- **الصفات الحاكمة:** وهي الصفات التي تفيد حكمًا على المصطلح؛ كالنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب، وغير ذلك.

فإذا تمت الصفات الخاصة بالذات، بدأ الحديث عن العلاقات بغير الذات، مما يأتلف مع المصطلح ضربًا من الائتلاف، أو يختلف معه ضربًا من الاختلاف.

٣ - العلاقات:

وتتضمن:

كل علاقة للمصطلح المدروس، بغيره من المصطلحات، ولا سيما **العلاقات الثلاثة:**

- **علاقات الائتلاف؛** كالترادف والتعاطف وغيرها.

- **علاقات الاختلاف؛** كالتضاد والتخالف وغيرها.

- **علاقات التداخل والتكامل؛** كالعموم والخصوص، والأصل والفرع، وغيرها.

فإذا ضبطت العلاقات الواصلة للمصطلح بسواه، والفاصلة له عن سواه، أمكن الانتقال إلى ما ضم إلى المصطلح، أو ضم إليه المصطلح؛ مما يُكَثِّر نسله المصطلحي، ويحدد توجهات نموه الداخلي.

٤ – الضمائم:

وتتضمن:

كل مركب مصطلحي (ضميمة) مكوَّن من لفظ المصطلح المدروس، مضمومًا إلى غيره، أو مضمومًا إليه غيره، لتفيد الضميمة المركب في النهاية مفهومًا جديدًا خاصًّا مقيدًا، ضمن المفهوم العام المطلق، للمصطلح المدروس. فكأن المصطلح بضمائمه ينمو ويتشعب مفهوميًا من داخله. **وأبرز أشكال الضمائم:**

- **ضمائم الإضافة؛** سواء أضيف المصطلح إلى غيره، أو أضيف غيره إليه.
- **ضمائم الوصف؛** وقد يكون فيها المصطلح واصفًا أو موصوفًا.

فإذا انتهت الضمائم أمكن الانتقال إلى المشتقات.

٥ – المشتقات:

وتتضمن:

كل لفظ اصطلاحي ينتمي لغويًا ومفهوميًا إلى الجذر الذي ينتمي إليه المصطلح المدروس؛ كالمجتهد مع الاجتهاد، والبليغ مع البلاغة، ولا يدخل فيها المنتمي لغويًا فقط؛ كالإنفاق مع النفاق، ولا المنتمي مفهوميًا فقط؛ كالقصيدة مع الشعر؛ إذ محل هذا العلاقات.

والمصطلح بمشتقاته من حوله، كأنما ينمو ويمتد مفهوميًا من خارجه، وأشكال المشتقات وصورها مشهورة في باب الصرف. فإذا فرغ من المشتقات بُدِئ وختم بالقضايا:

٦ – القضايا:

وتتضمن:

كل المسائل المستفادة من نصوص المصطلح المدروس وما يتصل به، المرتبطة بالمصطلح أو المرتبط بها المصطلح؛ مما لا يمكن التمكن من مفهومه حق التمكن، إلا بعد التمكن منها حق التمكن. وهي متعذرة الحصر لكثرة صورها وتنوعها من مصطلح إلى مصطلح. وأهميتها لا تكاد تقدر في التصور العام للأبعاد الموضوعية للمفهوم، ولا سيما في بعض العلوم.

ومن أصنافها كما تقدم - « الأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير » [١].

وبالحديث عنها ينتهي الحديث عن الفرض في « العرض »، آخر ركن من الأركان الخمسة التي بني عليها منهج الدراسة المصطلحية.

* * *
* *
*

---

(١) مصدر السابق (ص ٦).

المصادر والمراجع

١ - البحث العلمي في التراث ومعضلة النص. الشاهد البوشيخي. بحث نشر ضمن أعمال ندوة تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق. كلية الآداب، وجدة (ط ١)، (١٩٩٨م).

٢ - الحيوان للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر. تحقيق: عبد السلام محمد هارون (ط ١)، (١٩٣٨ - ١٩٥٨م).

٣ - المدارسة الأولى للمعهد: مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العربية المعرفة. قدمها الشاهد البوشيخي بمعهد الدراسات المصطلحية بفاس (١٩٩٥م).

٤ - مشكلة المنهج في دارسة مصطلح النقد العربي القديم. الشاهد البوشيخي. بحث نشر ضمن ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس. عدد خاص (١٩٨٨م).

٥ - مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين. قضايا ونماذج. الشاهد البوشيخي. نشريات القلم. باريس (ط ١)، (١٩٩٣م).

٦ - مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ. الشاهد البوشيخي (ط ٢)، (١٩٩٥م) دار القلم. الكويت.

٧ - نحو منهج لدراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية للشاهد البوشيخي، عرض ألقي في ندوة القرآن المجيد وخطابه العالمي التي نظمتها كلية الآداب بأكادير، بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن أيام (١٤ - ١٤١٨/١/١٩هـ) موافق (٢١ - ١٩٩٧/٥/٢٦م).

٨ - نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين. نشريات القلم. باريس (ط ١)، (١٩٩٣م).

٩ - نظرات في المسألة المصطلحية. الشاهد البوشيخي. بحث نشر ضمن أعمال مؤتمر قضايا المصطلح. جامعة تشرين، أبريل (١٩٩٨م) سوريا.

١٠ - ورقات في المسألة العلمية. مقال للشاهد البوشيخي. بمجلة الهدى (ع ٣٣)، (١٩٩٦م).

نظرات في
المصطلح والمنهج

مُقَدِّمَة

بين يديك أيها القارئ الكريم ثلاث كلمات، ألقيت في ثلاث مناسبات متتابعات، يجمعها جامع « **النظر في المصطلح والمنهج** » في الكلمات الثلاث:

الأولى: نظرات في المصطلح والمنهج؛ وقد ألقيت في الدورة العلمية التدريبية الأولى التي نظمتها جمعية خريجي الدراسات الإسلامية العليا، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، (إيسيسكو) وكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط، في شهر أبريل (١٩٩٥م)، لفائدة الأساتذة الباحثين في الدراسات الإسلامية.

ومن أهم ما فيها: الخطة العلمية المنهجية اللازمة لمواجهة ما أسماه بعضهم بـ « الطوفان المفهومي ».

والثانية: نظرات في منهج الدراسة المصطلحية ومدى اهتمام إمام الحرمين به في كتابه « الكافية »؛ وقد ألقيت في ندوة « الذكرى الألفية لإمام الحرمين الجويني (٤١٩ - ٤٧٨هـ) التي نظمتها كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر بالدوحة، أيام (١٩ - ١٤١٩/١٢/٢١هـ) الموافق (٦ - ١٩٩٩/٤/٨م).

ومن أهم ما فيها: بيان أهمية الدراسة المصطلحية ومنهجها الذي يعرض لأول مرة بهذه الصورة.

والثالثة: مقترحات في منهجية الاستفادة من كتب التراث في وضع المصطلحات؛ وقد ألقيت في ندوة: « إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده وإشاعته »، التي نظمها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، بمقر مجمع اللغة العربية بدمشق، في شهر أكتوبر (١٩٩٩م).

ومن أهم ما فيها: ضرورة الإعداد العلمي الشامل للنص والمصطلح التراثي، وضرورة التصور الحضاري الشامل للوضع المصطلحي.

- وكل منها متأثر بظرفه ومخاطبه.
- وكل منها مستقل بمضمونٍ ليس في غيره.

- وكل منها متكامل مترابط في مضمونه، وهدفه، مع غيره.

وهي جميعًا تمثل « نظرات في المصطلح والمنهج »، قابلة لأن تؤول - إذا حمي « النظر » من أهله وتتابع - إلى « قول »، قد يصير، بعد حين، هو « القول في المصطلح والمنهج ».

﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾.

والحمد لله رب العالمين

وحرره بفاس في (٢٠) من (شهر ربيع الثاني ١٤٢٣هـ)

الشاهد البوشيخي

غفر الله تعالى له

الفَصْلُ الأوَّلُ

نظرات في المصطلح والمنهج

١ - الاهتمام بالمصطلح الوافد:

الاهتمام بالمسألة المصطلحية اليوم، حيثما كان، في أمتنا، قد ولَّى وجهه، كليةً أو كاد، شطر المصطلح الوافد، لا تَشذ - أو لا تكاد تشذ - عن ذلك مؤسسة أو فرد؛ من مجامع إلى جامعات، ومن معاهد ومراكز إلى لجن ومنظمات، كلها تتسابق، بتنسيق أو بدون تنسيق، « متنافسة » في تلقي المصطلح الوافد.

ومن رجالها من يستقبله استقبال الفاتح المنقذ، بقلبه وقالبه، معنى ومبنى.

ومن رجالها من يُلبسه الزّي العربي كيفما كان لاعتبارات شتى، دون أيِّ مس لمفهومه.

ومن رجالها - وهم القلة النادرة - من يقفونه في حدود الأمة الحضارية للسؤال، والتثبت من الهوية، وحسن النية، ودرجة النفع، وقد يتعقبونه في مختلف المجالات والتخصصات التي قد يكون عشش فيها، أو باض وفرخ بغير حق. فإن سُوِّيتْ وضعيته - كما يقولون - فذاك. وإلا طُهِّر فكر الأمة منه؛ فإنه رجس.

٢ - منهاج استقبال المصطلح الوافد:

لكن بأي منهاج يتم الاستقبال؟ بأي منهاج يُقبَل ما يُقبل، ويُرفض ما يُرفض؟ بأي منهاج يتم التعريب والترجمة اللفظية، وبأي منهاج يتم التعريب والترجمة المفهومية - إن صح التعبير؟

هل يكفي في « اللفظية » أن نكتب اللفظ الأعجمي بحروف عربية عند التعريب، أو نجتهد في « العثور » على لفظ عربي، مقابل للأعجمي بصورة ما، عند الترجمة؟

وهل يكفي في « المفهومية » أن نعرض المفهوم الوافد على « خبير » - بحسب الوقت - أو « خبراء » في المفاهيم الإسلامية حسب التخصصات العلمية، « فنؤسلم مفهوم » بناءً على خطة هدم وبناء، انطلاقًا مما « عثرنا عليه » لدى السلف أو الخلف، وكأنهم مؤلَّف واحد أو مؤلِّف واحد، دون استقراء؟

٣ – الخطة العلمية المنهجية اللازمة:

إن الاهتمام بالمفاهيم المكونة للذات ينبغي، بل يجب، أن يكون على رأس الأولويات. ولا قيمة لاهتمامٍ في ميزان الغد الحضاري المنتظر، ما لم يؤسَّس على العلمية أولًا، ثم على المنهجية ثانيًا، ثم على التكاملية؛ شرطًا في السير الراشد ثالثًا.

إن المصطلح الوافد – السائد أو غير السائد – لا يواجَه – ولا ينبغي أن يواجه – بمنهج « العثور ». إنه لا بد من خطة علمية شاملة حاسمة، لمواجهة ما أسماه بعضهم بـ « الطوفان المفهومي »، **خطة تقوم:**

أولًا: على إحصاء ممتلكات الذات، ثم تقوم:

ثانيًا: على استيعاب ما لدى الآخر من علم بعلم، في مختلف التخصصات. ثم تقوم:

ثالثًا: على الاقتراض الحضاري بعلم، من خارج الذات، حسب حاجات الذات.

وذلك يعني فيما يعني صرف الجهد في:

– **مجال النص التراثي أولًا**؛ لأنه مَجْلى الذات وخزَّان الممتلكات.

– **ثم مجال لغة النص ثانيًا**، ولا سيما الاصطلاحية؛ لأنها المدخل الوحيد للتمكن من الفهم السليم للمفاهيم، الذي عليه ينبني التقويم السليم فالاقتراض الحضاري السليم.

– **ثم مجال منهج دراسة النص مقامًا ومقالًا ثالثًا**؛ لأنه الهادي إلى استنباط الهدى اللازم للحضور والشهود الحضاري، مما لا حاجة إلى اقتراض الأمة له من خارج الذات.

– **ثم مجال الوافد من خارج الذات رابعًا** واستيعابه عند أهله، بالتخصص فيه، بلغات أهله، ثم بتتبع آثاره فينا بالدرس العلمي لا بالخَرْص؛ لأن ذلك الذي يمنعنا من أن نَظلم أو نُظلم، ويؤهلنا للشهادة على الناس بحق.

٤ – ثمار متوقعة:

إن ذلك الجهد إذا أحسن صرفه « وفق خطة علمية منهجية متكاملة » كفيل أن يثمر في نابتة الأمة اليوم ثمارًا ستكون في غاية النضج، ثمارًا تخرجها من الحيرة والاضطراب المنهجي إلى الاهتداء للتي هي أقوم، ومن الكلام عن العلم إلى الكلام بعلم، ومن السير الفرداني فرديًّا كان أو مؤسسيًّا، إلى السير الجماعي المنسق المتكامل، ومن المواجهة

الانفعالية الآنية التي لا ينقصها حسن الظن، إلى التوجهات الاستراتيجية الشاملة التي لا يشوبها - وإن بعدت الشقة - سوء الظن.

وعلى الناشئة من الباحثين - بعد اللّه تعالى - المعوَّل: أن يؤثروا الآجلة على العاجلة، ويسلكوا الطريق على وعورته صابرين محتسبين.

٥ - خطوات منتظرة:

وإذ ذاك يمكنهم:

- **أن يفهموا** المصطلح اللازم لفهم الذات وتقويم الذات.
- **ويؤسلموا** المصطلح الضروري لشهادة الذات على غير الذات.
- **وينشئوا** المصطلح المسَمِّي للمفاهيم التي أنتجتها الذات في تطويرها لنفسها وتفاعلها مع غير الذات.
- **ويوظفوا** المصطلح المنشأ والموفد معًا في خطاب الذات وغير الذات.

والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات

الفَصْلُ الثَّانِي

نظرات في منهج الدراسة المصطلحية
ومدى اهتمام إمام الحرمين به في كتابه « الكافية »

١ – مقدمة في أهمية الدراسة المصطلحية:

الدراسة المصطلحية ضرب من الدرس العلمي لمصطلحات مختلف العلوم، وفق منهج خاص، بهدف تبيُّن وبيان المفاهيم التي عبرت أو تعبر عنها تلك المصطلحات، في كل علم، في الواقع والتاريخ معًا. وتكمن أهميتها في أمور أهمها:

(١/١) موضوعها الذي هو المصطلحات:

وإنما تتبلور مفاهيم العلوم عند ولادتها في مصطلحات؛ وتعبر عن نضجها حين تنضج بمصطلحات، وتبلغ أشدها حين تبلغه بأنساق من المصطلحات.

ولا سبيل إلى استيعاب أي علم دون فهم المصطلحات، ولا سبيل إلى تحليل وتعليل ظواهر أي علم دون فقه المصطلحات، ولا سبيل إلى تجديد أي علم دون تجديد المصطلحات أو مفاهيم المصطلحات.

إذ في المصطلحات البسيطة الصغيرة تسكن صغار العلم وجزئياته، وفي المصطلحات المركبة الكبيرة تُخْتَزَن كبار العلم وكلياته، وفي الأنساق المصطلحية العامة تتمثل أشجار مفاهيم العلوم وأشكال بنائها، ومن تلك الأنساق المتضمنة لمعاجم العلوم وأجهزتها المصطلحية يمكن استخلاص رؤيتها. ولله در أهل الحديث؛ إذ سموا علمهم صادقين « علم المصطلح » أو « مصطلح الحديث ».

(٢/١) هدفها الذي هو تبيُّن وبيان مفاهيم المصطلحات:

وإنما « مدار الأمر على البيان والتبين » [(١)]: تبيّن المراد بدقة من ألفاظ أي علم؛ في واقعه، وعبر تاريخه، ولدى ممثليه؛ أفرادًا وطوائف. وبيان المراد منها بدقة كذلك للناس، في الواقع والتاريخ معًا، ولدى الأفراد والطوائف الممثلة جميعها.

---

(١) البيان والتبين لأبي عثمان الجاحظ (١١/١)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – الطبعة الثانية القاهرة (١٩٦٠ – ١٩٦١م).

وبما أن المصطلحات من العلم في الموقع الذي تقدم، فإن التبين والبيان لمفاهيمها يمكّن العالم والمتعلم معًا من ناصية العلم؛ ذلك بأنه يُعبِّد للمتعلمِ الراغبِ الطريقَ للفهم العميق والتاريخ الدقيق للعلم، ويقف العالِم الراسخ على عتبة استشراف مستقبل العلم، في ضوء الحاجة العامة للأمة، والحاجة الخاصة للعلم. وإنما يستشرف من شرُف وأشرف، ولا شرَف ولا إشراف بغير التمكن من ناصية العلم.

(٣/١) منهجها الذي هو « منهج الدراسة المصطلحية » للمصطلحات:

وهذا الذي يكمن فيه « سر الصناعة » كما يقال، وهذا الذي يمكن اعتباره مفتاح المفاتيح، ما دامت المصطلحات بالنسبة إلى العلوم هي « المفاتيح »؛ فهو الذي به يتم الكشف عن الواقع الدلالي لمصطلح ما في متن ما، ووصفه، وهو الذي به يتم رصد التطور الدلالي لمصطلح ما، وتاريخه، وهو الذي به - أثناء ذلك - يتم التبين والبيان لمفاهيم؛ إذ بدراسة النصوص التي ورد بها مصطلح ما دراسة معينة يحصل التبين، وبعرض نتائج تلك الدراسة على نمط معين يحصل البيان، وبهما معًا - متلازمين متكاملين - يتحقق الهدف المتوخى من الدراسة المصطلحية.

فهو « منهج قائم بذاته في الدرس؛ يعتمد « العلمية » بشروطها في الوسائل، من الاستيعاب إلى التحليل فالتعليل فالتركيب. ويعتمد « التكاملية » حسب أولوياتها في المراحل؛ من الوصفية إلى التاريخية فالموازنة فالمقارنة، ويمكن تطبيقه بحسب الظاهر على كل مصطلحات العلوم في كل التخصصات » [1].

(٤/١) إشكالاتها التي تثيرها في عدد من المجالات:

وأهمها:

(١/٤/١) الإشكال الأول يتجلى في معضلة إعداد النص؛ ذلك بأن الدراسة المصطلحية تقوم على نصوص، و « قاصمة الظهر بالنسبة إلى المصطلحي هي انعدام الإعداد العلمي للنصوص » [2]. فما العمل للتغلب على معضلة النص؟ « إن الحسم في قضية النصوص يتطلب فيما يتطلب:

---

(١) مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ للشاهد البوشيخي (ص ٢) دار القلم للنشر والتوزيع - الكويت (ط ٢) (١٩٩٥م).

(٢) مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: قضايا ونماذج للشاهد البوشيخي (ص ١٥). منشورات فاس [illegible] (ط ١) (١٩٩٣م) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب.

- إنجاز فهرس شامل كامل للمخطوطات العربية في العالم؛ استلزم ذلك ما استلزم، وكلف ما كلف.

- تصوير كل ما بذلك الفهرس من أصوله، ثم تخزينه بأحدث الوسائل، فوضعه - مصنفًا كما هو بالفهرس - رهن إشارة الباحثين في كل بلد، في مراكز خاصة مجهزة بكل اللوازم الإعلامية من حواسيب ومطاريف وغيرها، لتيسير الانتفاع به، وتفادي التكرار.

- نشر ما لم ينشر منه نشرًا علميًّا، وفق قانون خاص، يمنع الباحث - أي باحث - من الاشتغال بتحقيق ما حُقق أو يُحقق.

- إعطاء الأولوية في مؤسسات البحث كلها من جامعات وغيرها لتحقيق النصوص ونشرها.

وبذلك يمكن أن تخرج النصوص إخراجًا علميًّا، لتوثق توثيقًا علميًّا، لتدرس دراسات علمية.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٥١] [١].

(٢/٤/١) **الإشكال الثاني يتجلى في معضلة قراءة النص** « ذلك بأن أمتنا، وهي تحاول أن تصحو من رقدتها التاريخية منذ قرنين، قرئ تراثها قراءتين:

قراءة كان لغرب « الغرب » فيها ومن لفَّ لَفَّه من أبناء جلدتنا قصب السبق.

قراءة كان لشرق « الغرب » فيها ومن لف لفه منّا حظ الرائد القائد.

وكلتاهما تمت بغير أعيننا ووحينا، وفي غيبة الحظ الأوفى والأهم من تراثنا » [٢].

فوجب ضرورة أن نقرأ أنفسنا بأنفسنا - وهي « القراءة الثالثة للتراث، أي القراءة الصحيحة للذات » [٣] وذلك بإعطاء « قضية المصطلحات في مختلف التخصصات ما تستحقه من عناية وبحث »؛ لأنها « الخطوة الأولى للفهم السليم الذي عليه ينبني التقويم السليم... فالإقلاع السليم » [٤].

---

(١) المصدر السابق (ص ٤٣).

(٢) نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين للشاهد البوشيخي (ص ٥)، نشر دار القلم بباريس (ط ١) (١٩٩٣م) مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب.

(٣) مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين (ص ٢).

(٤) المصدر السابق (ص ١٢).

(١/٤/٣) **الإشكال الثالث يتجلى في معضلة المنهج**، و « مشكلة المنهج هي مشكلة أمتنا الأولى، ولن يتم إقلاعنا العلمي ولا الحضاري إلا بعد الاهتداء في المنهج للتي هي أقوم...

والناظر في أحوال الأمة عامة، والحال العلمية منها خاصة، يلحظ بيسر أن مسألة المنهج لما تعط حظها من العناية والرعاية، وأن كثيرًا من الأموال والأوقات والطاقات تضيع بسبب فساد المنهج. وإذا جاز الترخص في شيء، فإن البحث العلمي لا ينبغي أن يكون من ذلك بحال؛ لأنه بمثابة القلب في جسد الأمة؛ إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله [1].

- **ومن أبرز وجوهها على المستوى النظري**، انعدام سلم الأولويات العام الذي يتحكم في سياسات الجامعات والمراكز العلمية والمؤسسات، فينتج عن ذلك تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم، ويكون التيه في مجالِ الأصل فيه أن يُخرج من التيه!

- **ومن أبرز وجوهها على المستوى العملي**، انعدام التنسيق العام بين المهتمين بالبحث العلمي: أفرادًا ومجموعات، مجامع وجامعات... فتقع الحوافر على الحوافر، وتتضارب جهود الأوائل والأواخر، وتبدأ سلاسل من التخبط لا أول لها ولا آخر!

(١/٥) **ضرورتها الحضارية بالنسبة إلى الذات:**

« لأنها تتعلق ماضيًا بفهم الذات وحاضرًا بخطاب الذات، ومستقبلًا ببناء الذات » [2] ولن تستطيع الأمة « العودة شاهدة على الناس، كما هو مقتضى التكليف، ولا الشهود الحضاري المنتظر، إلا بعد الاستيعاب التام لما كان وما هو كائن، وتحليله وتعليله، ثم التركيب الصحيح لما ينبغي أن يكون، انطلاقًا مما كان... والدراسة المصطلحية مفتاح كل ذلك » [3].

٢ - **معالم « منهج الدراسة المصطلحية »:**

للمنهج في الدراسة المصطلحية مفهومان: عام وخاص:

---

(١) ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم (ص ٢٠)، عدد خاص رقم (٤) من مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - ظهر المهراز، فاس (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

(٢) المصدر السابق (ص ١٢).

(٣) دليل معهد الدراسات المصطلحية (ص ٤)، (ط ١) (١٩٩٣م) فاس، المغرب.

(١/٢) المنهج بالمفهوم العام:

فالمنهج بالمفهوم العام، هو طريقة البحث المهيمنة المؤطرة للمجهود البحثي المصطلحي كله، القائمة على رؤية معينة في التحليل والتعليل والهدف. وهذا الذي يوصف بالوصفي أو التاريخي أو ما أشبه، تميزًا له عن غيره.

(٢/٢) المنهج بالمفهوم الخاص:

والمنهج بالمفهوم الخاص، هو طريقة البحث المفصلة المطبقة على كل مصطلح من المصطلحات المدروسة، في إطار منهج من مناهج الدراسة المصطلحية بالمفهوم العام. وهذا الذي يمكن تلخيص معالمه الكبرى بإيجاز شديد منذ الشروع فيه حتى الفراغ منه **في خمسة أركان:**

(١/٢/٢) الإحصاء: ويقصد به الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس، وما يتصل به، لفظًا ومفهومًا وقضية، في المتن المدروس، **وذلك يعني:**

١/١/٢/٢ - إحصاء لفظ المصطلح إحصاءً تامًّا، حيثما ورد، وكيفما ورد، وبأي معنى ورد، في المتن المدروس، ما دام قدر من الاصطلاحية - داخل مجاله العلمي الخاص - ملحوظًا فيه؛ فالمصطلح مفردًا أو مجموعًا، معرفًا أو منكرًا، اسمًا أو فعلًا، مضمومًا إلى غيره أو مضمومًا إليه غيره، كل ذلك ضروري المراعاة عند الإحصاء.

٢/١/٢/٢ - إحصاء الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من جذره اللغوي والمفهومي إحصاءً تامًّا كذلك، على التفصيل نفسه.

٣/١/٢/٢ - إحصاء التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح أو بعضه دون لفظه، إحصاءً تامًّا كذلك.

٤/١/٢/٢ - إحصاء القضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه، وإن لم يرد بها لفظه.

فإذا استخلصت النصوص، وصنفت حسب حاجة الدراسة، التصنيف الأولي، أمكن الانتقال إلى الركن الثاني:

(٢/٢/٢) الدراسة المعجمية: ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية فالاصطلاحية؛ دراسة تبتدئ من أقدمها مسجلة أهم ما فيه، وتنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف، دراسة تضع نصب عينيها علام مدار المادة اللغوية للمصطلح، ومن أي المعاني

اللغوية أُخِذَ المصطلح، وبأي الشروح شرح المصطلح؛ وذلك لتمهيد الطريق إلى فقه المصطلح وتذوقه، وليسهل تصحيح الأخطاء التي قد يكون جلبها الإحصاء.

(٣/٢/٢) **الدراسة النصية:** ويقصد بها دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه؛ من صفات وعلاقات، وضمائم، وغير ذلك.

وهذا الركن هو عمود منهج الدراسة المصطلحية: ما قبله يمهد له، وما بعده يستمد منه؛ إذا أحسن فيه بوركت النتائج وزكت الثمار، وإذا أسيء فيه لم تفضِ الدراسة إلى شيء يذكر. ومدار الإحسان فيه على الفهم السليم العميق للمصطلح في كل نص، والاستنباط الصحيح الدقيق لكل ما يمكن استنباطه مما يتعلق بالمصطلح في كل نص. فالنصوص ها هنا هي المادة الخام التي يجب أن « تعالج » داخل مختبر التحليلات بكل الأدوات والإمكانات، لتقطر منها المعلومات المصطلحية تقطيرًا، وتستخرج استخراجًا؛ فمعطيات الإحصاء، ومعطيات المعاجم، ومعطيات تحليل الخطاب المقالية والمقامية معًا، ومعطيات المعارف داخل التخصص وخارجه، ومعطيات المنهج الخاص والعام، النظري والعملي... كل أولئك ضروري المراعاة عند التفهم، وكل ذلك مما به يتمكن من المفهوم وما يجلي المفهوم.

(٤/٢/٢) **الدراسة المفهومية:** ويقصد بها دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفًا مفهوميًا **يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس:**

– **من تعريف له يحدده** بتضمنه كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم.

– **وصفات له تخصه** كالتصنيف في الجهاز، والموقع في النسق، والضيق أو الاتساع في المحتوى، والقوة أو الضعف في الاصطلاحية، والنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب.

– **وعلاقات له تربطه بغيره** كالمرادفات والأضداد وما إليها، والأصول والفروع وما إليها...

– **وضمائم إليه تكثر نسله** وتحدد توجهات نموه الداخلي، كضمائم الإضافات والأوصاف...

- **ومشتقات حوله** من مادته تحمي ظهره، وتبين امتدادات نموه الخارجي.

- **وقضايا ترتبط به أو يرتبط بها** « مما لا يمكن التمكن منه إلا بعد التمكن منها؛ كالأسباب والنتائج والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير... وغير ذلك مما قد يستلزمه تفهم مفهوم، ولا يستلزمه تفهم آخر » [1].

وهذه الشجرة المفهومية الوارفة الظلال، الزكية الغلال في أغلب الأحوال... هي التي يجب أن تُجَلّى بعرضها في الركن الخامس على أحسن حال.

(٥/٢/٢) العرض المصطلحي:

ويقصد به الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها. وهو الركن الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره. وجماع القول فيه حسب ما انتهت إليه التجربة أن يكون متضمنًا للعناصر الكبرى التالية على الترتيب:

١/٥/٢/٢ - التعريف: ويتضمن:

- **المعنى اللغوي**، ولا سيما الذي يترجح أن منه أُخِذَ المعنى الاصطلاحي.

- **المعنى الاصطلاحي العام في الاختصاص**، ولا سيما الأقرب إلى مفهوم المصطلح المدروس.

- **مفهوم المصطلح المدروس** معبرًا عنه بأدق لفظ، وأوضح لفظ، وأجمع لفظ، ما أمكن.

وشرطه المطابقة للمصطلح. وضابطه أنه لو وضعت عبارة التعريف مكان المصطلح المعرَّف في الكلام لانسجم الكلام. وإنما ينضبط ذلك إذا راعى الدارس في تعريف المفهوم كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم، المستفادة من جميع نصوص المصطلح وما يتعلق به في المتن المدروس؛ فلا تبقى خاصة دون إظهار، ولا ميزة دون اعتبار.

وللتأكد من صحة التعريف وزيادة بيانه، يحلل بالتفصيل المناسب إلى كل عناصره ومع كل مقال مثال، وإنما يتضح المقال بالمثال.

---

(١) نحو منهج لدراسة مفاهيم ألفاظ القرآن الكريم، للشاهد البوشيخي (مرقون)، (ص ٦) عرض ألقي في ندوة القرآن المجيد وخطابه العالمي التي نظمتها كلية الآداب بأكادير، بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، أيام (١٣ - ١٤١٨/١/١٩هـ) الموافق (٢١ - ١٩٩٧/٥/٢٦م).

فإذا تم التعريف، وهو اللب والنواة بدأ الحديث عن الصفات وهي اللحمة والكسوة.

٢/٥/٢/٢ - الصفات: وتتضمن:

- **الصفات المصنِّفة:** وهي الخصائص التي تحدد طبيعة وجود المصطلح في الجهاز نصطلحي موضوع الدراسة؛ كالوظيفة التي يؤديها، والموقع الذي يحتله وغير ذلك.

- **الصفات المبينة:** وهي الخصائص التي تحدد درجة الاتساع أو الضيق في محتوى نصطلح، ومدى القوة أو الضعف في اصطلاحية المصطلح وغير ذلك.

- **الصفات الحاكمة:** وهي الصفات التي تفيد حكمًا على المصطلح؛ كالنعوت و العيوب التي ينعت بها أو يعاب وغير ذلك.

فإذا تمت الصفات الخاصة بالذات، بدأ الحديث عن العلاقات بغير الذات، مما يأتلف مع المصطلح ضربًا من الائتلاف، أو يختلف معه ضربًا من الاختلاف.

٣/٥/٢/٢ - العلاقات: وتتضمن كل علاقة للمصطلح المدروس بغيره من المصطلحات، **ولا سيما العلاقات الثلاث:**

- **علاقات الائتلاف؛** كالترادف والتعاطف وغيرها.

- **علاقات الاختلاف؛** كالتضاد والتخالف وغيرها.

- **علاقات التداخل والتكامل؛** كالعموم والخصوص، والأصل والفرع وغيرها.

فإذا ضبطت العلاقات الواصلة للمصطلح بسواه، والفاصلة له عن سواه، أمكن لانتقال إلى ما ضم إلى المصطلح، أو ضم إليه المصطلح؛ مما يكثِّر نسله المصطلحي، ويحدد توجهات نموه الداخلي.

٤/٥/٢/٢ - الضمائم: وتتضمن كل مركب مصطلحي (ضميمة) مكوَّن من لفظ مصطلح المدروس، مضمومًا إلى غيره، أو مضمومًا إليه غيره، لتفيد الضميمة المركب في لنهاية مفهومًا جديدًا خاصًا مقيدًا ضمن المفهوم العام المطلق، للمصطلح المدروس. هكذا المصطلح بضمائمه ينمو ويتشعب مفهوميًّا من داخله. **وأبرز أشكال الضمائم:**

- **ضمائم الإضافة؛** سواء أضيف المصطلح إلى غيره، أو أضيف غيره إليه.

- **ضمائم الوصف؛** وقد يكون فيها المصطلح واصفًا أو موصوفًا.

فإذا انتهت الضمائم أمكن الانتقال إلى المشتقات:

٥/٥/٢/٢ – المشتقات: وتتضمن كل لفظ اصطلاحي ينتمي لغويًّا ومفهوميًّا إلى الجذر الذي ينتمي إليه المصطلح المدروس؛ كالمجتهد مع الاجتهاد، والبليغ مع البلاغة ولا يدخل فيها المنتمي لغويًّا فقط؛ كالإنفاق مع النفاق، ولا المنتمي مفهوميًّا فقط، كالقصيدة مع الشعر؛ إذ محل هذا العلاقات.

والمصطلح بمشتقاته من حوله، كأنما ينمو ويمتد مفهوميًّا من خارجه، وأشكال المشتقات وصورها مشهورة في باب الصرف.

فإذا فرغ من المشتقات بدئ وختم بالقضايا:

٦/٥/٢/٢ – القضايا: وتتضمن كل المسائل المستفادة من نصوص المصطلح المدروس وما يتصل به، المرتبطة بالمصطلح أو المرتبط بها المصطلح؛ مما لا يمكن التمكن من مفهومه حق التمكن، إلا بعد التمكن منها حق التمكن. وهي متعذرة الحصر لكثرة صورها وتنوعها من مصطلح إلى مصطلح. وأهميتها لا تكاد تقدر في التصور العام للأبعاد الموضوعية للمفهوم، ولا سيما في بعض العلوم.

ومن أصنافها – كما تقدم – « الأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير... » (١).

وبالحديث عنها ينتهي الحديث عن الفرض في « العرض »، آخر ركن من الأركان الخمسة التي بني عليها منهج الدراسة المصطلحية.

فماذا بعد هذا، عن اهتمام الإمام أبي المعالي بذلك المنهج في « الكافية »؟

٣ – مدى اهتمام إمام الحرمين في « الكافية » بمعالم منهج الدراسة المصطلحية:

ويمكن إجمال ذلك الاهتمام **في النظرات التالية:**

(١/٣) في أهمية الدراسة المصطلحية عنده:

وعليها دليلان: **عملي وقولي:**

فالعملي – وهو الأهم –: تقديمه لمعجمٍ كافٍ في « النظر » و « الجدل »، يمثل نحو سدس « الكافية في الجدل »، على الكلام الكافي في النظر والجدل؛ بين فيه « حدود

---

(١) المصدر السابق (ص ٦).

ما يحتاج إليه أهل النظر في الفروع من العبارات المختصة بالجدال بين الفقهاء » [١]، وهي أكثر من (١٢٠) عشرين ومائة عبارة - بلغته - أي مصطلح، بيَّنها في (٨٧ ص) سبع وثمانين صفحة. فكانت بداية صحيحة، ومقدمة نفيسة، وعملًا على صغره جليلًا، دل دلالة واضحة على منزلة الدراسة المصطلحية لديه.

والقولي قوله بعد حمد اللَّه « العلي في أسمائه وصفاته، والصلاة على خير البرية محمد وآله » [٢]، وذكر طلب سائله أن يجمع « طرفًا من الكلام في النظر، لا يستغني عنه في مناظرة أهل الزمان » [٣]:

« اعلم أنه لا يتم تحقيق النظر لمن لا يكون مستوفيًا لمعاني ما يجري من « أهل النظر » في معاني العبارات (أي الاصطلاحات) وحقائقها على التفصيل والتخصيص معرفة على التحقيق؛ فتكون البداية إذن بذكرها أحق وأصوب » [٤].

فجعله استيفاء معاني مصطلحات أهل النظر شرطًا في تمام « تحقيق النظر »، وإلحاحه على أن يكون ذلك الاستيفاء لـ « حقائقها على التفصيل والتخصيص »، لا على الإجمال والتعميم، وتأكيده أن تكون تلك المعرفة « معرفة على التحقيق » لا معرفة عادية، واعتباره أن « البداية... بذكرها أحق وأصوب » كل ذلك يجلي قيمة الدراسة المصطلحية عنده، وموقعها من مباحث العلم.

(٢/٣) في أهمية التعريف (الحد) عنده:

وعليها دليلان أيضًا: **نظري وتطبيقي:**

فالنظري تخصيصه لمفهوم الحد نفسه (أي التعريف) بابًا ذا فصول في نحو (١٦ ص) ست عشرة صفحة، هو الباب الأول، والباب المدخل، والباب الأساس، لكل ما تلاه من حدود. يقول في أوله: « فأول ما يجب البداية به بيان الحد ومعناه، لتتحقق خواص حقائق العبارات (أي الاصطلاحات) وحدودها » [٥]، ويقول في آخره: « هذا الكلام في معنى الحد وما يتعلق به من فصول بابه على الاختصار » [٦]، فعلى حسب مفهوم الحد إذن يكون التحديد وتكون الحدود. **وخلاصة نظرته إلى الحد ونظريته فيه:**

---

(١) الكافية في الجدل لإمام الحرمين الجويني (ص ١٦)، تحقيق فوقية حسين محمود. مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢ - ٥) الكافية (ص ١).

(٦) الكافية (ص ١٦).

١ - أن الحد (أي التعريف) المختار للحد هو « اختصاص المحدود بوصف يخلص له » [(١)]؛ وذلك « لأن الحد يرجع به إلى عين المحدود وصفته الذاتية في العقليات، وفي كثير من الشرعيات » [(٢)].

٢ - أنَّا « لا نرجع بالحد إلى العبارات (الألفاظ) على ما ذهبت إليه المعتزلة القدرية؛ لأنهم ما رجعوا في اسم، ولا صفة، ولا حقيقة، إلا إلى العبارات واللغات » [(٣)].

٣ - أن « الحد للحصر والتمييز » [(٤)] و « التحقيق والتحديد للتفرقة والتمييز » [(٥)] فوظيفة الحد على ذلك هي ذلك.

٤ - أن « الحصر والامتياز ليس يقع بالعبارات، لكن بمعاني العبارات، والعبارة تكشف عنها، وتدل عليها وتعرفها... ولهذا قيل: إن المعاني سابقة للعبارات والاصطلاحات، لثبوت المعاني وطروء العبارات. فلم يصح لهذا أن يجعل ما لا قوام له دون شيء (يقصد العبارات) حقيقة، ولا يجعل ما له قوام دون شيء (يقصد المعاني) حقيقة. وهذه مسألة عظيمة الخطر » [(٦)].

٥ - أن « الحد والحقيقة والمعنى على عرف علماء الأصول واستعمالهم واحد... وأولاها بالاستعمال عند أهل الأصول لفظ الحد ثم لفظ المعنى » [(٧)]. ويلحق بالثلاثة لفظ العلة « لأن المعلول بعلته امتاز عما سواه » [(٨)]. فالحد هو « العلة لا غير، فحد كل محدود علته » [(٩)]. وبناءً على هذه النظرة النظرية حدد ما أورد بعدُ من مصطلحات.

والتطبيقي أن جل اهتمامه في دراسة مفاهيم المصطلحات كان بالتعريف، بدءًا من حد الحد إلى آخر حد، حتى إنه كثيرًا ما اقتصر في الحديث عن المصطلح على الحد.

واهتمامه به كان من وجوه:

١ - وجه اختياره وتحريره، ومن عباراته في ذلك:

- قوله عن الحد: « وأصح العبارات في بيان الحد والحقيقة هو ها هنا: اختصاص المحدود بوصف يخلص له » [(١٠)].

(١ - ٣) الكافية (ص ٢).
(٤) الكافية (ص ٤).
(٥) الكافية (ص ٥).
(٦) الكافية (ص ٤، ٥).
(٧) الكافية (ص ١).
(٨) الكافية (ص ٣).
(٩) الكافية (ص ٦).
(١٠) الكافية (ص ٢).

- قوله عن الجدل: « والصحيح أن يقال: إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما (هكذا ولعلها نظريهما) على التدافع والتنافي بالعبارة، أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة » [١].

- قوله عن النسخ: « والأصح في حقيقة النسخ أن تقول: بيان ما أريد باللفظ من تخصيص الأزمان » [٢].

٢ - وجه تنقيحه بعد اختياره، ومن عباراته في ذلك:

- قوله عن الواجب بعد تحديده بـ (ما يستحق عقابًا بتركه والزيادة فيه): « وإذا قمت في الواجب بما في تركه الوعيد، استغنيت عن ذكر الاستحقاق » [٣].

- قوله عن النفل بعد تحديده بـ (كل طاعة زيدت على الفريضة): « وإن شئت كل طاعة زيدت على المقدَّر من العبادات » [٤].

- قوله عن العلم بعد تحديده بـ (ما يعلم به المعلوم): « ولو قلت: ما يعلم به، كان كافيًا » [٥].

٣ - وجه تعليل اختياره: كقوله عن الحد (المختار للحد): « وإنما اخترنا العبارة الأولى لأن الحد... » [٦]، وقوله عن حد العلم: « دليل صحته أنه... » [٧].

٤ - وجه ذكر الخلاف فيه، مع التزييف غالبًا لما يخالف، وهذا كثير لديه. ومن أظهر الأمثلة عليه تعريفاته للمصطلحات التالية:

الحد [٨] والفقه [٩] والتكليف [١٠] والظلم والقبيح [١١] والظاهر [١٢] والتواتر [١٣] وخبر المستفيض [١٤] والأصل والفرع [١٥] والعلة [١٦] والنقض والترجيح [١٧].

---

(١) الكافية (ص ٢١).
(٢) الكافية (ص ٥٤).
(٣) الكافية (ص ٣٨).
(٤) الكافية (ص ٤١).
(٥) الكافية (ص ٢٥).
(٦) الكافية (ص ٢).
(٧) الكافية (ص ٢٦).
(٨) (ص ٢ - ٤).
(٩) (ص ٢٧).
(١٠) (ص ٣٥).
(١١) (ص ٣٩، ٤٠).
(١٢) (ص ٤٩).
(١٣، ١٤) (ص ٥٥).
(١٥) (ص ٦٠).
(١٦) (ص ٦٠، ٦١).
(١٧) (ص ٦٩).

ويحسن التمثيل له بمثال جامع مختصر، هو قوله عن الجدل: « وأما حقيقته - في عرف العلماء بالأصول والفروع - **فقد اختلفت عباراتهم في حده:**

- فذهب بعض المتأخرين إلى أن حده: هو دفع الخصم بحجة أو شبهة.

وبه قال علي بن حمزة وهذا خطأ؛ فإن من ينقطع في مكالمة خصمه كان مناظرًا، وإن لم يدفع خصمه بحجة ولا شبهة.

وقد تبتدئ الخصم بحجة أوْ شبهة فيسكت وينقطع من تريد مناظرته؛ فلم يكن الدفع له مناظرة، ولا المدفوع مناظرًا للدافع.

- ومنهم من قال: حده أنه تحقيق الحق، وتزهيق الباطل.

وهذا اعتزاز بعبارة ليس فيها معنى المناظرة؛ لانفراد الواحد بتحقيق الحق، وتزهيق الباطل، وقد لا يحقق الحق بنظره، ولا يزهق الباطل ويسمى مجادلًا.

وكذلك المُبْطل الذاهب في جميع نظره عن الحق، يسمى: مجادلًا ومناظرًا - وإن لم يوجد منه تزهيق الباطل، وتحقيق الحق؟

- ومنهم من قال: هو نظر مشترك بين اثنين؟

وهذا باطل؛ لأنهما يشتركان على التعاون والتوافق فيه، وكل واحد على انفراد ينظر فيه.

- ومنهم من قال: هو طلب الحكم بالفكر مع الخصم. وهذا أيضًا لا يصح؛ لأن كل واحد منهما مع صاحبه يطلب الحق لا بالمناظرة - أو على طريق المعاونة والموافقة - ولا يكونان مناظرين. والصحيح أن يقال... » [1].

٥ - وجه بيان أصله اللغوي ومناسبته له، وتنزيله عليه، وحسن الاستفادة منه. وهذا الوجه بارز ولافت للانتباه، وإن لم يصل إلى وجه ذكر الخلاف. ومن أمثلته الجيدة الناطقة بالمراد:

- قوله عن الحقيقة (الحد): « معنى الحقيقة في اللغة هو حق المذكور ومقطعه ومفصله الذي به قوامه وثبوته. ولهذا استعمله أهل المعارف بالحقائق في العلل؛ لأن المعلول بعلته امتاز عما سواه، وبها ينفصل وينقطع عما سواه. فقيل لها: حقيقة...

(١) الكافية (ص ٢٠، ٢١).

وهذه المقاربة بين الحقيقة التي هي العلة، وبين الحقيقة في اللغة ظاهرة؛ لأن العرب أرادت بالحقيقة مقطع الشيء ومفصله. وعند العلماء علة المعلول مقطعه ومفصله؛ لأن بها تقع المقاربة والمفارقة بين ما جمعوا وما فرقوا...

فإن قيل: فأي مقاربة بين المعنى الذي هو الحقيقة، وبين معنى الحد في لغة العرب؟

قيل: الحد في اللغة قد يطلق بمعنى القطع وبمعنى المنع؛ فيقال: حد الدار لآخر أجزائها، وآخر ما ينتهي إليه من جملة الدار؛ لأنها بآخر أجزائها يمنع من دخولها فيما ليس منها. وذلك أيضًا مقطعها؛ لأنها بمنتهى أجزائها تنقطع عما سواها » [١].

– قوله عن الجدل: « هو من الإحكام في اللغة، يقال: درع مجدول، وحبل فتيل جديل، وزمام جديل: إذا كان مستحكم النسج والفتل، ويقال أيضًا: قصر مجدّل إذا كان حصينًا محكمًا بناؤه...

فإن قيل: وما وجه تنزيل حد العلماء للجدل على معناه في اللغة؟

قيل: إن قلنا: إنه في اللغة للإحكام فكأن كل واحد من الخصمين... وإن قلنا: إنه مأخوذ من الفتل فيكون...

وإن قلنا: إنه في اللغة مأخوذ من الضرب بالأرض بالمصارعة... فيكون...

والصحيح أن الرجوع في جميعه إلى الإحكام في اللغة. فتكون المناظرة منزلة على معنى الإحكام في تبيين ما يصير إليه كل واحد من الخصمين، ثم يكون النزاع بين الخصمين مرة في الحكم، وأخرى في علة الحكم. والمناظرة بينهما في الأمرين صحيحة » [٢].

– وقوله عن النص: « وأما النص: فحده في الشريعة: ما ارتفع بظهوره عن الاحتمال. وهذا قريب من معناه في اللغة؛ فإن العرب قالت لكل ما ارتفع: إنه نص؛ فقالت للمنارة منصة، ولما ارتفع من مكان العروس: منصة.

ويقال: نص في سيره، إذا أسرع وبالغ في رفع الخُطَى.

ويقال:نصت الظبية جيدها، إذا رفعته ومدته » [٣].

---

(١) الكافية (ص ٢، ٣).

(٢) الكافية (ص ٢٠، ٢١).

(٣) الكافية (ص ٤٨، ٤٩).

(٣/٣) في مدى اهتمامه بسائر عناصر العرض المصطلحي:

وهي - كما تقدم - الصفات والعلاقات والضمائم والمشتقات والقضايا. واهتمامه بها كلها - إذا قورن بالتعريف - ضعيف؛ فلا واحد منها يغلب الاهتمام به، بله أن يطرد كالتعريف. لكنها حاضرة ظاهرة، والإشارات إليها على تفاوت متكررة. وذلك يدل على أن الإحساس بأهميتها في دراسة المفاهيم قائم. وأنها ربما لو عولجت مفاهيمها بقدر غير « قدر ما يليق بهذا المختصر »[١] كما قال، لكان لها شأن آخر.

ومن أمثلة تلك الإشارات - وهي قليلة - في الصفات:

- بيانه المتقدم لوظيفة الحد أنه « للحصر والتمييز »[٢].

- وقوله عن موقع العلم في « ذكر حقيقة العلم فإنه ثمرة النظر... وكان الواجب في حق الترتيب أن نبدأ بذكر حقيقة العلم فإنه كالأصل... وما عداه كالفرع له، والبداية بذكر الأصل أَوْلَى منه بغيره. وإنما قدَّمنا ذكر النظر والجدال لكونه مقصود هذا الكتاب ولقبه »[٣].

ومن أمثله تلك الإشارات - وهي كثيرة - في العلاقات:

- قوله عن الخصوص والعموم بين المناظرة: « وكل مناظرة نظر، وإن كان ليس كل نظر مناظرة... ولا فرق بين المناظرة والجدال والمجادلة والجدل، في عرف العلماء بالأصول والفروع، وإن فرق بين الجدل والمناظرة على طريقة اللغة »[٤].

- وقوله عن المقابلة بين الندب والتنزيه: « وأما المندوب والندب فواحد في عرف الفقهاء... وفي مقابلته التنزيه إلا أنه يتعلق بتركه. فالتنزيه فيما يكون تركه خيرًا من فعله. ومنه المكروه الذي لا يحرم فعله... وكل مندوب إلى فعله فهو منزه وتنزيهه في تركه، كما أن كل منزه فعله مندوب إلى تركه. وهو كالأمر والنهي والواجب والمحظور في أن كل واحد منهما نفس الآخر، وعند قوم معنى الآخر.. »[٥].

---

(١) الكافية (ص ٥).
(٢) الكافية (ص ٤).
(٣) الكافية (ص ٢٥).
(٤) الكافية (ص ١٩).
(٥) الكافية (ص ٤٠، ٤١).

- وقوله عن الترادف بين الخطأ، والغلط، والباطل، والفاسد: « والخطأ هو تخطي مقصود، وهكذا معنى الغلط وهو الباطل والفاسد. والغلط اسم لما قبح من الأفعال في الشريعة. وقد يوصف بالخطأ والغلط ما لا يوصف بالقبح، لكن لا يوصف بالبطلان في الشريعة إلا ما قبح من الأفعال في الشريعة » [١].

ومن أمثلتها في الضمائم:

- دراسته في مصطلح العلم للضمائم التالية: علم أصول الفقه [٢]، وعلم أصول الدين [٣]، وعلم الواجب [٤]، والعلم الجائز [٥]، والعلم الضروري [٦]، والعلم الكسبي [٧]...

- ودراسته في مصطلح الصحة لإضافاته وإن لم يصرح بها في قوله: « وأما الصحة فهي الوجود في اللغة... وهي في عرف العلماء مختلفة الاستعمال فيقال:... وتضاف إلى العقود على معنى حصول المقصود بها (أي صحة العقود)، وتضاف إلى العبادات فيفاد بها الاعتداد والاحتساب (أي صحة العبادات جملة، أو صحة الصلاة مثلاً... إلخ)، وتضاف إلى عقود المعاملات فيفاد بها حصول الملك أو معنى الملك (أي صحة البيع و الشراء مثلاً...)، وتضاف إلى ما ليس بمحال، فيفاد بها كونه مقدور الفعل، وتضاف إلى الحيوان، فيفاد بها زوال العيب » [٨].

- ودراسته لدليل الخطاب ومفهوم الخطاب ولحن الخطاب وفحوى الخطاب [٩] وإن كان بعيدًا عن الخطاب.

- ودراسته للخبر المستفيض [١٠] والخبر المجهول وخبر الواحد [١١] وإن كان بعيدًا عن الخبر.

ومن أمثلتها في المشتقات:

- دراسته في مصطلح الدليل للمشتقات التالية: الدلالة - الاستدلال - المستدَلُّ - مستدِلٌ له - المستدَلُّ عليه [١٢].

---

(١) الكافية (ص ٥٩) وتنظر أمثله أخرى في: (ص ٢٦، ٤٠، ٤٢، ٤٦، ٥١، ٥٣، ٥٦، ٦٢).

(٢) (ص ٢٧).

(٣ - ٥) (ص ٢٨).

(٦) (ص ٢٩).

(٧) (ص ٣٠).

(٨) الكافية (ص ٤٣)، ومثله إضافات « الحق » بعده.

(٩) الكافية (ص ٥١).

(١٠) الكافية (ص ٥٥).

(١١) الكافية (ص ٥٦).

(١٢) الكافية (ص ٤٦ - ٤٨).

– ودراسته في مصطلح العلة لـ: المعلول – المعتل – المعلَّل له – المعلَّل به [١].

ومن أمثلتها في القضايا، وبعضها نادر:

– حديثه في مصطلح الجدل عن أنواع الجدل في قوله: « ثم من الجدل ما يكون محمودًا مرضيًّا، ومنه ما يكون مذمومًا محرمًا.

فالمذموم منه ما يكون لدفع الحق، أو تحقيق العناد، أو ليلبس الحق بالباطل، أو لما لا يطلب به تعرف ولا تقرب، أو للمماراة وطلب الجاه والتقدم، إلى غير ذلك من الوجوه المنهي عنها...

وأما الجدال المحمود المدعو إليه فهو الذي يحق الحق، ويكشف عن الباطل، ويهدف إلى الرشد، مع من يرجى رجوعه عن الباطل إلى الحق » [٢].

– وحديثه في مصطلح العلم عن أقسام العلم [٣].

هذا الحضور لكل عناصر العرض، وإن كان ليس عامًّا، ولا مطردًا، ولا ملتزمًا فيه ترتيبٌ ما، لا بين العناصر ولا داخل كل عنصر... فإنه مع ذلك يستحق التنبيه عليه، بل التنويه به لمجرد حضوره، ويلتمس لصاحبه في نقصانه العذر لبعد العصر.

(٤/٣) في غياب ما يدل على اعتماد ركن الإحصاء والمنهج الرؤية:

ذلك بأن العبارات التي تحدد مجال الدراسة المصطلحية وإطارها في « الكافية » على كثرتها وتنوعها، لا تشعر بشيء من ذلك الاعتماد؛ لا لنوع المنهج المحدِّد للإطار العام للدراسة؛ كالوصفي أو التاريخي أو هما معًا، ولا لحدود المتن المدروس فيه المصطلح؛ كمؤلَّف بعينه، أو مؤلَّفات بعينها، أو مؤلِّفين بأعيانهم، أو مكان أو زمان بعينه. **وأهم تلك العبارات:**

١ – عبارة: « في عرف العلماء » وقد ذكرت بالنص نحو عشر مرات في الصفحات التالية من الكافية: (٣ – ٤ – ٤٣ – ٤٨ – ٥٤ – ٥٦ – ٥٨ – ٥٩).

ويلحق بها:

– « في عرف العلماء بالأصول والفروع » (الكافية: ص ١٩، ٢٠).

---

(١) الكافية (ص ٦٠ – ٦٢). (٢) الكافية (ص ٢٢، ٢٣).

(٣) انظر الصفحات: (٢٨ – ٣٠) من الكافية.

- « على عرف الاستعمال بين العلماء بأصول الدين وأصول الفقه » (الكافية: ص ٢٨).
- « في عرف علماء الدين » (الكافية: ص ٤٢).
- « في اصطلاح العلماء بأصول الدين » (الكافية: ص ٢٩).
- « في اصطلاح العلماء » (الكافية: ص ٣٧).
- « عند أهل الأصول » (الكافية: ص ١).

٢ - **عبارة: « في عرف الفقهاء »** وقد ذكرت بالنص نحو خمس مرات في الصفحات التالية من « الكافية » (٤٤، ٤٥، ٥٧، ٦٩، ٧٠).

ويلحق بها: « عند الفقهاء » (الكافية: ص ٤١، ٤٥).

٣ - **عبارة: « في الشريعة »** وقد ذكرت بالنص نحو خمس مرات أيضًا في الصفحات التالية من « الكافية » (٤٤، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠).

ويلحق بها: « في عرف الشريعة » (الكافية: ص ٤١).

وهي عبارات - كما هو واضح - لا ترتبط لا بزمان ولا بمكان ولا بإنسان محدد، وإنما ترتبط ارتباطًا عامًّا مجملًا باختصاص أصول الدين، وأصول الفقه، والشريعة.

وعدم تحديد المتن المدروس، والمنهج الدارس قد يؤثر تأثير بالغًا في « علمية » الدراسة، ويعرض نتائجها للاهتزاز، وإن كان أمثال إمام الحرمين - لرسوخ أقدامهم في مجالهم - لا يتطرق الشك إلى أنهم قد بذلوا أقصى الوسع في التقصي والتحري، والتحقيق والتدقيق. ولكنه المنهج! إنها كلمة إبراهيم عليه السلام التي جعلها كلمة باقية في عقبه: ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ولا يطمئن القلب حتى تضبط الحدود: حدود المتن المدروس وحدود المنهج الدارس، ليتم تحقيق المقصود الذي هو: « بيان الحدود » [1] وإلا تزاحمت الأسئلة في الرأس واتجهت الدراسة إلى أن تعتبر - لولا الثقة بالإمام وأمثال الإمام - من قبيل الخرص لا من قبيل الدرس « وهذه مسألة عظيمة الخطر » كما قال رحمة الله تعالى في الصفحة الخامسة من « الكافية ».

---

(١) انظر: الكافية (ص ١٦).

(٥/٣) في حضور الترتيب المفهومي:

ويقصد بالترتيب المفهومي للمصطلحات في دراسة من الدراسات، ذلك الترتيب الذي لا يعتد بالشكل والصيغة؛ كالترتيب الهجائي والترتيب الاشتقاقي، وإنما الذي يراعي أساسًا العلاقات بين مفاهيم المصطلحات في ترتيب المصطلحات. وهو أنسب ترتيب لمجال المفاهيم.

وحضوره في « الكافية » قائم بنسبة تكاد تكون كافية؛ إذ مدار مصطلحات « النظر » فيها عند النظر على خدمة النظر، والهدف من بيانها هو تلبية « ما يحتاج إليه أهل النظر » [(١)]، فوجب ترتيبها بكيفية يقتضيها النظر، وتكون خادمة لأهل النظر.

وذلك الذي جعل الحد أولًا « لتتحقق خواص حقائق العبارات وحدودها » [(٢)] بعد؛ إذ هو أساس كل حد.

ثم الجدل ثانيًا: « لأنه الذي سمي به هذا الكتاب » [(٣)].

ثم العلم ثالثًا: « فإنه كالأصل... وما عداه كالفرع له » [(٤)].

ثم الخطاب الذي يتبلور فيه العلم رابعًا.

ثم التكليف الذي ينتج عن الخطاب خامسًا.

ثم البيان الذي يقتضيه التكليف سادسًا.

وضمنه الاجتهاد الذي يثير الاعتراض سابعًا وثامنًا.

ثم الختم بالجدل الذي يبين أدب السؤال والجواب في الاعتراض تاسعًا.

وتحت كل مفهومٍ أصلٍ - انطلاقًا من مفهوم العلم - ذُكرتِ المفاهيم الفروع ذات الصلة به بوجه ما، فانتظمت الحبات في مجموعات، وانتظمت المجموعات في عنقود؛ بدايته وعموده العلم، وغايته وصورته الجدل.

ولولا بعض الخلل في قسمة موقع الجدل، وبعض الاضطراب في مواقع بعض الفروع، لكان هذا البناء المنطقي العام في غاية الإحكام. وهو أمر لافت للانتباه، مثير للاهتمام، بالجهود المفهومية لهذا الإمام.

---

(١) الكافية (ص ١٦).

(٢) الكافية (ص ١).

(٣) الكافية (ص ١٦).

(٤) الكافية (ص ٢٥).

٤ - كلمة ختام:

هذا وبعد هذه النظرات غير الوافية ولا الكافية، فيما تثيره الدراسة المصطلحية من شجون بـ « الكافية »، لا يسع مثلي إلا الاعتذار « للإمام » على هذا المستوى من الجرأة والاقتحام. ولولا حق العلم الذي رعاه حق الرعاية، ما كان بين يديه كلام. ولكنه نداء التراث الذي يستغيث من تشويه « القراءات »، ونداء التراث الذي ينتظر منهجًا شافيًا كافيًا للتقويم، من أجل أن يبنى به وعليه ما هو آتٍ.

والحمد للّٰه الذي بنعمته تتم الصالحات

فاس في ١٥ - ١٢ - ١٤١٩هـ / ٣ - ٤ - ١٩٩٩م

الفَصۡلُ الثَّالِثُ

مقترحات في منهجية الاستفادة من كتب التراث في وضع المصطلحات

١ - مقدمات ممهدات:

(١/١) **الوضع وضعان:**

(١/١/١) **وضع للجديد في الذات**، وهذا مما لا يكاد اليوم يكون عنه كلام.

(٢/١/١) **وضع للجديد على الذات**، وهو أيضًا وضعان:

١/٢/١/١ - **وضع آني عاجل**؛ يستجيب بما تيسر من الرصيد، لما تيسر من الجديد؛ لا يحصي الممتلكات في كل مناحي التراث، مفتشًا عن الخبايا في الزوايا، ولا يتتبع الجديد من المواليد في مختلف العلوم، متقصيًا « أخبار المصطلح » في كل المراكز والمعاهد، والهيئات والمختبرات... فيسد بذلك بعض الحاجة لبعض الجديد ببعض الرصيد، ويبقى ضغط الحاجة ينمو ويشتد، وطوفان الجديد ينداح ويمتد، وحجم الرصيد يضؤل وينفد.

٢/٢/١/١ - **ووضع منهجي شامل**؛ يواجه كل الجديد بكل الرصيد، قد أحصى المصطلحات في كل فنون التراث وعدها عدًّا. وتقصى ما يجدّ من مصطلحات في كل مراكز البحث فردًا فردًا. فلبى بذلك كل الحاجة لكل الجديد بكل الرصيد، واستعد - بحكم تراكم الخبرة - لاستيعاب أي مزيد.

(٢/١) **المصطلح مصطلحان:**

(١/٢/١) **مصطلح تنتجه الذات**، وهذا الغائب الذي يجب أن يحضر، والمنسي الذي يجب أن يذكر، ولا يكاد اليوم يكون عنه كلام أيضًا.

(٢/٢/١) **مصطلح يفد على الذات** أو تستورده الذات حسب حاجتها، وهو أيضًا مصطلحان:

١/٢/٢/١ – مصطلح ينتمي إلى صنف العلوم المادية مسميًا مفهومًا فيها، جامدة كانت أم سائلة أم غازية، وهذا الشأن فيه أنه قد يكفي فيه « التعريب والترجمة اللفظية ».

٢/٢/٢/١ – مصطلح ينتمي إلى صنف العلوم الإنسانية وهذا الشأن فيه أنه لا يكفي فيه « أن نكتب اللفظ الأعجمي بحروف عربية عند التعريب، أو نجتهد في « العثور » على لفظ عربي، مقابل للأعجمي بصورة ما، عند الترجمة » [(١)]. بل يجب أن تقفه الجمارك عند الاستقبال « في حدود الأمة الحضارية للسؤال، والتثبت من حسن النية ودرجة النفع » والملاءمة للهوية.

« إن المصطلح الوافد – السائد وغير السائد – لا يواجه – ولا ينبغي أن يواجه – بمنهج « العثور »، إنه لا بد من خطة علمية شاملة حاسمة لمواجهة ما أسماه بعضهم بـ « الطوفان المفهومي » **خطة تقوم:**

أولًا: على إحصاء ممتلكات الذات، ثم تقوم:

ثانيًا: على استيعاب ما لدى الآخر من علم بعلم، في مختلف التخصصات. ثم تقوم: ثالثًا على الاقتراض الحضاري بعلم، من خارج الذات، حسب حاجات الذات » [(٢)].

ذلك بأن المصطلح الوافد في العلوم المادية بريء حتى تثبت إدانته، والمصطلح الوافد في العلوم الإنسانية ظنين حتى تثبت براءته.

(٣/١) **التراث تراثان:**

(١/٣/١) **تراث معد علميًا** – وقليل ما هو – فهو موثق محقق مكشف، وهذا نحمد الله ﷻ أن منَّ به علينا، ونسأله المزيد.

(٢/٣/١) **وتراث غير معد،** وهو أيضًا تراثان:

١/٢/٣/١ – تراث مطبوع، وهو حسب تقديرات عدد من الخبراء في التراث أقل الموجود، وكله – أو يكاد – محتاج إلى تكشيف، وأغلبه – وإن كتب أنه محقق – يحتاج إلى تحقيق، وقليله الذي ينقصه – علاوة على ما تقدم – التوثيق.

٢/٢/٣/١ – وتراث مخطوط، وهو حسب تقديرات الخبراء – أكثر الموجود، وكله محتاج إلى طبع ونشر، ومراكز وجوده في العالم غير محصورة، والمعلوم منها عدد منه

(١، ٢) أخبار المصطلح، العدد (٢).

غير مفهرس المحتوى، والمفهرس منها عدد منه غير دقيق المعلومات.

ولذلك يمكن أن يجعل على رأس المستعجلات، للإفادة من التراث في وضع المصطلحات. إعدادُ غير المعد علميًّا مِنْ كتب التراث.

٢ – ضرورة الإعداد العلمي الشامل للنص التراثي أولًا:

ذلك بأن « قاصمة الظهر بالنسبة إلى المصطلحي، هي انعدام الإعداد العلمي للنصوص » (١) مما يضطره اضطرارًا إلى إعادة التوثيق والتحقيق في أغلب الأحيان لمادة بحثه – ولا سيما شواهده – إن رغب في الصحة والسلامة العلمية للنتائج، وإلا كان البناء كله على شفا جرف هار (٢). هذا فضلًا عن أن التراث خزان الممتلكات، ومستودع جميع ما نملك من مصطلحات. **ولإعداده إعدادًا علميًّا شاملًا تقترح المنهجية التالية:**

١ – الفهرسة:

وتتطلب إنجاز:

– معجمٍ مفهرس للمطبوع من المخطوطات العربية في العالم، حاصر لما طبع، قابل سنويًّا لإلحاقِ ما يطبع. ويعين عليه أكبرَ العون – لو يكون – الدليلُ السنوي للمطبوعات العربية في العالم.

– ثم معجمٍ مفهرس لمراكز المخطوطات العربية في العالم: العامة منها والخاصة (خزائن، ومساجد، وكنائس، ومتاحف، وزوايا... وغير ذلك).

– ثم معجم مفهرس للمخطوطات العربية المحفوظة بتلك المراكز.

٢ – التصوير:

ويتطلب تصوير كل ما بالمعجم المفهرس للمخطوطات العربية من أصوله، دون انتقاء أو استثناء.

٣ – التخزين:

ويتطلب حفظ ما صوِّر وتخزينه بأحداث الوسائل في « مركز جامع لصور المخطوطات

---

(١) مصطلحات النقد العربي (ص ١٥).

(٢) البحث العلمي في التراث ومعضلة النص، ندوة « تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق »، أيام (٩ – ١١/١١/١٩٩٥م).

العربية في العالم »، على أن يكون الانتفاع به ميسرًا حاسوبيًّا لأي مؤسسةِ بحثٍ على وجه الأرض.

٤ – **التصنيف:**

ويتطلب تصنيف ما خزن من متخصصين، وحسب حاجات التخصصات، زمانًا ومكانًا وإنسانًا وموضوعًا...

٥ – **التوثيق:**

ويتطلب إثبات صحة نسبة ما صنف إلى صاحبه، ضبطًا للعلاقات « المختلفة بالقائل والسامع، والعصر والمصر... إلى غير ذلك مما يمكن أن يستفاد من صحة النسبة، وتضبطه صحة النسبة؛ فيصحَّ التصور للأمور زمانًا ومكانًا وإنسانًا، تاريخًا وواقعًا »[1].

٦ – **التحقيق:**

ويتطلب إثبات صحة متن ما وثق، كما صدر عن صاحبه، طبقًا لقواعدَ وآدابٍ معينة، وذلك لضبط الأحكام، والاستفادة من النصوص « انطلاقًا من حدود عبارتها؛ لئلَّا يُقَوَّل قائل ما لم يقل، فيقوَّلَ بتقويله عصر، أو مصر، أو اتجاه، أو غير ذلك، ولئلَّا يبنيَ بانٍ بناءه على ما لم يصح، بسبب تصحيف، أو تحريف، أو بتر، أو غير ذلك، فيُفْسدَ التاريخ والواقع معًا »[2].

٧ – **التكشيف:**

ويتطلب إعداد كشافات لمحتويات ما حقق؛ أسماء، ونقولًا، وموضوعات، ومصطلحات « ولا سيما المصادر الأمهات التي تشبه في خصوبتها، وسعتها، وكثرة عطائها الغابات، فكم من بقايا كتب قيمة، لعلماء أفذاذ، يمكن استخراجها من بطون تلك الأمهات، ولا يكشف عنها إلا التكشيف، وكم من علوم ومعارف، وشواهدَ نادرةٍ لعلوم ومعارف، توجد مطوية في أحشائها، لا سبيل إلى تذليل عقبة العلم بها إلا بالتكشيف. وحتى الآن لم يُكشَّف من منشور التراث إلا بعضُ جوانبَ من بعض الأمهات »[3].

(١، ٢) البحث العلمي في التراث ومعضلة النص (ص ٤).

(٣) البحث العلمي في التراث ومعضلة النص (ص ٢).

٨ - **النشر:**

ويتطلب طبع ما وثِّق وحقّق وكشّف، طبعًا لا يُفسد ما أُعدَّ، ثم توزيعَه توزيعًا واسعًا، يعين أكبرَ العون على ما قُصد « فكم من نصوص حققت ولم تجد طابعًا، وكم من محققات طبعت ولم تجد موزعًا، وكم من مطبوعات وزعت ولم تكد تجاوز أو يجاوز العلم بطبعها البلد الذي طبعت فيه... » [(١)].

بذلك يتم الإعدادُ العلمي الشامل للنص التراثي، ليبدأ، انطلاقًا منه، الإعدادُ العلمي الشامل للمصطلح التراثي.

٣ - ضرورة الإعداد العلمي الشامل للمصطلح التراثي ثانيًا:

ذلك بأن ما أقرته ندوة الرباط سنة (١٩٨١م) بشأن مصطلحات التراث، في المبدأ الرابع من ضرورة « استقراء وإحياء التراث العربي، وخاصة ما استعمل منه، أو ما استقر منه، من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث، وما ورد فيه من ألفاظ معرّبة ».

ثم ما اقترحتْه في المقترح الخامس من « الاستعانة بالتقنيات الحديثة الرائدة في استقراء التراث القديم والحديث، والمصطلحات الموضوعة، لتكون أساسًا لتنسيق المصطلحات وتوحيدها ».

كل ذلك ظل، أو كاد، صيحة في وادٍ؛ مما جعل بعض النقاد يثبت بالدليل العَمَلي « أن تراثنا الذي نعتز به ونفخر وندعو إليه مصدرًا علميًّا يستفاد منه - ما زال في جله مجهولًا أو مغبونًا، لم تفلح مؤسسة ولا فرد في الإحاطة به، وفي استقرائه تاريخًا ووصفًا، سواء في مجموعه أو في اختصاصاته » [(٢)].

ومثل ذلك يمكن أن يقال عما أقرته ندوة عمان سنة (١٩٩٣م)، من « اعتبار ما ورد بخصوص منهجية وضع المصطلح العلمي العربي في ندوة الرباط عام (١٩٨١م) الأساسَ الذي يَنْطلق منه تطوير هذه المنهجية » [(٣)].

---

(١) البحث العلمي في التراث ومعضلة النص (ص ٣).

(٢) محمد رشاد الحمزاوي، بحوث ندوة عمان (١٩٩٣م).

(٣) بحوث ندوة عمان (١٩٩٣م) النقطة الأولى من تقرير لجنة الصياغة.

ثم من المطالبة بـ « استقراء الأمهات من المؤلفات التراثية، والتعمق في آرائها ونظرياتها ومصطلحاتها القويمة المبررة للاستفادة منها في وضع المصطلح العلمي المعاصر ».

فهل فُعل شيء من هذا أو ذاك حتى اليوم؟ بل هل أُعدت كل الأمهات وأخرجت، ولو في بعض التخصصات؟ أم إن اعتماد التراث - كما قال الأستاذ الحمزاوي - « يستعمل أطروحة غنائية أسبابها كثيرة » [١].

إن الإعداد العلمي الشامل للمصطلح التراثي، هو الذي يؤهل للاعتماد العلمي الشامل له. وإسهامًا في تحقيق ذلك، تقترح المنهجية التالية:

١ - **الفهرسة**: وتقتضي إنجازَ معجم مفهرس للمصطلحات في كل تخصص من تخصصات التراث: ولا يكون ذلك إلا بفهرسة مصطلحات كل كتاب منشور من كتب التخصص أولًا، كما لا تكون تلك الفهرسة إلا من متخصصين فيه، وبالإحصاء والاستقراء التام.

٢ - **التصنيف**: تصنيف المصطلحات إلى معرّفة، فتفردَ مع تعاريفها، موثقة، وإلى غير معرفة، فترشحَ للتعريف. ثم تصنيفها مفهوميًّا تبعًا للنسق الأصلي لها في تخصص التراث، فتبعًا للنسق العلمي المعاصر الذي تنتمي إليه.

٣ - **التعريف**: تعريف المصطلحات غير المعرفة، ويتضمن المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، « معبرًا عنه بأدق لفظ وأوضح لفظ وأجمع لفظ » مع ضرب المثال ليتضح المقال [٢].

٤ - **التخزين**: تخزين كل المصطلحات، بأحدث الوسائل، في مركز جامع لمصطلحات كل التخصصات العلمية في التراث.

٥ - **النشر**: نشر ما خزن، بكل الوسائل الحديثة، على مراكز البحث المعنية بالمصطلح؛ من مجامع وجامعات، ولجن ومنظمات... تيسيرًا للانتفاع به في الوضع وغير الوضع.

هذا ولقطع هذه الخطوات، يلزم وضع خطة واتخاذ إجراءات، وبإمكان معهد

---

(١) بحوث ندوة عمان (١٩٩٣م).

(٢) نظرات في منهج الدراسة المصطلحية (ص ٩).

الدراسات المصطلحية - لانشغاله البالغ بالمصطلح التراثي - تفصيل ذلك عند الاحتياج إليه، وانعقاد العزم على المضي في اتجاهه.

وبما تقدم - إن أنجز - يكون الإعداد قد تم، وبتوظيفه يكون الاعتماد أشمل وأتم، ولا يبقى مما يلزم - فيما أعلم - إلا كلمة عن التصور الحضاري الشامل للوضع المصطلحي:

٤ - ضرورة التصور الحضاري الشامل للوضع المصطلحي ثالثًا:

في عملية الوضع المصطلحي - ولا سيما في العلوم الإنسانية - **لا بد من مراعاة الأبعاد الثلاثة للوضع:**

١ - بعد الوصل بماضي الذات، ذلك بأن ما يوضع لا يوضع في فراغ، وإنما يوضع في أمة ذات تراث، والتراث هو الذات، فينبغي أن ينسجم ما جدّ على الذات مع خصوصية الذات وخصائص الذات، وإلا ضاعت أموال وطاقات، وجهود وأوقات، ثم نعود بعد عقود أو قرون للبحث عن الذات، أو عما ضاع من الذات.

٢ - بعد التواصل مع حاضر الذات للمّ الشتات، وتقريب المتباعد، وتأليف المتنافر، وتوحيد المتعدد. ومن ثم ينبغي أن يكون هناك قبل الوضع استيعاب للموجود، وعند الوضع تنسيق مع مختلف الجهود، وبعد الوضع استعداد للتوحد على أفضل الموجود بأقل مجهود. وإلا فرّقنا من حيث نريد أن نجمع، وعدّدنا من حيث نريد أن نوحد.

٣ - بعد التوصيل لمستقبل الذات، وذلك باستشراف آفاق المستقبل عند الوضع:

- **من إبداع مصطلحي،** لبناء ذات المستقبل أو مستقبل الذات، ولا إبداع مصطلحي بغير الإبداع العلمي.

- **ومن استقلال مصطلحي،** لحوار الذات لغير الذات، ولا استقلال للمصطلح بغير استقلال مفهومه.

- **ومن تفوق مصطلحي،** لشهود الذات على غير الذات، ولا تفوق للمصطلح بغير تفوق أهله. وإن السماء لا تمطر تفوقًا ولا إمامة. بل لا بد من السبق في عالم الأسباب وإتيان البيوت من الأبواب.

هذه الأبعاد الثلاثة - تبعًا للمراعاة أو عدم المراعاة - هي التي تحدد للوضع موقعَه ووقعه، وواقعه، وهي التي تبرز مدى الاستفادة أو عدم الاستفادة فيه، من مصطلحات التراث وروح التراث.

فهل هناك حقًّا مراعاة؟

٥ - خاتمات متممات:

١ - المصطلح التراثي له الأسبقية متى وجد.

٢ - التقنيات الحديثة عليها المعول في سرعة استقرار المصطلح التراثي.

٣ - التخصص في المصطلح التراثي مطلوب في كل تخصص؛ كالتخصص في المصطلح المعاصر. ومن جمع بينهما فقد تحقق.

٤ - ربط كل التخصصات بكتب التراث ونظريات التراث في الوضع، يسهل عملية الاستفادة منها.

٥ - لا بد من توزيع المسؤوليات بين المجامع والجامعات، والمراكز والمعاهد واللجن والهيئات، في عملية الإعداد.

٦ - ضرورة استيعاب المنهجية والخطة البعيدة المدى، للمنهجية والخطة القريبة المدى، في الإعداد والوضع.

٧ - انتظار جهات القرار، يجعل المشروع المصطلحي كله في حالة انتظار، ولذلك يجب الاستمرار بما تيسر.

وسيجعل الله بعد عسر يسرًا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فاس في ٢٢ - ١٠ - ١٩٩٩م

نحو تصور حضاري
للمسألة المصطلحية

مُقَـدِّمَة

الحديث في « **المسألة المصطلحية** » حديث ذو شجون، وما في الصدر منه أكثر مما في السطر:

ولو أن قيسًا أنطقتني رِمَاحُها نطقتُ ولكنَّ الرِّماحَ أَجَرَّت

فيا حسرة على « قيس » و « رماح » قيس!!

ويا ليت قومي يعلمون بأن « المسألة المصطلحية » هي قلب الإشكال، ومفتاح الإقلاع، ومحرك التجديد؛ ذلك بأنها تتعلق ماضيًا بفهم الذات، وحاضرًا بخطاب الذات، ومستقبلًا ببناء الذات.

ويا ليت قومي يعلمون بأن « المسألة المصطلحية » هي محور الصراع، وجوهر النزاع، ومركز الدفاع؛ ذلك بأن عليها المدار منذ استخلاف آدم عليه السلام حتى قيام الساعة، وفيها النزاع بين المستكبرين والمستضعفين في مختلف الأمصار والأعصار، وبها الدفاع عن الهوية الدينية، والخصوصية الثقافية، والوجهة الحضارية.

ألا ليت قومي يعلمون بأن المصطلح الذي أنزل إليهم من ربهم هو المصطلح، ولو أنهم أقاموا المصطلح الذي أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

ألا ما أحوج الأرض اليوم إلى من يقيم فيها مصطلح الذكر كما أُنزل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، لتستدير من جديد كهيئتها يوم خلق الله السماوات والأرض، ويقام الميزان والوزن بالقسط.

ألا إن شأن مصطلح الذكر لعظيم، وتغييره أو تبديله مما يحسبه الناس هينًا وهو عند الله عظيم، ومسه بسوء مس بالنظام العام للكون والحياة والإنسان جِدُّ أثيم.

ذلكم ما تومئ إليه الكلمة الأولى: « نظرات في المسألة المصطلحية ». وكانت خاتمة الكلمات في « مؤتمر قضايا المصطلح » الذي أقامته كلية الآداب بجامعة تشرين باللاذقية بين (٢٨ - ١٩٩٨/٤/٣٠م).

وذلكم ما تنطلق منه الكلمة الثانية « نحو تصور حضاري شامل للمسألة المصطلحية » التي أصلها محاضرة ألقيت بـ « مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية »

بالرياض عشية يوم الإثنين (٣٠ شوال ١٤٢٢هـ).

وكلتاهما « رؤوس أقلام لفتح أبواب الكلام ».

وعسى الله ﷻ أن ييسر في غد ما يبسط به هذا الإجمال: ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٢٤].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فاس في (١٤ ذو القعدة ١٤٢٣هـ)

الشاهد البوشيخي

غفر الله تعالى له

الفَصْلُ الأوَّلُ

نظرات في المسألة المصطلحية

افتتاح:

موضوع هذه الكلمة كما هو مسطر في برنامج المؤتمر: **نظرات في المسألة المصطلحية**.

وأول ما أفتتح به القول، بعد « السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته »، تحية من عند اللّه مباركة طيبة، هو الشكر أجزل الشكر لأهلنا في شمال المشرق، من أهلكم في شمال المغرب، على هذا الاستدعاء الكريم لهذا المؤتمر العظيم، الذي لو لم يكن فيه إلا الرغبة الصادقة في الالتقاء من جميع الأبناء على النداء: « أن تعالوا يا أهل المصطلح إلى كلمة سواء »، لكفى وشفى. وما أشبه « نداء اللاذقية » اليوم « بنداء اليرموك » أمس!:

« فتعالو يا أهل العلم إلى كلمة سواء بيننا وبينكم:

- ألا نستعمل إلا مصطلحًا واحدًا للمفهوم الواحد في المجال العلمي الواحد.
- وألا نقترض من خارج الذات، إلا بعد الفراغ من إحصاء ممتلكات الذات.
- وألا يعمل بعضنا بمعزل عن بعض، ونحن جميعًا قطع في محرك واحد هو محرك الذات.. » [1].

وثاني ما أفتتح به القول، أن هذه النظرات، إن هي إلا رؤوس أقلام لفتح أبواب الكلام، في هَمٍّ عظيم مقيم، يقض مضجع كل حليم: همّ المصطلح الذي يتعلق ماضيًا بفهم الذات، وحاضرًا بخطاب الذات، ومستقبلًا ببناء الذات.

فما هو مفهوم المسألة المصطلحية إذن في هذه النظرات؟

وما علاقتها بماضي الذات وحاضرها ومستقبلها؟

وهل لها في هذا الظرف من مستعجلات؟

ذلكم ما ستدور عليه تلكم النظرات:

---

(١) من كلمة للمؤلف باسم الوفود في مؤتمر النقد الأدبي الخامس بالأردن (١٩٩٤/٦/١٤م)، انظر: نشرة أخبار المصطلح، العدد الأول.

أ - مفهوم المسألة المصطلحية:

المسألة المصطلحية في هذه النظرات، ليست هي تعريف اللفظ المصطلح، ولا وضع المصطلح المقابل لمصطلح، ولا اقتراح مصطلح جديد لمفهوم جديد ازدان به فرش عالم المصطلح، وكل ذلك من البحث في المصطلح.

والمسألة المصطلحية في هذه النظرات، ليست هي أيضًا تعريف علم المصطلح، ولا البحث في قضايا علم المصطلح، ولا دراسة مصطلحات علم المصطلح. وكل ذلك أيضًا من صميم البحث في المصطلح.

إنما المسألة المصطلحية في هذه النظرات، هي تلكم المسألة التي تستلزم كل ذلك، وتوظف كل ذلك وغير ذلك، مما له صله بذلك، في تعريف الذات الحضارية المستعملة للمصطلح: ماذا كانت؟ وماذا هي الآن؟ وماذا ينبغي أن تكون؟ إنها المسألة المصطلحية الحضارية بالمفهوم الشامل، لا بالمفهوم العلمي الخاص أو الأخص. إنها المسألة التي تبحث مصطلح الماضي، بهدف الفهم الصحيح، فالتقويم الصحيح، فالتوظيف الصحيح. وتدرس مصطلح الحاضر بهدف الاستيعاب العميق، فالتواصل الدقيق، فالتوحد على أقوم طريق. وتستشرف آفاق مصطلح المستقبل، بهذف الإبداع العلمي الرصين، والاستقلال المفهومي المكين، والتفوق الحضاري المبين.

ب - علاقة المسألة المصطلحية بماضي الذات:

إنها علاقة الفهم فالتقويم فالتوظيف. وضرورة ذلك بينة لذي عينين؛ **لأسباب، أهمها:**

١ - **أن تراثنا هو ذاتنا**؛ إذ المستقبل غيب، والحاضر علميًا لا وجود له، فلم يبق إلا الماضي الذي هو مستودع الذات وخزان الممتلكات، بما لها وما عليها من ملحوظات وملاحظات. فكيف نعرف إذن الذات إذا لم نفقه التراث؟

٢ - **أن مفتاح التراث هو المصطلحات.** وإنما توتى البيوت من أبوابها، وأبواب كل علم مصطلحاته، بل إنها خلاصة البحث فيه في كل عصر ومصر؛ ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم، وفي تطورها يتلخص تطور العلم.

٣ - **أن مفتاح المفتاح هو الدراسة المصطلحية للمصطلحات**؛ ذلك بأنها تعرِّف غير المعرَّف، وهو الأغلب، وتدقق تعريف ما عُرِّف فلم يُعرَّف، وهو الأقل، وتصحح أخطاء أصحاب النظارات الملوَّنة، أو الذين يدرسون التراث بالطائرة، أو الذين لا يقوم منهجهم

على الإحصاء، فتند عنهم أشياء وأشياء، فضلًا عن أنها تصف المصطلح نعوتًا وعيوبًا بما يَشِفُّ، وتدرسه ضمن ما يأتلف معه ويختلف، إلى غير ذلك مما يضيء شخصية المصطلح، ويكون بطاقة هوية مفصلة له.

لكن تلك الضرورة لا تلبَّى بأسرع ما يمكن، ولا بأضبط ما يمكن، إلا إذا قام منهج الدراسة المصطلحية على ثلاث دعائم:

أولًا: العلمية؛ وأساسها الإحصاء، فالدراسة المعجمية، فالنصية، فالمفهومية، على نمط خاص يكفل الوصول إلى نتائج يمكن علميًا أن يطمأن إليها، ولا تكون من قبيل رأي ربيعة بن حذار في شعر الزبرقان بن بدر أنه: « كَلَحْم أُسخِنَ، لا هو أنضِج فأكل، ولا هو ترك نَيِّئًا فُينتَفَع به ».

ثانيًا: المنهجية؛ وأساسها تقديم الدراسة الوصفية بشروطها على الدراسة التاريخية بشروطها حين يحين أوانها.

ثالثًا: التكاملية؛ وأساسها التنسيق؛ حتى لا يركب الباحثون بعضهم بعضًا، ولأجل ذلك أسس مثل معهد الدراسات المصطلحية، ومن أجل ذلك أصدر وِرَاقيته « دليل الباحث الناشئ في المصطلح »، ويصدر نشرته: « أخبار المصطلح » التي صدر منها ثلاثة أعداد: لو يجد على همه ظهيرًا، فيقدر على إيصال الغذاء إلى كل الأنحاء.

ومع تعبد الطريق في الظاهر، هناك عوائق تكاد تمنع من السير، على رأسها، عائق النص التراثي الذي هو في تقدير عدد من أبرز المحققين، أغلبه غير محقق، ومحققه أغلبه غير موثق، وموثقه أغلبه غير مكشف، وتلك قاصمة الظهر بالنسبة إلى المصطلحي.

جـ - علاقة المسألة المصطلحية بحاضر الذات:

وهي كما تقدم علاقة الاستيعاب، فالتواصل، فالتوحد. ودون ذلك - كما يقال - خرط القتاد؛ إذ الانصراف شبه تام عن الاستيعاب لمصطلحات التراث، والانصراف شبه تام إلى استقبال مصطلحات غير الذات. وقد قيل في نظرات سابقة ما نصه: « الاهتمام بالمسألة المصطلحية اليوم، حيثما كان، في أمتنا، قد ولى وجهه، كلية أو كاد، شطر المصطلح الوافد، لا تشذ - أو لا تكاد تشذ - عن ذلك مؤسسة أو فرد، من مجامع إلى جامعات، ومن معاهد ومراكز إلى لجن ومنظمات، كلها تتسابق، بتنسيق أو بدون تنسيق، « متنافسة » في تلقي المصطلح الوافد.

ومن رجالها من يستقبله استقبال الفاتح المنقذ، بقلبه وقالبه، معنى ومبنى.

ومن رجالها من يلبسه الزي العربي كيفما كان؛ لاعتبارات شتى دون أي مس لمفهومه.

ومن رجالها - وهم القلة النادرة - من يقفونه في حدود الأمة الحضارية للسؤال، والتثبت من الهوية، وحسن النية، ودرجة النفع، وقد يتعقبونه في مختلف المجالات والتخصصات التي قد يكون عشش فيها، وباض وفرخ بغير حق » [١].

هذا فضلًا عن أن العجز شبه تام، عن التواصل الدقيق بين أجزاء الذات، والعجز شبه تام، عن إنتاج الخطاب الموحد للذات، والعجز شبه تام أيضًا لاستيعاب ما يجري في الذات أو خارج الذات.

ومن أهم أسباب ذلك، مما ذكره الذاكرون أو غفل عن ذكره الغافلون:

١ - انعدام الإدراك الشامل للمسألة المصطلحية، بأبعادها الحضارية أو شبه الانعدام.

٢ - تعدد مصادر الوضع المصطلحي.

٣ - انفصال مصادر الوضع عن جهات القرار.

٤ - انعدام الإلزام في قرارات مكتب تنسيق التعريب.

٥ - انعدام الالتزام في الإدارة والتعليم والإعلام بما يصدر عن مصادر الوضع والتنسيق.

ولا علاج بغير:

١ - توحيد المتعدد (مجمع واحد يكون هو مجمع المجامع).

٢ - ووصل المنفصل.

٣ - وإيجاد المنعدم.

وأهم سلطة مرشحة لذلك هي سلطة جامعة الدول العربية (ممثلة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الأليكسو).

د - علاقة المسألة المصطلحية بمستقبل الذات:

وهي كما تقدم أيضًا استشراف آفاق مصطلح المستقبل، **وتتلخص في ثلاث**:

---

(١) نظرات في المصطلح والمنهج (ص ٩).

١ - **ضرورة الإبداع المصطلحي** لبناء ذات المستقبل أو مستقبل الذات، ولا إبداع مصطلحي بغير الإبداع العلمي، وإنما يسمى من ولد، ولا ولادة طبيعية بغير أبوين، اللغة الأم، والتراث الأب، ومن شذ شذ في الضياع، وإنما يأكل ذئب التاريخ من اجتهادات الأمم القاصية.

٢ - **ضرورة الاستقلال المصطلحي**، لحوار الذات لغير الذات، ولا استقلال للمصطلح بغير استقلال مفهومه، وإنما يحاور من له اعتبار، ولا اعتبار للنسخ، إلا بمقدار شدة مطابقتها للأصل.

ولذلك لا بد من التأكد من النسب قبل تدوين المصطلح في سجل مصطلحات العرب.

٣ - **ضرورة التفوق المصطلحي** كيفًا وكمًا. لشهود الذات على غير الذات، ولا تفوق للمصطلح بغير تفوق أهله. وإن السماء لا تمطر تفوقًا ولا إمامة حضارية، بل لا بد من السبق في عالم الأسباب، وإتيان البيوت من الأبواب، وإلا رغمت أنوف العرب في التراب حتى يراجعوا الحساب.

هـ - مستعجلات المسألة المصطلحية:

وأحسب أن أهمها خمس:

١ - ضرورة التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية.

٢ - ضرورة حل معضلة النص التراثي في مختلف العلوم توثيقًا وتحقيقًا وتكشيفًا.

٣ - ضرورة التزام منهجية مستوعبة لما لدى الذات وغير الذات في الوضع.

وقد قيل عن هذا أيضًا في النظرات السابقة ما نصه:

« إن المصطلح الوافد - السائد أو غير السائد - لا يواجه - ولا ينبغي أن يواجه - بمنهج « العثور ». إنه لا بد من خطة علمية شاملة حاسمة، لمواجهة ما أسماه بعضهم بـ « الطوفان المفهومي »، **خطة تقوم:**

أولًا: على إحصاء ممتلكات الذات، ثم تقوم:

ثانيًا: على استيعاب ما لدى الآخر من علم بعلم، في مختلف التخصصات. ثم تقوم:

ثالثًا: على الاقتراض الحضاري بعلم، من خارج الذات، حسب حاجات الذات.

وذلك يعني - فيما يعني - صرف الجهد في:

- مجال النص التراثي أولًا: لأنه مجلى الذات وخزان الممتلكات.

- ثم مجال لغة النص ثانيًا: ولا سيما الاصطلاحية؛ لأنها المدخل الوحيد للتمكن من الفهم السليم للمفاهيم، الذي عليه ينبني التقويم السليم، فالاقتراض الحضاري السليم.

- ثم مجال منهج دراسة النص مقامًا ومقالًا ثالثًا؛ لأنه الهادي إلى استنباط الهدى اللازم للحضور والشهود الحضاري، مما لا حاجة إلى اقتراض الأمة له من خارج الذات.

- ثم مجال الوافد من خارج الذات رابعًا واستيعابه عند أهله، بالتخصص فيه، بلغات أهله، ثم بتتبع آثاره فينا بالدرس العلمي لا بالخرص؛ لأن ذلك الذي يمنعنا من أن نَظلم أن نُظلم، ويؤهلنا للشهادة على الناس بعلم » [1].

٤ - ضرورة توحيد جهة البت في الوضع والإذن في الاستعمال قبل الاستعمال.

٥ - ضرورة تدخل سلطة الجامعة العربية للإلزام، وإلا صار كلامنا، وكلام سوانا ممن قبلنا ومن بعدنا، كلامًا في كلام في كلام في كلام...

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٥١].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

اللاذقية ٣٠ - ٤ - ١٩٩٨م

---

(١) نظرات في المصطلح والمنهج (ص ١١، ١٢).

الفَصْلُ الثَّانِي

نحو تصور حضاري شامل للمسألة المصطلحية

١ - مقدمة في الواقع الحالي للاهتمامات المصطلحية:

المصطلح عنوان المفهوم، والمفهوم أساس الرؤية، والرؤية نظارة الإبصار التي تريك الأشياء كما هي؛ بأحجامها وأشكالها وألوانها الطبيعية، أو تريكها على غير ما هي: مصغرة أو مكبرة، محدبة أو مقعرة، مشوهة النسق والخلقة، أو ملونة بألوان؛ كالحمرة والزرقة. وما عهد قراءة الغرب بعينيه لتراثنا ببعيد. وما أثر نظارتيه الزرقاء والحمراء فينا بخفي.

ولقد كان مدار وحي الرحمن - جل وعلا - مذ آدم حتى محمد عليهما الصلاة والسلام، على حفظ مصطلح الذكر من أن يصيب مفهومه تغيير أو تبديل؛ فتفسد الرؤية، ويقع الإفساد في الأرض: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

والتطابق بين الكتاب وأم الكتاب في الملأ الأعلى تام: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤].

والتطابق بين الكتاب، ودين اللّٰه، وفطرة اللّٰه، وخلق اللّٰه، في الكون تام: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠]، ومن غيَّر فقد أفسد: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وإنما مدار عمل الشيطان وحزبه، مذ إبليس إلى قيام الساعة، على محاولة تغيير المفهوم وتبديل المصطلح، أي تغيير الدين، والفطرة، والخلق: ﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩]، وفي الحديث القدسي: « **خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم..** » (١).

---

(١) خرجه مسلم في كتاب الجنة، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

وما الجهود التي بذلها المستكبرون في الأرض، المعبِّدون الناس للطاغوت، قديمًا وحديثًا، إلا صور من تلك المحاولات لتغيير المفهوم وتبديل المصطلح.

وهذا فرعون ومؤمن آل فرعون في القديم، يتنازعان مفهوم مصطلح « سبيل الرشاد » ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر:٣٨].

وها هو اليوم مصطلح شريف كالجهاد، يغيِّر مفهومه المتكبرون في الأرض، ويبدلون مصطلحه ليصير إرهابًا، بعد أن غيروا مفهوم الإرهاب ليصير فعلًا بعد أن كان حالًا، ومكروهًا بعد أن كان مطلوبًا.

وكذلك الأمر في أغلب المصطلحات التي تقوم عليها الحياة؛ كالخير والشر، والعدل والظلم، والحق والباطل، والسلام والإجرام،.. غيّر مفاهيمها العالون في الأرض أصحاب الأهواء، ولووا أعناقها كما لوى فرعون عنق مفهوم الفساد، وهو يقول عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦].

وكأني بجميع الذين أنعم اللّٰه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في المنطق الإبليسي مفسدون، وكأني بهم في المصطلح الإبليسي المعاصر إرهابيون.

ألا ما أحوج الأسماء كلها التي عُلِّمها أبونا آدم – عليه الصلاة والسلام – إلى من يصونها ويحميها؛ بحراسة مفهومها، وصيانة استعمالها وتنزيلها.

وألا ما أحوج الأرض اليوم إلى من يقيم فيها مصطلح الذكر كما أنزل، لتستدير من جديد كهيئتها يوم خلق اللّٰه السماوات والأرض، ويقام الميزان والوزن بالقسط، فيقال للحق حق، وللباطل باطل.

ألا إن شأن المصطلح العام لعظيم، وتغييره أو تبديله مما يحسبه الناس هينًا وهو عند اللّٰه عظيم، ومسه بسوء مس بالنظام العام للكون والحياة والإنسان.

ولذلك ينبغي النظر إلى واقع الاهتمام المصطلحي في الأمة اليوم من هذا الموقع، **ولذلك قيل عن ذلك في نظرة سابقة في المصطلح والمنهج ما نصه:**

« الاهتمام بالمسألة المصطلحية اليوم حيثما كان، في أمتنا، قد ولى وجهه كلية،

أو كاد، شطر المصطلح الوافد، لا تشذ - أو لا تكاد تشذ - عن ذلك مؤسسة أو فرد، من مجامع إلى جامعات، ومن معاهد إلى لجن ومنظمات، كلها تتسابق، بتنسيق أو بدون تنسيق، متنافسة في تلقي المصطلح الوافد.

ومن رجالها من يستقبله استقبال الفاتح المنقذ؛ بقلبه وقالبه، معنى ومبنى.

ومن رجالها من يُلبسه الزّي العربي كيفما كان؛ لاعتبارات شتى، دون أي مس لمفهومه.

ومن رجالها - وهم القلة النادرة - من يقفونه في حدود الأمة الحضارية للسؤال، والتثبت من الهوية، وحسن النية، ودرجة النفع، وقد يتعقبونه في مختلف المجالات والتخصصات التي قد يكون عشش فيها، أو باض وفرخ بغير حق » [١].

أما الاهتمام بمصطلح الذات هو خزان الممتلكات، والذي يجب أن يكون على رأس الأولويات، فلا يكاد للأسف يحظى بأدنى التفات. وذلك وحده دليل على أن الأمة ما تقدر أمر المصطلح قدره، ولما تفقه طبيعة الإشكال المصطلحي، ولما تتصور المسألة المصطلحية التصور المطلوب.

٢ - مفهوم المسألة المصطلحية:

الذي يتبادر إلى الذهن أولًا، هو هذا الهم المصطلحي الذي حمّله مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليكسو)، التابعة لجامعة الدول العربية، وما يُنسق، أو يُفترض أن ينسق، بينه من مجامع لغوية، ومعاهد ومؤسسات، ولجن عليا أو دنيا للترجمة والتعريب.

والمفهوم الذي يستخلص من هذا الهم للمسألة المصطلحية ببساطة هو أنها: قضية الترجمة والتعريب للمصطلحات الأجنبية اليوم في العالم العربي.

فالمصطلح الذي هو في البؤرة هو المصطلح الأجنبي، أي مصطلح غير الذات، الذي دخل حديثًا، أو يريد الدخول إلى الذات، بسبب الاستعمار وما لحقه من موجات التحديث والعصرنة والتقدم والتنمية..

---

(١) نظرات في المصطلح والمنهج (ص ٩).

والإشكال الذي يعالج هو إشكال التعريب للتعليم والإدارة وما يتصل بهما من علوم أجنبية، أو يلحق بهما من بقية مجالات الحياة العامة المتأثرة بالاستعمار، وما لحقه من موجات.

والتصور الذي يقف خلف ذلك كله، هو أن الشرط الأساسي لنهضتنا عربًا، وتسريعها، هو استيعاب ما لدى الغير من جديد بالعربية.

وهذا المفهوم – على وجاهته – عليه مآخذ، أهمها:

١ – أنه يترك مساحات شاسعة من المسألة المصطلحية خارج الاعتبار، بل يترك الأهم والأَوْلى بأن يكون هو الهمّ المقدَّم، وهو مصطلحات الذات؛ إذ على أساسها، وفي ضوء مفاهيمها، والرؤية الحاصلة منها، يجب استيعاب ما لدى الغير، واستقبال مصطلحات غير الذات.

٢ – أن الإشكال فيه جزئي، يقتصر على ما تعانيه الأمة في جعل ما تغرب لفظًا معرَّبًا، ويهمل ما هو أدهى من ذلك وأمرُّ، وهو ما تعانيه الأمة من أمر المصطلح الأصل، الذي به قامت، وعليه قامت، وله قامت. المصطلح الذي به كانت الأمة الوسط بين الناس، وبه كانت خير أمة أخرجت للناس، وبه كان رجالها شهداء على الناس: مصطلح القرآن والسنة البيان؛ إذ هي لا تفهمه اليوم حق الفهم، ولا تقوم به أو عليه أو له، ولا تقيمه كما أمرت، صدقًا وعدلًا كما ينبغي له.

ومثل ذلك يقال عما تعانيه من أمر المصطلح الفرع، الذي يمثل خلاصة تفاعلها مع التاريخ وفي التاريخ. المصطلح الذي يمثل كسبها وإسهامها الحضاري في مختلف المجالات: مصطلح العلوم والفنون والصناعات؛ لا تعلمه هو كذلك حق العلم، ولا تقوِّمه حق التقويم، ولا توظفه حق التوظيف.

٣ – أن التصور الذي يقف خلف هذا المفهوم لا يمثل حقيقة أولويات شروط النهضة؛ إذ قد يقع التعريب الكامل ولا تنتج عنه النهضة المطلوبة. وما مثال بعض الدول العربية التي عربت حياتها كلها منذ عشرات السنين عنا ببعيد.

ذلكم ما يتبادر إلى الذهن أولًا، وذلكم ما يستخلص منه، بما له وما عليه، وليس هو المفهوم المراد من المسألة المصطلحية.

فما المفهوم المراد؟

لقد قيل في نظرات سابقة: (١) ما نصه:

« **المسألة المصطلحية** في هذه النظرات، ليست هي تعريف اللفظ المصطلح، ولا وضع المصطلح المقابل لمصطلح، ولا اقتراح مصطلح جديد لمفهوم جديد ازدان به فرش عالم المصطلح. وكل ذلك من البحث في المصطلح.

والمسألة المصطلحية في هذه النظرات، ليست هي أيضًا تعريف علم المصطلح، ولا البحث في قضايا علم المصطلح، ولا دراسة مصطلحات علم المصطلح. وكل ذلك أيضًا من صميم البحث في المصطلح.

إنما المسألة المصطلحية في هذه النظرات، هي تلكم المسألة التي تستلزم كل ذلك، وتوظف كل ذلك وغير ذلك، مما له صلة بذلك، في تعريف الذات الحضارية المستعملة للمصطلح:

ماذا كانت؟

وماذا هي الآن؟

وماذا ينبغي أن تكون؟

إنها المسألة المصطلحية الحضارية بالمفهوم الشامل، لا بالمفهوم العلمي الخاص أو الأخص.

إنها المسألة التي تبحث مصطلح الماضي، بهدف الفهم الصحيح، فالتقويم الصحيح، فالتوظيف الصحيح. وتدرس مصطلح الحاضر بهدف الاستيعاب العميق، فالتواصل الدقيق، فالتوحد على أقوم طريق. وتستشرف آفاق مصطلح المستقبل، بهدف الإبداع العلمي الرصين، والاستقلال المفهومي المكين، والتفوق الحضاري المبين ».

ومن هذا النص يستفاد:

١ – **سعة المفهوم**، حتى لا يخرج منه أي اهتمام من اهتمامات المصطلح، أو همٍّ من همومه؛ سواء تعلق بأصل الذات، أو بالنابت من الذات، أو بالوافد على الذات.

٢ – **كلية الإشكال** الذي يعالجه، وعمقه وخطورته؛ لأنه « يتعلق ماضيًا بفهم الذات، وحاضرًا بخطاب الذات، ومستقبلًا ببناء الذات » (٢).

---

(١) انظر ما سبق في (ص ٧٨).

(٢) من كلمة افتتاح « ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم » مجلة كلية الآداب بفاس، عدد خاص (٤) (١٤٠٩هـ) (ص ١٢).

٣ – شمولية التصور الذي يقف خلفه وحضاريته؛ لمسه الأبعاد والجوانب كلها في الأمة، واستهدافه توظيفها جميعها، في نقل الأمة من الواقع المهين، إلى الموقع المكين بالأفق المبين.

٣ – مجالات المسألة المصطلحية:

المجال المألوف في التصور العادي المعروف للمسألة المصطلحية، هو مجال العلوم المادية، وأقصى امتداد له ينتهي عند نهاية مجال العلوم الإنسانية؛ لأنهما – بهذا الترتيب – مظنة الحضور الطبيعي للمصطلح الوافد الذي هو في البؤرة.

أما في التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية فإن المجالات تصير ثلاثة، وبهذا الترتيب المخالف للمألوف: مجال الشرع وعلومه، ثم مجال الإنسان وعلومه، ثم مجال المادة وعلومها.

فأما مجال الشرع وعلومه، فهو رأس الأمر وعموده وذروة سنامه، ومصطلحه المصطلح الشريف، وأشرفه مصطلح القرآن، ثم مصطلح السنة البيان، ثم مصطلح العلوم المستنبطة منهما والخادمة لهما. وعلى قدر حاجة الأمة إلى تجديد التدين، تكون حاجة المصطلح في هذا المجال إلى تجديد الفهم والتبيُّن. و « لئن كان في الأفق منهج يلوح وكأن به بعضًا من خصائص عصا موسى – عليه الصلاة والسلام – في إبطال السحر وإحقاق الحق في الفهم، فهو منهج الدراسة المصطلحية؛ ذلك بأنه يتصدى أساسًا لضبط المفاهيم المكونة لأي نسقٍ، والدين في جانبه المعنوي والتصوري نسق من المفاهيم، أصلها في كتاب اللَّه ﷻ، وبيانها في بيانه السنة. مَن تمكَّن من تلك المفاهيم، ومن نسقها العام، تمكن من الصورة الصحيحة لهذا الدين، ومن تشوَّه لديه شيء منها أو منه، تشوهت لديه الصورة العامة لهذا الدين » [1].

وأما مجال الإنسان وعلومه، فحاجة المصطلح فيه إلى الجمارك الحضارية شديدة؛ لغلبة المصطلح الوافد على مساحات كبيرة منه؛ ذلك بأن البحث في هذا المجال « قائم الآن برؤية الآخر ومنهاج الآخر؛ قائم على الانطلاق من مفهوم مادي للإنسان، ورسالة مادية للإنسان، وعلاقات ونشاط مادي للإنسان، ومن ثم لا يمكن أن يُدرس إلا بمنهج مادي، ولا يُتصور له إلا تاريخ ومستقبل مادي... ».

---

(١) افتتاحية أخبار المصطلح (ع ٤)، (رمضان ١٤١٨هـ/ يناير ١٩٩٨م).

إنه في النظر القديم حيوان ناطق، وما هو بحيوان، ولكنه إنسان. وإنه في النظر الحديث ابن قرد، وما هو بابن قرد، ولكنه ابن آدم عليه السلام.

وإن مفرق الطريق هو هذا المنطلق؛ فشتان بين من يدرس نفس الإنسان، ومجتمع الإنسان، وتاريخ الإنسان... على أنه حيوان من الحيوان (كان ابن قرد أو لم يكن ابن قرد)، ومن يدرس نفس الإنسان، ومجتمع الإنسان، وتاريخ الإنسان... على أنه إنسان، هو ابن آدم النبي - عليه الصلاة والسلام - له خصوصية الخلق، وخصوصية الوظيفة، وخصوصية التكريم والتفضيل، وخصوصية العلم والعبادة، وخصوصية النفس والمجتمع والتاريخ والمصير...

وإن الأمة المرشحة لإنصاف الإنسان، هي هذه الأمة التي أنزل إليها الكتاب والميزان، وأمرت بإقامة الوزن بالقسط وعدم إخسار الميزان، وبهذه القوّامية بالقسط كانت وتكون لها الشهادة على الناس، وبها يجب أن يتم على يدها إنصاف البشرية، بإعادة الآدمية المسلوبة للعلوم الإنسانية كلها؛ فيصير علم النفس، علم النفس الإنسان لا الحيوان، ويصير علم الاجتماع، علم اجتماع الإنسان لا الحيوان... وهكذا في مختلف المجالات والتخصصات. وعندئذ تفرح البشرية بعودة آدميتها إليها، وتخسأ القردة والخنازير وعبد الطاغوت » [1].

وأما مجال المادة وعلومها فهو مجال السيادة للمصطلح الوافد؛ ويقصد به المجال الذي تتخذ المادة موضوعًا له « كانت صلبة أو سائلة أو غازية؛ كعلوم الفيزياء والكمياء، وعلوم طبقات الأرض وأجواز الفضاء، وعلوم الهندسة والصيدلة... وغير ذلك » [2].

وهو هو المجال الذي انصرف إليه جل الاهتمام كما تقدم، لكنه ما زال بعيدًا عن أن يتم في مصطلحه الحسم، لأسباب كثيرة تقدمت في علاقة المسألة المصطلحية بحاضر الذات.

ولا شك أن قدرًا ما - وإن قلَّ - من مصطلح هذا المجال سيكون متأثرًا بالتوجه الحالي لعلوم المجال « وهي مسخرة الآن للإنسان الحيوان..، بميزانه يصرفها كيف يشاء، وبميزانه، حسب مفهومه للنفع والضر، ينفع بها من يشاء ويضر بها من يشاء، ويبني بها ما يشاء ويهدم بها ما يشاء؛ لا حرج عليه أن تحرق آلاف الأطنان من الحبوب، ولو مات آلاف البشر جوعًا في الجنوب، من أجل أن تستقر الأسعار..، ولا حرج عليه أن ينفق

(١، ٢) مجلة الهدى (ع ٣٣)، (ص ٣٥).

كثيرًا من الأموال والطاقات والأوقات، من أجل أن يكون قادرًا على تدمير أكبر قدر من الكائنات في أسرع الأوقات!!!

يا لعظمة الإنسان الحيوان! بل يا لعظمة الحيوان المتخفي في صورة إنسان!!.. ألم يأن لهذه الأمة أن تصنع أئمة العلوم لتحدد وظيفة العلوم؟ كل العلوم، فيما ينفع الناس ويمكث في الأرض وتحمي العلوم من سلطة السحرة والكهان والمخْلدين إلى الأرض...

ويومئذ تفرح البشرية بانتصار « ابن آدم » على « ابن القرد »، وبانتصار الصلاح على الفساد في وراثة الأرض، وباستدارة الزمان - ومنه زمان العلم - كهيئته يوم خلق اللَّه السماوات والأرض؛ فتكون السيادة في الأرض للعلم، وتكون الإمامة في الأرض لأهل العلم، و ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨] (١).

٤ - المسألة المصطلحية والشهود الحضاري للأمة:

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ... ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فموقع الأمة هو الشهادة على الناس، وهو جَعْلٌ من اللَّه رب الناس، ملك الناس، إله الناس، كما جعل آدم في الأرض خليفة، وكما جعل إبراهيم إمامًا للناس، وكما جعل البيت مثابةً للناس، وكما جعل وجعل...

ولا شهادة بغير أهلية للشهادة، ولو في الأمور الصغيرة: ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فكيف بالشهادة على الناس كل الناس؟ **وشروط الأهلية في الآية:**

أولًا: أن تكونوا أمة؛ ولا أمة بغير وحدة ما يُؤَمُّ، ولا وحدة من يَؤُمّ ومن يُؤَمُّ؛ إذ مدار الأَمِّ كله في اللغة على القصد، ومدار الأُمَّة كلها على الوحدة في ذلك القصد.

ثانيًا: أن تكونوا وسطًا؛ ولا وسطية بغير خِيرَة، كما نصت الآية الأخرى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ولا خيرة بغير قوة وأمانة: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦]. وإنما توسد الأمانة للأقوياء لا للضعفاء. قال رسول اللَّه ﷺ: « **يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة** » (٢).

---

(١) مجلة الهدى (ع ٣٣)، (ص ٣٥، ٣٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها.

ومع ذلك، كل ذلك لا يكفي لأداء الشهادة؛ إذ لا بد **من الشهود؛ أي الحضور لأداء الشهادة**. وحين تكون الشهادة بالخيرة؛ أي بالحال أساسًا قبل المقال، ومن أمة لا من أفراد، وعلى الناس جميعًا لا على بعضهم، **فإن الشهود والحضور لا بد أن يكون حضاريًّا، أي حضورًا بالإمامة في كل المجالات وعلى جميع المستويات، وفي كل الأوقات**.

هذا الشهود الحضاري، هذا الموقع العلي، كيف يتصور المسير والمصير إليه من هذا الواقع الدني؟ كيف تنتقل الأمة الأشلاء من مشهودية الواقع إلى شاهدية الموقع؟ كيف تنتقل من الجمود والجحود إلى الاجتهاد والشهود؟ كيف وكيف وكيف؟..

« عبثًا نحاول إصلاح الحال قبل إصلاح العمل، وعبثًا نحاول إصلاح العمل قبل تجديد الفهم، وعبثًا نحاول تجديد الفهم قبل تجديد المنهج.. وما أشق ذلك في الأمة اليوم!! لكثرة الموانع وقلة الأسباب؛ فكم من ترسبات منهجية فاسدة أفرزتها وراكمتها قرون الضعف والانحطاط في الأمة لا تزال مستمرة التأثير، وكم من مقذوفات منهجية صبها الغرب صبًّا على رؤوس نابتة الأمة، أو نفثها في روعها، فهي فاعلة فيها فعل السحر!، وليس في الواقع - للأسف - اتجاه عام، أو شبه عام، إلى صنع كواسح الركام والألغام، ولا اتجاه جاد، أو شبه جاد، إلى تصنيع ما يخلص العباد من سحرة فرعون ذي الأوتاد، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد » [1].

إنه لا بد من منهج لفهم الذات لاكتشاف الذات.

ولا بد من منهج لخطاب الذات لتوحيد الذات.

ولا بد من منهج لتجديد الذات لشهود الذات على غير الذات.

وكل ذلك مما يدخل في التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية، ويسهم - بكفاءة وقوة - في حل معضلاته المنهجُ العام والخاص للدراسة المصطلحية.

٥ - المسألة المصطلحية وتحديات العولمة:

العولمة أضخم غول، وأشرس غول، أمكن لعبدة العجل إنتاجه: رأسُه عِجْلٌ جَسَدٌ لَهُ خوارٌ، وجِذْعُه الذي يحمل رأسه ويغذيه التكتلات والشركات المتعددة الجنسيات العالمية الضخمة. وأذرعه التي يبطش بها البنوك والمنظمات الدولية؛ كالبنك الدولي، وصندوق

---

(١) نحو منهج لدراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية (ص ٤).

النقد الدولي، ومجلس الأمن وغيرها. وأسلحته ذات الرؤوس النووية المدمرة للحضارات والثقافات والديانات هي المصطلحات. أَجَل، المصطلحات؛ بها يهيئ الأجواء في الأرض والسماء، وبها يخيف الضعفاء والأقوياء على السواء، وعلى أساسها يقرب البعداء ويبعد الأقرباء، وحماية لها - بزعمه - يضرب ما يشاء، بما يشاء كما يشاء، في الزمن الذي يشاء، والمكان الذي يشاء، وكأن حاله يقول: أنا ربكم الأعلى، وأليس لي ملك الأرض، وهذه الشعوب تبكي من تحتي؟

ومن أبرز تلك المصطلحات التي أعدها ويعدها لسحق ومحق الديانات والثقافات والحضارات، تمكينًا لدين العجل، وثقافة العجل، وحضارة العجل: **مصطلح حقوق الإنسان، ومصطلح الشرعية الدولية، ومصطلح الديمقراطية، ومصطلح النظام العالمي الجديد الذي تطور حسب المرحلة إلى العولمة**. ويلحق بها، مما هو دونها، كثير..

ولا شك أن أقوى سلاح مصطلحي حتى الآن، صنع له الأجواء، ليعد به الأجواء، للضرب من الأرض ومن السماء، هو **مصطلح الإرهاب**. هو الذريعة الفعالة الآن للتدخل في الخصوصيات للقضاء على كل الخصوصيات، ولو كانت دينية أو ثقافية أو حضارية. هو الذريعة الفعالة الآن لفعل فعلة فرعون: تذبيح الأبناء واستحياء النساء، خشية ولادة موسى. وإن اللَّه بالغ أمره، قد جعل اللَّه لكل شيء قدرًا.

فالحرب المصطلحية الآن أخطر من الحرب النووية، والمستهدف الأول فيها الإسلام؛ ذلك بأنه وحده الذي يملك المصطلحات القادرة على افتراس مصطلحات السحرة وتلقف ما يأفكون. وإنما تحتاج إلى أخذها بقوة، وإلقائها بقوة: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٧ - ٦٩].

فهل المسلمون اليوم قادرون على أخذ مصطلحاتهم بقوة، وإلقائها بقوة؟!

ذلك همُّ الهموم في التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية.

ومما يأخذ باليد، في اتجاه ذلك الأخذ، أن يعلم:

١ - أن للمصطلح الإسلامي، في أصله القرآني، خصوصية مفهومية غير قابلة للتغيير والتبديل، وذلك بسبب الطريقة التي استعمل بها اللفظ في القرآن الكريم، والسياقات

التي وضع فيها، حتى إنك لو حاولت تغيير دلالة لفظٍ لَفَظَكَ القرآن خارجه. وهذا من إعجازه المصطلحي، فهو كتاب يحمل معجمه فيه، ويحمي معجمه به، ولا سبيل إلى التمكن من معجمه من خارجه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

٢ - **أن طبيعة المصطلح الإسلامي، في أصله القرآني، عالمية**، لا تحتاج إلى عولمة، وذلك من إعجاز القرآن الكريم أيضًا، فلو أخذت مثلًا معلَّقة لبيد، أو أي معلقة من المعلقات، وهن هن المختارات، وقارنتها بسورة العلق مثلًا، لوجدت في المعلقة الإنسان المعين، والمكان المعين، والزمان المعين، بينا في السورة لا تجد أثرًا لمعيَّن: الإنسان مطلق، وبلفظ الإنسان نفسه، والزمان مطلق، إلا زمن الأفعال التي أطلقت بحذف مفاعيلها، والمكان غائب ألبتة. مع أن أول السورة مسرحه غار حراء، وما بعده مسرحه المسجد الحرام. وذلك جعل المصطلحات التي وردت بالسورة لا أثر فيها للمحلية؛ فمصطلح الخلق، ومصطلح الإنسان، ومصطلح التعليم، ومصطلح الطغيان، ومصطلح الاستغناء، ومصطلح الصلاة، ومصطلح الهدى، ومصطلح التقوى، ومصطلح الطاعة، ومصطلح السجود، ومصطلح الاقتراب... كلها عالمية منذ البداية، لا أثر فيها لمكة، أو قريش، أو بني هاشم، أو بني مخزوم، أو الحجاز، أو العرب. والسبب في ذلك أنها من اللَّه ﷻ، رب الناس، ملك الناس، إله الناس جميعًا.

٣ - **أن طبيعة مفهوم المصطلح الإسلامي، في أصله القرآني، شمولية** يصغر أمامها كل كبير، وتمتد إلى آفاق وأعماق، ليس من السهل أن تذاق، بله أن تطاق. وذلك معنى القول السابق: إن الإسلام وحده الذي يملك المصطلحات القادرة على افتراس مصطلحات السحرة. وإنما تحتاج إلى من يأخذها بقوة، ويلقيها بقوة، فإذا هي تلقف ما يأفكون.

٦ - خاتمة في مستعجلات المسألة المصطلحية:

وأحسب أن أهمها تسع:

١ - ضرورة التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية.

٢ - ضرورة حل معضلة النص التراثي في مختلف العلوم، توثيقًا وتحقيقًا وتكشيفًا.

٣ - ضرورة اعتماد منهج الدراسة المصطلحية، في الكشف عن مفاهيم المصطلحات.

٤ - ضرورة إنجاز المعجم المفهومي للقرآن الكريم. ويراد به المعجم الذي يحدد مفاهيم ألفاظ القرآن الكريم ومواقعها في النسق المفهومي الكلي للقرآن الكريم، ليمكن الوصول إلى الفهم الكلي النسقي للقرآن الكريم.

٥ - ضرورة إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية.

٦ - ضرورة التزام منهجية مستوعبة لما لدى الذات وغير الذات في وضع المصطلحات.

٧ - ضرورة توحيد جهة البت في الوضع والاستعمال للمصطلحات.

٨ - ضرورة إلزام الإدارة والإعلام والتعليم والثقافة بالمصطلح الإسلامي للوقاية من أخطار العولمة وغيرها.

٩ - ضرورة إنشاء جهاز داخلي للتمشيط المصطلحي (بلغة العسكريين) في مختلف العلوم، وتأسيس مكاتب جمركية، في كل نقط التَّماسِّ الحضاري، تأمينًا لسلامة الذات.

وإلا تفعلوه، تكن فتنة في الأمة وفساد كبير، أكبر مما هو واقع ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٥١] .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فاس في ٢٧ شوال ١٤٢٢هـ / ١١ يناير ٢٠٠٢م

القرآن الكريم
والدراسة المصطلحية

مُقَـدِّمَة

هذا الموضوع يتضمن **ثلاث كلمات متكاملات:**

الكلمة الأولى بعنوان: « القرآن الكريم والدراسة المصطلحية »، وأصلها تقديم لرسالة الدكتوراه التي أعدتها الباحثة فريدة زمرد عن « مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف » ونشرها معهد الدراسات المصطلحية ضمن سلسلة « رسائل جامعية » في أكتوبر (٢٠٠١م).

وهي - على صغرها - عبارة عن معالم كبرى لتحديد طبيعة العلاقة بين القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، وبشرى للأمة بما يمكن أن تثمره الدراسة المصطلحية لكتاب ربنا الكريم من ثمار مباركة طيبة.

والكلمة الثانية: « نحو منهج لدراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية »، وهي بحث قدم في ندوة « القرآن المجيد وخاطبه العالمي » التي أقيمت بتعاونٍ بين المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وكلية الآداب بأكادير أيام (١٤ - ١٤١٨/١/١٩هـ/٢١ - ٢٦/٥/١٩٩٧م).

ومن عنوانها يفهم أنها ابتدأت من حيث انتهت الأولى: « إنه دراسة ألفاظ القرآن الكريم في الكتاب والسنة، وفق منهج الدراسة المصطلحية »، حاصرة بإيجاز مراحل ذلك المنهج الأساسية، مشيرة إلى أبرز الحواجز، داعية إلى استجماع الشروط الضرورية لاقتحام العقبة: عقبة تجديد الفهم لإصلاح العمل فإصلاح الحال؛ إذ « لن يتجدد أمر الدين حتى يتجدد فهم الدين، ولن يتجدد فهم الدين حتى يهتدي في منهج الفهم للتي هي أقوم وما أشق ذلك في الأمة اليوم! ».

والكلمة الثالثة: « أثر مدرسة المنار في تجديد فهم المصطلح القرآني من خلال تفسير المنار » وهي بحث قُدِّم في الندوة الدولية التي أقيمت في القاهرة، بتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، حول « مدرسة المنار ودورها الإصلاحي في العالم الإسلامي » في شهر (شعبان ١٤٢٣هـ/أكتوبر ٢٠٠٢م).

ومن عنوانها أيضًا يفهم أنها ابتدأت من حيث انتهت الثانية، ملتمسة في تجربة « المنار » محاولة أولى جادة في العصر الحديث لتجديد فهم المصطلح القرآني، وتخليصه « من كثير من الشوائب التي علقت به عبر القرون »، مُعَبِّدة بذلك « الطريق إلى إصلاح واقع الأمة بالقرآن »، ومعيدة له « إلى مركزيته في الإصلاح » وهذه أم النتائج وأفضل الفضائل...

لقد رُفع « المنار » منذ قرن أو يزيد، واستجاب من استجاب للمشروع الجديد، وظل النداء طوال القرن يجوب الآفاق، باحثًا عمن يكمل البناء.

فهل آن أوان لتكميل البناء؟

اللَّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلًا، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

فاس في ١٦ - ٤ - ١٤٢٤هـ / ١٧ - ٦ - ٢٠٠٣م

الفَصْلُ الأَوَّلُ

القرآن الكريم والدراسة المصطلحية

أولًا: الوحي مجموعة مفاهيم:

لا جرم أن الوحي قرآنًا وسنة مجموعة من المفاهيم؛ إذا حُصِّلَتْ حُصِّلَتْ كليات الدين، وإذا لم تُفْقَه لم يُفْقَه الدين و « **مَنْ يُرِدِ اللَّه بِهِ خيرًا يُفَقِّهْه في الدين** » (١)، وقد تكفل كلام اللَّه تعالى: القرآن – وهو يتنزل على مدى ثلاث وعشرين سنة – ببناء المفاهيم: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وتكفلت السنة – وهي تبين للناس ما نزل إليهم بالقول والفعل والإقرار – بالبيان، حتى تم الحلول التام للإسلام في الواقع، وخرج الناس الخروج التام من مفاهيم الجاهلية ودخلوا الدخول التام في نور الإسلام.

وهل كان حديث جبريل عليه السلام في آخر مراحل تنزل الدين وبيانه، غير بيان مفهوم الدين، بالمفاهيم الكلية المكونة له؛ من إسلام، وإيمان، وإحسان؟

إن الحرص واضح في القرآن على تمييز مفاهيم القرآن، وإن الحرص واضح في السنة البيان، على بيان المراد من ألفاظ القرآن.

ثانيًا: الوحي نسق من المفاهيم:

لكن تلك المفاهيم ليست معزولة عن بعضها بعضًا، وليست منثورة كيفما اتفق، وإنما هي فصوص في العقد الفريد للإسلام، منظومة نظمًا بديعًا رائعًا في نسق؛ إذا نظر إليها، وقد انتظمت أفقيًا، تجلى نسقها التصوري الشامل الكامل: ﴿ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]، إذ ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢]، وإذا نظر إليها وقد تتابعت تاريخيًا في التنزل، تجلى نسقها المنهاجي التنزيلي المتكامل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣].

وهي في الحالين معًا لا تقبل المسَّ بما يخل بنسقيتها: لا تقبل زحزحة في المواقع

(١) البخاري، كتاب العلم (١/٢٤).

أو تغيرًا في الترتيب، ولا تقبل تغييرًا للأحجام أو الألوان، وإلا صار الأمر إلى شيء آخر غير الإسلام، وقد دخل من هذا الباب على المسلمين عبر التاريخ الطويل العريض شرٌّ طويل عريض، مسَّ التصور والتنزيل معًا.

ولإعادة الأمور إلى نصابها، لا بد من إعادة مفاهيم الوحي بعد تحصيلها إلى مواقعها وأحجامها، وإلا تشوه الدين، وازداد فساد المسلمين.

ثالثًا: ضرورة فقه النسق لفقه الدين:

وضرورة فقه النسق، كضرورة فقه المفاهيم، لفقه الدين؛ ذلك بأن النسق نسق مفاهيم، ومجموع المفاهيم، منسوقة أفقيًا وعموديًا، هو صورة الدين. وإلى هذا مرد الصحة وعدمها في سلم الأولويات الثابت والمتغير، وإلى هذا مرد عديد من التشوهات التي أصابت التصورات، لدى عدد من الفرق والطرق والجماعات.

إن الدين مفهوميًا خلقة سوية مضبوطة المكونات، والمقاييس، والأبعاد، والرتب، وأي تغيير يمس شيئًا من ذلك ليس منه ، هو تغيير لدين اللَّه، ولخلق اللَّه، ولفطرة اللَّه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠].

رابعًا: ألفاظ القرآن الكريم هي المفتاح:

ولا سبيل إلى فقه النسق، أو المفاهيم المكونة له، بغير دراسة ألفاظ القرآن الكريم؛ فهي مفتاح الوصول إلى ما نزل على الرسول ﷺ قرآنًا وسنة، وهي المدخل المصطلحي المقطوع بأنه من الوحي، واختيارها من اللَّه جل وعلا. واستعمال السنة لها تابع لاستعمال القرآن؛ فدراستها في القرآن والسنة تفضي إلى العلم بمفاهيمها المفردة، وأنساقها المركبة.

خامسًا: الدراسة المصطلحية مفتاح المفتاح:

لكن ما مفتاح هذا المفتاح الذي يحل المفردات والمركبات؟ إنه الدراسة المصطلحية لتلك الألفاظ، إنه دراسة ألفاظ القرآن الكريم في الكتاب والسنة وفق منهج الدراسة المصطلحية.

وباللَّه التوفيق

وحرر بفاس صبيحة الجمعة ١٧ - ٧ - ١٤٢٢هـ / ٥ - ١٠ - ٢٠٠١م

الفَصْلُ الثَّاني

نحو منهج لدراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية

أولًا: ضرورة تجديد المنهج لتجديد فهم الدين:

عبثًا نحاول إصلاح الحال قبل إصلاح العمل، وعبثًا نحاول إصلاح العمل قبل تجديد الفهم، وعبثًا نحاول تجديد الفهم قبل تجديد المنهج، وإن تدبرًا يسيرًا لأول ما نزل من الهدى - هدى الله جل وعلا - يرشد إلى أن قراءة بمنهج معين، لتحصيل فهم معين، هي أول الطريق وشرط البدء؛ إنها القراءة باسم الله، إنها: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق: ١]: تحدد مطلوب البدء الوحيد مقترنًا بمنهجه الرشيد، تعلن بحالها ومقالها أن لا عمل يسبق العلم، (**أولًا**: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾) وأن لا علم دون التقيد بقيد المنهج اللازم لتحصيل العلم (**ثانيًا**: ﴿ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾)؛ فالمنهج الراشد ينتج العلم النافعَ، والعلم النافعُ ينتج العملَ الصالح، والعلمُ الصالح ينتج الحالَ الصالح أو الحياة الطيبة.

إن ما أصاب المسلمين هو قطعًا بما كسبت أيديهم: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وما كسبت أيديهم هو قطعًا بسبب تغيير طرأ على ما بأنفسهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١]، وما طرأ من تغيير على ما بأنفسهم هو قطعًا بسبب فسادٍ ما في منهج تلقيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [محمد: ٢٥، ٢٦]. ولو أنهم استقاموا على الطريقة في التلقي عن الرحمن بدل الشيطان، لما كان منهم استحسان لما سول لهم الشيطان ، ولا طاعة في بعض الأمر لبعض أولياء الشيطان.

وبما أنه لن يصلح آخر هذا الأمر إلا بما يصلح به أوله، فكذلك لن يتجدد أمر الدين حتى يتجدد فهم الدين، ولن يتجدد فهم الدين، حتى يُهتدَى في منهج الفهم للتي هي أقوم، وما أشق ذلك في الأمة اليوم!! لكثرة الموانع وقلة الأسباب؛ فكم من ترسبات منهجية فاسدة أفرزتها وراكمتها قرون الضعف والانحطاط في الأمة لا تزال مستمرة

التأثير!، وكم من مقذوفات منهجية مدمرة صبها الغرب صبًا على رؤوس نابتة الأمة، أو نفثها في روعها، فهي فاعلة فيها فعل السحر!، وليس في الواقع - للأسف - اتجاه عام، أو شبه عام، إلى صنع كواسح الركام أو الألغام، ولا اتجاه جاد، أو شبه جاد، إلى تصنيع ما يخلص العباد من سحرة فرعون ذي الأوتاد، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، ولكن كثرة الغيم، على كثافته، لم تمنع - والحمد لله - من الرؤية فتية آمنوا بربهم، هنا وهناك، فأغَذُّوا على الدرب السير، وأدلجوا سارين إلى النور، ومن سار على الدرب وصل، وعند الصباح يحمد القوم السُّرى.

ثانيًا: أهمية منهج الدراسة المصطلحية في تجديد فهم الدين:

ولئن كان في الأفق منهج يلوح وكأن به بعضًا من خصائص عصا موسى عليه السلام في إبطال السحر وإحقاق الحق في الفهم، فهو منهج الدراسة المصطلحية؛ ذلك بأنه يتصدى أساسًا لضبط المفاهيم المكونة لأي نسق، والدين في جانبه المعنوي التصوري نسق من المفاهيم، أصلها في كتاب الله عز وجل، وبيانها في بيانه السنة، من تمكَّن من تلك المفاهيم، ومن نسقها العام، تمكن من الصورة الصحيحة لهذا الدين، ومن تشوه لديه شيء منها أو منه، تشوهت لديه الصورة العامة لهذا الدين.

ولئن كانت قد بذلت قبلُ بفضل الله عز وجل، جهود في درس دلالة الألفاظ القرآنية هي في غاية الأهمية، أسهم فيها مختلف المصنفين في مختلف العلوم، كلٌّ على قدر طاقته، وحسب حاجته وصلته واختصاصه، **فإن أهم ما ينبغي التنويه به والتنبيه عليه من ذلك هو:**

١ - **جهد المفسرين**؛ وقد أبلوا البلاء الحسن في بيان المراد من الألفاظ، ولا سيما داخل الآيات، إلا أن جهودهم لما تجمع وتوثق وتصنف معجميًا وتاريخيًا التصنيف الذي يتتبع كل جديد قيل في شرح كل لفظ عبر القرون، فيُحصَر ويُيَسَّر وينظم بذلك إسهام له أهميته الكبرى في الدرس الدلالي لمفاهيم الألفاظ القرآنية.

٢ - **جهد الفقهاء**؛ وهو جهد كذلك يذكر فيشكر، لولا أنه اقتصر بحكم الاختصاص على ما اتصل بالاختصاص، وظل في أغلبه كجهد المفسرين غير مجموع ولا موثق ولا مرتب الترتيب التاريخي الذي ينظم وييسر الاستفادة منه في الدرس الدلالي للمفاهيم القرآنية.

٣ - **جهد المعجميين**، ولا سيما أصحاب كتب غريب القرآن، وفي مقدمتهم إمامهم الراغب الأصفهاني في « المفردات » الذي كاد يتفرد بشيء لم يسبق إليه ولم يلحق فيه، وهو التفطن إلى خصوصية الدلالية القرآنية، مما أكسبه تدقيقًا في الشرح ميَّزه عن سواه تمييزًا.

ويلحق بما تقدم جهد أصحاب « الوجوه والنظائر »، فإسهامهم كذلك بارز متميز.

إلا أن تلك الجهود وغيرها - على وجاهتها وأهميتها - تظل مفتقرة إلى الشروط التي تجعل من نتائجها مفاتيح للفهم الكلي النسقي للقرآن الكريم؛ لغيبة الإحصاء في دراسة مفاهيم الألفاظ، وقلة الاهتمام أو انعدامه بحجم المفهوم، وعلاقاته بسواه، وموقعه في النسق العام. وذلك ما يترشح له منهج الدراسة المصطلحية بكفاءة بحكم اختصاصه.

وإذا تم ضبط مفاهيم القرآن الكريم، فقد تم تبعًا لذلك ضبط مفاهيم الدين القيم؛ لأن السنة بيان، به بعد القرآن يُضْبَط فهم القرآن لتكوين الميزان، وعطاء العصور اجتهادات أو انحرافات تُقبل أو ترفض تبعًا للميزان. ومتى تجدد فهم المفاهيم فقد تعبد الطريق لتجديد أمر الدين لمريديه. لكن كيف نجدد فهم المفاهيم، أو كيف ندرس مفهوم الألفاظ القرآنية بمنهج الدراسة المصطلحية؟

ثالثًا: كيف ندرس مفاهيم الألفاظ القرآنية بمنهج الدراسة المصطلحية:

ذلك ما يمكن حصره بإيجاز في **المراحل التالية:**

١ - **الإحصاء**: إحصاء جميع مشتقات الجذر اللغوي للفظ، في جميع الآيات التي ورد بها في القرآن كله. وقد تصدّق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي - رحمه اللّه تعالى - بهذه الصدقة الجارية على الباحثين، ولم يبق إلا ما قد يكون عليه من استدراك فوات.

٢ - **تصنيف جميع النصوص** المحصاة بعد استخلاصها، حسب الأهم فالأهم من مشتقات.

٣ - **دراسة معاني المشتقات** في المعاجم اللغوية، دراسة تضع نصب عينيها مدار مشتقات الجذر علامه؟ ومأخذ المشتق المستعمل في القرآن الكريم ممه؟ وشرحه إن كان قد شرح بمه؟

٤ - **تفهم مفهوم المشتق الأهم** في كل نص من النصوص التي ورد بها، « تفهمًا

يستعين بكل ما يؤمِّن الفهم السليم... ويحذر من كل ما يُزلّ ويُضلّ، من تصور سابق وخاطر فطير، وتحميل للنصوص ما فوق الطاقة، وما أشبه. تفهمًا لا يدرس نصًّا... أو استعمالًا... بمعزل عن نظائره، ولا يبيّن مصطلحًا... بمنأى عن أسرته، أو عما يأتلف معه ويختلف؛ فالتضاد والترادف، والاقتران والتعاطف... والعموم والخصوص، والإضافة والإطلاق... كل أولئك ضروري المراعاة عند التفهم، وكل ذلك مما به يتكون المفهوم ويتحدد » [١].

تفهمًا يستعين بكل ما يعَيِّن أو يُعِين من بيان للقرآن بالقرآن، وبيان للقرآن بالسنة، وبيان للقرآن بما صح من أقوال الصحابة والتابعين وفهوم الذين اتبعوهم بإحسان، من دارسي الكتاب الربانيين، والعلماء الراسخين، مفسرين كانوا أم غير مفسرين.

ولو أن التعاريف والشروح التي شرحت بها الألفاظ القرآنية في مختلف المصادر عبر القرون، قد وثقت في معجم تاريخي شامل، لتيسرت الاستفادة منها كثيرًا، ولنفع اللّٰه بها الناس نفعًا كبيرًا.

٥ - تصنيف نتائج التفهم، حسب العناصر المكونة للمفهوم، من سمات دلالية لا يمكن تعريف لفظة مع الاستغناء عن بعضها، ثم حسب العلاقات التي للمفهوم مع ما ائتلف معه ضربًا من الائتلاف كالترادف... أو مع ما اختلف معه ضربًا من الاختلاف كالتضاد... ثم حسب الضمائم أي الأشكال التي ورد عليها لفظ المفهوم مضمومًا إلى غيره أو مضمومًا إليه غيره، كإضافة لفظ المفهوم إلى غيره أو إضافة غيره إليه وما أشبه، ثم حسب القضايا التي ترتبط بالمفهوم أو يرتبط بها، مما لا يمكن التمكن منه إلا بعد التمكن منها؛ كالأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير... وغير ذلك مما قد يستلزمه تفهّم مفهوم ولا يستلزمه تفهم آخر.

٦ - تعريف لفظ المفهوم تعريفًا يحيط بكل عناصر المفهوم التي استخلصت من مجموع نصوصه « فإذا تم ذلك وتميز... من سواه، وعرض حدُّه على كل نصوصه فاستجابت له، حددت « الخصائص التي تخصه دون سواه » و « الفروق التي تفصله عن سواه » [٢].

(١، ٢) مصطلحات نقدية وبلاغية (ط٢)، (ص ١٧).

٧ – **تحرير ما تقدم** تحريرًا يراعي طبيعة المجال العلمي، وطبيعة المادة المفهومية، وطبيعة المنهج الدارس، فإذا تم ذلك في درس كل مفهوم، وكل مادة، أمكن الخلوص في النهاية إلى تركيب النسق المفهومي العام للخلوص إلى الفهم الكلي النسقي للقرآن الكريم.

« هذه أهم المراحل الأساسية... في نهج الدراسة، وهي، على تميز بعضها من بعض، متلاحمة متكاملة، تحتاط أولاها لأخراها وتمهد لها، وتصحح اللاحقة أخطاء السابقة، وتمحص نتائجها » [١].

رابعًا: تحديات الطريق:

هذا الطريق، كأي طريق للخير، غير مفروش بالورود، ولا بد لسالكيه من ضروب من الصبر. وأبرز ما يتحداهم فيه – وإن كان لا يمنعهم ألبتة من سلوكه – **ثلاثة حواجز:**

١ – **حاجز واقع التراث النصي العربي** الأليم الذي ما زال ينتظر جهودًا علمية منهجية متكاملة ، لإخراجه إخراجًا موثقًا محققًا مكشفًا.

٢ – **حاجز واقع المعجم اللغوي العربي** الذي ما زال ينتظر الحسم في معضلة النص لإعادة بنائه موثقًا، مدققًا، مؤرخًا.

٣ – **حاجز واقع علم بيان القرآن أو أصول التفسير** الذي ما زال ينتظر جهودًا صادقة مخلصة، لاستخلاصه من مصادره، وتخليصه مما التبس به، وتصنيفه وتكميل بنائه، علمًا ضابطًا لبيان القرآن الكريم؛ من الفهم السليم حتى الاستنباط السليم.

خامسًا: ضرورة اقتحام العقبة:

هذه الحواجز كلها – على وعورتها – ممكنة التحطيم ميسورة التذليل، إذا اقتحمت العقبة، **وبدأ السير الجاد المتميز بثلاث:**

١ – « **العلمية** » في البحث التي تتمثل في صحة المنطلقات، وصحة المقدمات، ومن ثم صحة النتائج.

٢ – « **المنهجية** » التي تتمثل في التدرج المنطقي في المعالجة لكل تلك الحواجز، أو لأي حاجز، أو جزء من حاجز، من تلك الحواجز.

---

(١) مصطلحات نقدية وبلاغية (١٨).

٣ - « **التكاملية** » التي تتمثل في تنسيق الجهود الفردية والجماعية حتى تتكامل؛ حفظًا للطاقات، واختصارًا للنفقات في الأموال والأوقات.

وسواء حطمت الحواجز أم لم تحطم، فإن السير متعين في اتجاه تجديد المنهج بما تيسّر، لتجديد الفهم، على قاعدة « الاستفادة من الممكن إلى أقصى حدٍّ ممكن »، ومن عرف ما قصد، هان عليه ما وجد، ومن طلب الحسناء لم يغله المهر.

والحمد للّٰه الذي بنعمته تتم الصالحات

فاس في ١١ محرم ١٤١٨هـ / ١٨ مايو ١٩٩٧م



الفَصْلُ الثَّالِثُ

أثر مدرسة المنار
في تجديد فهم المصطلح القرآني
من خلال تفسير المنار

أولًا: مقدمة في مركزية المصطلح القرآني في التجديد:

١ - التجديد للأمة اليوم قلبًا وقالبًا فريضة شرعية، وضرورة حضارية؛ ذلك بأن البشرية على حافة الانهيار، يدعّها عبّاد العجل دعًّا إلى الدمار، وتسوقها العولمة سوقًا، بكيدها العتيد، ومكرها الشديد، وأذرعها العالمية الجهنمية، بنوكًا ومنظمات، إلى النار: تستصرخ ولا من صريخ، وتتظلم إلى من فيه الخصام وهو الخصم والحكم، قد أحكم الدجال الأعور قبضته عليها، فخنق الأنفاس، ومص دماء الناس، ولا خلاص للناس، كل الناس، إلا بظهور دين رب الناس، ملك الناس، إله الناس، على يد خير أمة أخرجت للناس.

وبما أن أمتنا اليوم قد شاخت ووهنت، بما كسبت، حتى صارت قصعة طعام يتهارش على خيراتها شر المفترسين، وروح القرآن التي هي روحها التي لا حياة لها ولا وحدة لها بدونها، قد خرجت أو كادت تخرج منها؛ فتنازعت وفشلت وذهبت ريحها.

بما أن الأمر كذلك، فقد صار فرضًا على كل من بقي حيًّا في الأمة أن يجدد شبابها، ويعيد بناءها، لتستأنف رسالتها؛ صار فرضًا تسوية الإنسان فيها وتعديله من جديد، وصار فرضًا إحلال القرآن فيها ونفخ روحه من جديد، لتعود كما بدأت خير أمة أخرجت للناس، فتُخلّص الناس كل الناس، من طاغوت البنوك وعولمة الافتراس، وتعيد البشرية، التي أكبّها عبدة العجل على وجهها، تمشي سوية على صراط مستقيم.

٢ - أجل، لقد صار تجديد بنيان الأمة فريضة لتعود، وصار تجديد كيان الأمة ضرورة لتنقذ، ولا سبيل إلى شيء من ذلك بغير تجديد فهم الأمة للقرآن. إن القرآن المجيد الذي نزل على محمد ﷺ، وتلقاه الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - هو هذا الذي بين دفتي المصحف اليوم بين أيدينا، ولكن ما وعته قلوبهم منه هو بالقطع غير ما وعته قلوبنا؛ وإلا فلماذا اتقوا وفجرنا، ولماذا أقبلوا على الله وأدبرنا، ولماذا أحسنوا في عبادتهم لله

وأسأنا، ولماذا تآخوا فيما بينهم وتعادينا، ولماذا توحدوا في أمة وتفرقنا، ولماذا جاهدوا في سبيل اللَّه ليكون الدين كله للَّه وقعدنا...، ولماذا؟؟... ولماذا؟؟...

إن القرآن نصًّا هو القرآن، وإن الإنسان بشرًا هو الإنسان، ولكن الذي غاب قطعًا هو دخول ذاك القرآن في قلب هذا الإنسان. وصدق اللَّه العظيم إذ يقول عن أثر القرآن في القلب الذي هو الإيمان: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ [الحجرات: ١٤].

فالفرق بيننا وبينهم إذن في الفهم، في الصورة والقدر الذي وصل من القرآن إلى القلب، فضخَّه في الكيان، في ماء السماء المبارك الطهور الذي قبلته القلوب، فأنبتت الحبّ والخير الكثير، والهداية والرحمة للعالمين.

٣ – وما لم يتجدد فهم الأمة للقرآن فلن تتجدد الأمة، ولن يتجدد فهم القرآن حتى يتجدد فهم مصطلحات القرآن، مفاهيم ونسقًا؛ ذلك بـ « أن الوحي قرآنًا وسنة، مجموعة من المفاهيم؛ إذا حصِّلت حصِّلت كليات الدين، وإذا لم تفقه لم يفقه الدين... لكن تلك المفاهيم ليست معزولة عن بعضها بعضًا، وليست منثورة كيفما اتفق، وإنما هي فصوص في العقد الفريد للإسلام، منظومة نظمًا بديعًا رائعًا في نسق؛ إذا نظر إليها وقد انتظمت أفقيًّا، تجلَّى نسقها التصوري الشامل الكامل... وإذا نظر إليها وقد تتابعت تاريخيًّا في التنزل، تجلى نسقها المنهاجي التنزيلي المتكامل... وهي في الحالين لا تقبل المسَّ بما يخل بنسقيتها لنسقيتها: لا تقبل زحزحة في المواقع أو تغيرًا في الترتيب، ولا تقبل تغييرًا للأحجام أو الألوان، وإلا صار الأمر إلى شيء آخر غير الإسلام. وقد دخل من هذا الباب على المسلمين عبر التاريخ الطويل العريض شر طويل عريض، مس التصور والتنزيل معًا.

ولإعادة الأمور إلى نصابها، لا بد من إعادة مفاهيم الوحي بعد تحصيلها إلى مواقعها وأحجامها وإلا استمر تشوه الدين، وازداد فساد المسلمين.

وضرورة فقه النسق، كضرورة فقه المفاهيم لفقه الدين؛ ذلك بأن... الدين مفهوميًّا خلقة سوية مضبوطة المكونات، والمقاييس، والأبعاد، والرتب، وأي تغيير يمس شيئًا من ذلك ليس منه، هو تغيير لدين اللَّه، ولخلق اللَّه ولفطرة اللَّه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠].

ولا سبيل إلى فقه النسق، أو المفاهيم المكوِّنة له، بغير دراسة ألفاظ القرآن الكريم؛ فهي مفتاح الوصول إلى ما نزل على الرسول ﷺ، قرآنًا وسنة، وهي المدخل المصطلحي المقطوع بأنه من الوحي » [١].

ثانيًا: تحديد المفاهيم الأساسية للموضوع:

١ – مفهوم المصطلح القرآني:

يقصد بالمصطلح القرآني:

إجمالًا: كل لفظ قرآني عبر عن مفهوم قرآني.

وتفصيلًا: كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم، مفردًا كان أم مركبًا، اكتسب داخل الاستعمال القرآني خصوصية دلالية قرآنية جعلت منه تعبيرًا عن مفهوم معين له موقع خاص داخل الرؤية القرآنية ونسقها المفهومي.

فيدخل فيه « كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة كانت أو مقيدة، وعلى الصورة الاسمية الصريحة، أم على الصورة الفعلية التي تؤول بالاسمية » [٢]؛ وذلك لأنها « اختصت بمعانٍ معينة، من بين معانٍ أخرى تدل عليها في أصل الوضع اللغوي، لتصبح مستعملة فيها على وجه الاطراد في موارد متعددة من القرآن الكريم، قد تكثر أو تقل بحسب اختلاف دورها في الخطاب المؤسس لقيم الدين في النفوس » [٣].

٢ – مفهوم « تجديد الفهم »:

يقصد بتجديد الفهم إرجاع المعنى الذي استفيد من النص، وهو غير صواب إلى وجهه الصواب، حتى كأنه كما كان أول مرة جديدًا لم يطرأ عليه تغيير.

وهو بالنسبة إلى مفاهيم الدين رسالة الأنبياء المرسلين والعلماء المصلحين، يجددون ما بلي من أمر الدين، ويصلحون ما أفسد الناس من فهم لكلام رب العالمين « ولقد كان مدار وحي الرحمن جل وعلا، مذ آدم حتى محمد – عليهما الصلاة والسلام – على حفظ

(١) مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف/ التقديم (أ – ج).

(٢) نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة (ص ٢).

(٣) مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم وأبعاده الحضارية، لعبد المجيد النجار ضمن أعمال ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية (١/١٨٩).

مصطلح الذكر من أن يصيب مفهومه تغيير أو تبديل؛ فتفسد الرؤية، ويقع الإفساد في الأرض: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠].

وإنما مدار عمل الشيطان وحزبه، مذ إبليس إلى قيام الساعة، على محاولة تغيير المفهوم وتبديل المصطلح، أي تغيير الدين، والفطرة، والخلق: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩]، وفي الحديث القدسي: « **خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم...** » (١).

وما الجهود التي بذلها المستكبرون في الأرض، المعبِّدون الناس للطاغوت، قديمًا وحديثًا، إلا صور من تلك المحاولات لتغيير المفهوم وتبديل المصطلح، وهذا فرعون ومؤمن آل فرعون في القديم، يتنازعان مفهوم مصطلح « سبيل الرشاد » ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر:٢٩]، ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٣٨] وها هو اليوم مصطلح شريف كالجهاد، يغير مفهومه المتكبرون في الأرض... وكذلك الأمر في أغلب المصطلحات التي تقوم عليها الحياة؛ كالخير والشر، والعدل والظلم، والحق والباطل، والسلام والإجرام... غيَّر مفاهيمها العالون في الأرض أصحاب الأهواء، ولووا أعناقها كما لوى فرعون عنق مفهوم الفساد، وهو يقول عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦] (٢).

٣ - مفهوم تجديد فهم المصطلح القرآني:

وإذن فالمقصود من تجديد فهم المصطلح القرآني بوضوح واختصار هو فهمه كما كان يفهم أول مرة، وكأنه جديد يتنزل، قد جُرِّد من تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين عبر القرون. وما أكثر ما لفَّت القرون من خِرَق، وشوَّهت من مفاهيم، بعد خير القرون!. « وإذا تم ضبط مفاهيم القرآن الكريم، فقد تم تبعًا لذلك ضبط مفاهيم الدين القيم؛ لأن السنة بيان؛ به بعد القرآن يُضْبَط فهم القرآن، لتكوين الميزان، وعطاء العصور

---

(١) نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية (١٧، ١٨). والحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٢) انظر ما سبق في الفصل الثاني.

اجتهادات أو انحرافات ، تُقبل أو ترفض تبعًا للميزان. ومتى تجدد فهم المفاهيم، فقد تعبد الطريق لتجديد أمر الدين » (١).

ثالثًا: عناية « المنار » بتجديد فهم القرآن:

١ - « المنار » التفسير هو « المنار » المدرسة رؤية ومنهاجًا؛ ألفه الثلاثة المؤسسون من خلال تأليف بعضهم لبعض، وحضور بعضهم في بعض؛ بالتتابع التاريخي: السيد جمال الدين الأفغاني، وتلميذه الشيخ محمد عبده، وتلميذ التلميذ الشيخ محمد رشيد رضا - رحمهم الله تعالى - كلهم حصر الإشكال في ابتعاد الأمة عن القرآن الكريم فهمًا وعملًا، وكلهم حصر الحل في فهم القرآن والعمل به على الوجه الصحيح كما كان الأمر أول مرة؛ لأن « المقصد الحقيقي... هو الاهتداء بالقرآن » (٢). ولا سبيل إلى ذلك بغير الفهم الصحيح للقرآن.

يقول السيد جمال الدين الأفغاني في سياق استنكاره لدعوة سد باب الاجتهاد: « إن الله بعث محمدًا رسولًا بلسان قومه « العربي » ليفهمهم ما يريد إفهامهم، وليفهموا منه ما يقول لهم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤] وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، وفي مكان آخر: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣] فالقرآن ما أنزل إلا ليفهم، ولكي يعمل الإنسان بعقله لتدبر معانيه وفهم أحكامه والمراد منها، فمن كان عالمًا باللسان العربي؛ وعاقلًا غير مجنون... جاز له النظر في أحكام القرآن، وتمعُّنها والتدقيق فيها واستنباط الأحكام منها ومن صحيح الحديث والقياس » (٣).

ويقول تلميذه الشيخ محمد عبده: « إن الاستهداء بالقرآن واجب على كل مكلف في كل زمان ومكان، فعلى كل قارئ أن يتلو القرآن بالتدبر، وأن يطالب نفسه بفهمه والعمل به، ولا شك أن كل من له معرفة ولو قليلة باللغة العربية فإنه يفهم من القرآن ما يهتدي به، ومن كان أميًّا أو عجميًّا فإنه ينبغي له أن يسأل القارئين أن يقرؤوا له القرآن ويفهموه معناه » (٤).

---

(١) المنار (٢٦/١).

(٢) خاطرات جمال الدين الأفغاني (ص ١١١، ١١٢).

(٣) المنار (٣٦٤/١)، وينظر عن الفهم (١٥٢/١، ١٥٣، ٣٦٢، ٣٦٣).

(٤) المنار (٣٦٤/١) وينظر عن الفهم (٢٨/١).

ويقول تلميذ تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا: « أقول الآن: إن القرآن هو حجة اللَّه البالغة على دينه الحق، فلا بقاء للإسلام إلا بفهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا، ولا بقاء لفهمه إلا بحياة اللغة العربية، فإن كان باقيًا في بعض بلاد الأعاجم، فإنما بقاؤه بوجود بعض العلماء العارفين من التفسير ما يكفي لرد الشبهات عن القرآن عندهم... ولهذا اتفق علماء الإسلام من العرب والعجم على حفظ اللغة العربية ونشرها » (١).

٢ - وقد عني « المنار » بمصطلح الفهم: فهم القرآن كثيرًا، مطلقًا ومقيدًا، ومقصوده منه « الفهم الصحيح » له، ذلك الفهم الذي به يعرف الداء والدواء، ويكون النظر والتلقي للعلم. جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ٢١]: « هذا النداء الإلهي المشعر بأن نسبة الناس الأولين إلى اللَّه تعالى كنسبة الآخرين واحدة: هو الخالق وهم المخلوقون، وهو المستحق للعبادة وهم المأمورون بها أجمعون، حجة علينا وعلى جميع من استن بسنة ذلك الصنف من قبلنا (قال شيخنا): وأَخصُّ طلاب علوم الدين بالذكر؛ فينبغي للطالب أن يوجه نفسه إلى فهم القرآن، ويحملها على الاهتداء به، فإذا هو فعل ذلك تظهر عليه آداب الإسلام... ومن اشتغل بهذا حق الاشتغال وصل إلى معرفة أمراض المسلمين الحاضرة، ومنابع البدع التي فشت فيهم، ومثارات الفتن التي فرقتهم، ويعرف علاج ذلك. وإن من ذاق حلاوة القرآن لا ينظر في كتاب، ولا يتلقى علمًا، إلا ما يفتح له باب الفهم في القرآن أو ما يفتح له بابه القرآنُ فيجده مرآته، وما عدا ذلك مبعدٌ عنه، والبعد عن القرآن هو عين البعد عن اللَّه تعالى، وذلك هو الضلال البعيد ».

وقد بلغ من اهتمام « المنار » بـ « الفهم » أن جعله مساويًا « للتلاوة »، معبرًا بها عنه في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ ﴾[البقرة: ١٢١] قال « الأستاذ الإمام: عبر عن التدبر والفهم بالتلاوة حق التلاوة ليرشدنا إلى أن ذلك هو المقصود من التلاوة التي يشترك فيها أهل الأهواء والبدع مع أهل العلم والفهم. والتعبير يشعر بأن أولئك الذين حكم بنفي رضاهم عن النبي ﷺ نفيًا مؤكدًا، لا حظَّ لهم من الكتاب إلا مجرد التلاوة وتحريك اللسان بالألفاظ، لا يعقلون عقائده، ولا يتدبرون

(١) المنار (١/١٥٢، ١٥٣).

حكمه ومواعظه، ولا يفقهون أحكامه وشرائعه؛ لأنهم استغنوا عنه بتقليده بعض الرؤساء والاكتفاء بما يقولون، فلا عجب إذا أعرضوا عما جاء به النبي ولا ضرر في إعراضهم. وأما الآخرون فإنهم لتدبرهم وفهمهم أسرار الدين، وعلمهم بوجوب مطابقتها لمصالح المكلفين، يعقلون أن ما جاء به هو الحق الذي يتفق مع مصلحة البشر في ترقية أرواحهم، وفي نظام معايشهم، فيؤمنون به. وإنما ينتفع بإيمان أمثالهم.

وجمله القول أن هذا التعبير أفاد حكمًا جديدًا وإرشادًا عظيمًا، وهو أن الذي يتلو الكتاب لمجرد التلاوة مثله كمثل الحمار يحمل أسفارًا، فلا حظ له من الإيمان بالكتاب؛ لأنه لا يفهم أسراره ولا يعرف هداية اللَّه فيه. وقراءة الألفاظ لا تفيد الهداية وإن كان القارئ يفهم مدلولاتها كما يقول المفسر والمعلم لها؛ لأن هذا الفهم من قبيل التصور، وما التصور إلا خيال يلوح ويتراءى، ثم يغيب ويتناءى، وإنما الفهم فهم التصديق والإذعان ممن يتدبر الكتاب مستهديًا مسترشدًا ملاحظًا أنه مخاطب به من اللَّه تعالى ليأخذ به فيهتدي ويرشُد، والمقلدون محرومون من هذا فلا يخطر لهم ببال أنهم مطالبون بالاهتداء بكتاب اللَّه تعالى وإنما الهداية عندهم محصورة في كلام رؤسائهم الدينيين، ولا سيما إذا كانوا ميتين »[١].

٣ - هذا الفهم المتدبر للكتاب، المستهدي به في الأمر كله، هو التفسير الجديد الذي يمثله « المنار » ويدعو إليه. جاء في مقدمة التفسير المقتبسة من درس الأستاذ الإمام بالمعنى، مع البسط والإيضاح: « ... والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيلة »[٢].

وهو واجب على الجميع كل بقدر طاقته، جاء في المقدمة السابقة: « إنه يجب على كل واحد من الناس أن يفهم آيات الكتاب بقدر طاقته، لا فرق بين عالم وجاهل. يكفي العامي من فهم قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] ما يعطيه الظاهر من الآيات، وأن الذين جمعت أوصافهم في الآيات الكريمة، لهم الفوز والفلاح عند اللَّه تعالى، ويكفي في معرفة الأوصاف: أن يعرف معنى الخشوع والإعراض عن اللغو، وما لا خير فيه، والإقبال على ما فيه فائدة له دنيوية

---

(١) المنار (٣٦٢/١، ٣٦٣).
(٢) نفسه (٢١/١).

أو أخروية، وبذل المال في الزكاة والوفاء بالعهد، وصدق الوعد، والعفة عن إتيان الفاحشة، وأن من فارق هذه الأوصاف إلى أضدادها فهو المتعدي حدود اللَّه، المتعرض لغضبه، وفهم هذه المعاني مما يسهل على المؤمن من أي طبقة كان، ومن أهل أي لغة كان » [١].

وهذه المرتبة في التفسير أو الفهم هي التي قلنا: إنها متيسرة لكل أحد: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ٤٠] [٢].

« وهناك مرتبة تعلو على هذه وهي من فروض الكفاية » [٣]، و « **لا تتم إلا بأمور:**

أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن...

ثانيها: الأساليب، فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة.

ثالثها: علم أحوال البشر... فلا بد للناظر في هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر... ومن العلم بأحوال العالم... ويحتاج في هذا إلى فنون كثيرة من أهمها التاريخ بأنواعه...

رابعها: العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن، فيجب على المفسر القائم بهذا الفرض الكفائي أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة... [٤].

خامسها: العلم بسيرة النبي ﷺ وأصحابه... » [٥]. والتفسير في هذه « المرتبة العليا » [٦] جديد مجدد للفهم، و « هو الذي يستجمع تلك الشروط لأجل أن تستعمل لغايتها، وهو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام، على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام، ليتحقق فيه معنى قوله: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ ونحوهما من الأوصاف. فالمقصد الحقيقي وراء تلك الشروط والفنون: هو الاهتداء بالقرآن.

قال الأستاذ الإمام: وهذا هو الغرض الأول الذي أرمي إليه في قراءة التفسير [٧].

رابعًا: تركيز « المنار » على تجديد فهم المصطلح القرآني:

لقد تقدم أن لا تجديد لفهم القرآن ما لم يتجدد فهم مصطلحات القرآن؛ وذلك ما صدر عنه « المنار » وجلاه **في عدة أمور:**

---

(١) المنار (٣٦٤/١) وينظر عن الفهم (٢٣/١). (٢، ٣) نفسه.
(٤) نفسه (٢٣/١ - ٢٥). (٥) المنار (٢٣/١).
(٦) المنار (٣٦٤/١) وينظر عن الفهم (٢٥/١، ٢٦).
(٧) نفسه (٢٣/١).

١ - اعتباره أن أول الشروط في « الفهم الصحيح » للقرآن: « فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن » [١]؛ إذ منها الانطلاق الصحيح للفهم الصحيح، والتعبير بـ « حقائق » مُشعر بمستوى الفهم والتجديد المطلوب فيه.

٢ - اعتماده دلالة « زمن التنزيل » في فهم حقائق الألفاظ المفردة « بحيث يحقق المفسر ذلك - كما قال - من استعمالات أهل اللغة، غير مكتفٍ بقول فلان وفهم فلان، فإن كثيرًا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعانٍ ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد... فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله » [٢].

وهذا الأمر في غاية الأهمية لضبط الفهم الصحيح للقرآن، وهو من أهم شروط تجديد المصطلح القرآني، وإلا صرنا إلى قرآن غير القرآن، وحملنا ألفاظه ما لا تحتمله ألفاظ ذلك الزمان.

٣ - إبعاده « الاصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى » [٣] **في فهم « كلمات القرآن »** [٤] **وتفسيرها.** يقول في سياق حديثه عن « فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن »: « يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملة، ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب فكثيرًا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى » [٥].

وهذا الشرط مكمل لسابقه، وتحقيقه على الوجه الأمثل متوقف على إنجاز « مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية » الذي يدعو إليه، منجزًا ما استطاع منه، معهد الدراسات المصطلحية بفاس.

٤ - اختياره فهم ألفاظ القرآن من القرآن، بدراسة اللفظ في القرآن دراسة تقوم على جمع المتكرر والنظر فيه، مع مراعاة السياق الخاص والعام للفظ في القرآن كله. وفي ذلك ما فيه من بذور الدراسة المصطلحية للمصطلح [٦]، وفي ذلك ما فيه من تجديد فهم

---

(١) المنار (١/٢٣، ٢٤).
(٢) نفسه (١/٢٤).
(٣) المنار (١/٢٤).
(٤) المنار (١/٣٦٤) وينظر عن الفهم (١/٢٤).
(٥) نظرات في المصطلح والمنهج (ص ٢٢ - ٣١).
(٦) المنار (١/٢٤).

المصطلح القرآني، قال في آخر حديثه عن فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن: « والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، فربما استعمل بمعانٍ مختلفة كلفظ الهداية...وغيره، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية. فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه. وقد قالوا: إن القرآن يفسر بعضه ببعض، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته » (١).

هذه الشروط المجملة المفصلة، تمثل على قلتها معالم كبرى في طريق تجديد فهم المصطلح القرآني، كما تمثل وعيًا منهجيًّا مهمًّا ما أحوجه إلى ما يلزمه من التفصيل والتكميل لتيسير الذكر للتذكر والتذكير!

خامسًا: منهج « المنار » في تجديد فهم المصطلح القرآني:

ألحّ « المنار » أثناء التفسير إلحاحًا كبيرًا على المصطلح القرآني (٢)، وسلك في تناول المصطلحات التي جدد فهمها طريقة خاصة، تعتبر من وجهٍ تطبيقًا لما مر في الفقرة السابقة. **ويمكن تلخيص تلك الطريقة في:**

١ - **تلخيص الفهم السابق بعبارات مختصرة،** مع الإشارة بـ « يقولون » أو « قالوا » أو ما أشبه، إلى أن ذلك ليس له. مِثل قوله عن مصطلح العبادة: « ما هي العبادة؟ يقولون: هي الطاعة مع غاية الخضوع... » (٣). وقوله عن مصطلح الهداية: « ذكر الأستاذ الإمام أولًا ما قالوه في معنى الهداية لغة من أنها الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب... » (٤).

٢ - **تفصيل الفهم الجديد والاستدلال له.** قال عن « الصراط المستقيم »: « ثم بين معنى الصراط وهو الطريق، واشتقاقه، وقراءة الصراط بالسين المهملة واشتقاقه على نحو ما في كتب اللغة والتفسير، ومعنى المستقيم وهو ضد المعوج، وقال: ليس المراد بمقابل المستقيم المعوج ذا التمعّج والتعاريج، بل المراد كل ما فيه انحراف عن الغاية التي يجب أن ينتهي سالكه إليها، والمستقيم في عرف الهندسة أقرب موصل بين طرفين، وهذا المعنى لازم للمعنى اللغوي كما هو ظاهر بالبداهة. وإنما قلنا: إن المراد بمقابل المستقيم كل ما فيه

(١) وإذا يسر اللّه تعالى إخراج معجم المصطلحات القرآنية المشروحة في « المنار » فسيظهر ذلك بوضوح.
(٢) المنار (١/ ٥١).
(٣) نفسه (١/ ٥٦).
(٤) نفسه (١/ ٥٨، ٥٩).

انحراف؛ لأن كل من يميل وينحرف عن الجادة يكون أضل عن الغاية ممن يسير عليها في خط ذي تعاريج؛ لأن هذا الأخير قد يصل إلى الغاية بعد زمن طويل. لكن الأول لا يصل إليها أبدًا. بل يزداد عنها بعدًا كلما أوغل في السير وانهمك فيه.

وقد قالوا: إن المراد بالصراط المستقيم الدين أو الحق أو العدل أو الحدود. ونحن نقول: إنه جملة ما يوصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة من عقائد وآداب وأحكام وتعاليم. لِمَ سُمي الموصل إلى السعادة من ذلك صراطًا وطريقًا؟ خذ الحق مثلًا وهو العلم الصحيح بالله وبالنبوة وبأحوال الكون والناس، تر معنى الصراط فيه واضحًا؛ لأن السبيل أو الصراط ما أسلكه وأسير فيه لبلوغ الغاية التي أقصدها، وكذلك الحق الذي يبين لي الواقع الثابت في العقيدة الصحيحة هو كالجادة بين السبل المتفرقة المضلة. فالطريق الواضح للحس، يشبه الحق للعقل والنفس، سير حسي، وسير معنوي، كذلك إذا اعتبرت هذا المعنى في الحدود والأحكام تجده واضحًا - قسمت أحكام الأعمال إلى واجب ومندوب ومباح ومحرم ومكروه، فكان هذا مريحًا لنا من تمييز الخير من الشر بأنفسنا واجتهادنا، فبيان الأحكام بالهداية الكبرى، وهي الدين، كالطريق الواضح يسلك بالعمل. ومع هذا تجد الشهوات تتلاعب بالأحكام وترجعها إلى أهوائها، كما يصرف السفهاء عقولهم وحواسهم فيما يرديهم. وهذا التلاعب بالدين إنما يصدر من علمائه، وضرب الأستاذ الإمام لذلك مثلًا: أحد الشيوخ المتفقهين سرق كتابًا من وقف أحد الأروقة في الأزهر مستحلًّا له بحجة أن قصد الواقف الانتفاع به، وهو يحصل بوجود الكتاب عنده، وأنه قد يفوت النفع ببقائه في الرواق حيث وضعه الواقف؛ إذ لا يوجد فيه من يفهمه مثله بزعمه!! واستحلال المحرمات بمثل هذا التأويل ليس بقليل » [1].

٣ - **تقويم واقع الأمة بالفهم الجديد**، ومثاله، زيادة على آخر النص السابق، ما جاء في فهمه لـ ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ آخر الفاتحة: « قال الأستاذ: الصراط المستقيم هو الطريق الموصل إلى الحق؛ ولكنه تعالى ما بينه بذلك كما بينه في نحو سورة العصر، وإنما بينه بإضافته إلى من سلك هذا الصراط، كما قال في سورة الأنعام: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقد قلنا: إن الفاتحة مشتملة على إجمال ما فُصِّل في القرآن حتى من الأخبار، التي هي مثل الذكرى والاعتبار، وينبوع العظة والاستبصار. وأخبار القرآن كلها تنطوي في إجمال هذه الآية.

(١) المنار (١/٥٩، ٦٠).

قال: فسَّر بعضهم المنعَم عليهم بالمسلمين، والمغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى. ونحن نقول: إن الفاتحة أول سورة نزلت، كما قال الإمام علي ﷺ، وهو أعلم بهذا من غيره؛ لأنه تربى في حجر النبي ﷺ، وأول من آمن به، وإن لم تكن أول سورة على الإطلاق فلا خلاف في أنها من أوائل السورة (كما مر في المقدمة) ولم يكن المسلمون في أول نزول الوحي بحيث يطلب الاهتداء بهداهم، وما هداهم إلا من الوحي، ثم هم المأمورون بأن يسألوا الله أن يهديهم هذه السبيل؛ سبيل من أنعم عليهم من قبلهم، فأولئك غيرهم، وإنما المراد بهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من الأمم السالفة.

فقد أحال على معلوم أجمله في الفاتحة وفصله في سائر القرآن بقدر الحاجة. فثلاثة أرباع القرآن تقريبًا قصص، وتوجيه للأنظار إلى الاعتبار بأحوال الأمم، في كفرهم وإيمانهم، وشقاوتهم، وسعادتهم، ولا شيء يهدي الإنسان كالمثلات والوقائع، فإذا امتثلنا الأمر والإرشاد، ونظرنا في أحوال الأمم السالفة وأسباب علمهم وجهلهم، وقوتهم وضعفهم، وعزهم وذلهم، وغير ذلك مما يعرض للأمم - كان لهذا النظر أثر في نفوسنا يحملنا على حسن الأسوة والاقتداء بأخبار تلك الأمم فيما كان سبب السعادة والتمكن في الأرض، واجتناب ما كان سبب الشقاوة أو الهلاك والدمار. ومن هنا ينجلي للعاقل شأن علم التاريخ وما فيه من الفوائد والثمرات، وتأخذه الدهشة والحيرة إذا سمع أن كثيرًا من رجال الدين من أمةٍ هذا كتابها يعادون التاريخ باسم الدين، ويرغبون عنه، ويقولون: إنه لا حاجة إليه ولا فائدة له. وكيف لا يدهش ويحار، والقرآن ينادي بأن معرفة أحوال الأمم من أهم ما يدعو إليه هذا الدين؟ ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ [الرعد: ٦] » (١).

وهذه العناصر الثلاثة إنما تظهر بقوة، وتحضر كاملة، في فهم المصطلحات الكبرى التي تمثل بعض كليات الدين كمصطلح العبادة مثلًا (٢).

سادسًا: نتائج تجديد المنار لفهم المصطلح القرآني:

لقد كان للجهد التجديدي الذي بذله أصحاب « المنار » في فهم المصطلح القرآني

---

(١) المنار (١/٥١، ٥٢).
(٢) المنار (١٢/٤ - ٦).

أثر بالغ لا يكاد يقدر في الأمة كلها، وخصوصًا إذا وضع في ظروفه الخانقة القاتلة للتجديد، لقد بدا وسط ظروفه المظلمة كبركان تفجر نارًا ونورًا: نورًا للمتعطشين للفجر، ونارًا على المتحجرين كالصخر. ومن خبر المنار أيقن أن كل الصيد في جوف الفرا.

وللتلخيص يمكن حصر تلك النتائج الضخمة في ثلاث:

١ - تخليص المصطلح القرآني من كثير من الشوائب التي علقت به عبر القرون، وما أكثرها! وفي ذلك ما فيه من إعادة المصطلح القرآني إلى شبابه الدلالي وفاعليته الأولى يوم أنزل، وفعله الفعَّال في القلوب والهمم والعزائم، وتحريره من أغلال لغة المتأخرين ومفاهيمهم البشرية الضيقة بالقياس إلى رحابة مفاهيم القرآن وسعتها الربانية.

وما أكثر الأمثلة في « المنار » على هذا التخليص نجتزئ منها بهذا، جاء في فهم قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]: « ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ أي هذا كتاب عظيم الشأن (كما أفاده التنوين) جعلت آياته محكمة النظم والتأليف، واضحة المعاني بليغة الدلالة والتأثير، فهي كالحصن المنيع، والقصر المشيد الرفيع، في إحكام البناء، وما يقصد به من الحفظ والإيواء مع حسن الرواء، فهي لظهور دلالتها على معانيها ووضوحها لا تقبل شكًّا ولا تأويلًا، ولا تحتمل تغييرًا ولا تبديلًا، ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ﴾ أي جعلت فصولًا متفرقة في سوره ببيان حقائق العقائد، والأحكام والحكم والمواعظ، وسائر ما أنزل الكتاب له من الفوائد، كما يفصل الوشاح أو العقد بالفرائد، فالإحكام والتفصيل فيه مرتبتان من مراتب البيان مجتمعتان، لا نوعان منه متفرقان يختلفان في الزمان، أو فصلت بعد الإجمال، كما ترى في القصص القصار والطوال، وقد أبهما ببناء فعليهما للمفعول، ثم بينا بجعلهما: ﴿ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ وهو أبلغ من إسنادهما إليه ابتداء، أي من عند حكيم كامل الحكمة هو الذي أحكمها، وخبير تام الخبرة هو الذي فصلها.

هذا ما يتبادر إلى فهم العربي القح من عبارة الآية، فإذا عرضته على ما جاء في القرآن من حرفي الإحكام والتفصيل، وجدت فيه من الحرف الأول ثلاث كلمات: **الأولى**: قوله تعالى في سورة الحج. ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٥٢]، **والثانية**: قوله تعالى في سورة القتال ويقولون: ﴿ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ ﴾ [محمد: ٢٠] الآية. **والثالثة**: قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ هُوَ

﴿ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ [آل عمران: ٧] – ووجدت الإحكام في كلٍّ منهن بالمعنى اللغوي الذي بيناه آنفًا وقد حمل المقلدون المحكم في الآية الثانية على ما يقابل المنسوخ في اصطلاحهم، فقالوا: سورة محكمة غير منسوخة، وهذا الحمل غير صحيح، وإن كان المراد منه صحيحًا، فإن هذا الاصطلاح ليس من أصل اللغة، ولا من عرف القرآن، بل وضع بعد عصر نزوله، والآية الأولى حجة على هذا، فإن النسخ فيها غير النسخ الأصولي، ولا يصح أن يكون المعنى: فإذا أنزلت سورة غير منسوخة لا كلها ولا بعضها؛ لأن إنزال سورة منسوخة محال في نفسه، فلا معنى إذًا لنفيه، وحملوه في الثالثة على ما يقابل المتشابه وهو الصحيح، ولكنهم اختلفوا في معنى كلٍّ منهما، وأشهر الأقوال عن أهل الكلام والأصول فيهما مخالف لمدلول اللغة وللمروي عن جمهور السلف الذي هو الحق.

قال السيد الجرجاني في الأول: المحكم ما أحكم المراد به عن التبديل والتغيير، أي التخصيص والتأويل والنسخ، مأخوذ من قولهم: بناء محكم، أي متقن مأمون الانتقاض، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [التوبة: ١١٥]، والنصوص الدالة على ذات اللَّه وصفاته؛ لأن ذلك لا يحتمل النسخ، فإن اللفظ إذا ظهر منه المراد فإن لم يحتمل النسخ فهو محكم، وإلا فإن لم يحتمل التأويل فمفسر، وإلا فإن سيق الكلام لأجل ذلك المراد فنص وإلا فظاهر، وإذا خفي لعارض أي لغير الصيغة فخفي لنفسه، أي لنفس الصيغة وأدرك عقلًا فمشكل، أو نقلًا فمجمل، أو لم يدرك أصلًا فمتشابه. وقال الثاني: المتشابه ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلًا؛ كالمقطعات في أول السور. وقال التاج السبكي في جمع الجوامع: والمتشابه ما استأثر اللَّه بعلمه وقد يطلع عليه بعض أصفيائه. وكلا القولين خطأ كما يعلم مما فسرنا به الآية في الجزء الثاني.

وقال السيد في تعريف التأويل: هو في الأصل الترجيح، وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقًا بالكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ ﴾ [الأنعام: ٩٥] إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرًا، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلًا .اهـ، وقال التاج السبكي: الظاهر ما دل دلالة ظنية، والتأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل لدليل فصحيح، أو لما يظن دليلًا ففاسد، أو لا لشيء، فلعب لا تأويل .اهـ.

هذا الاصطلاح المفصل لهذه الكلمات فيه ما ترى - في كتب الأصول - من قيل وقال، ومذاهب وجدال، وهو ما لم يكن يخطر في بال أحد من العرب عند قراءتها في كتاب اللَّه تعالى، بل كانوا يفهمونها بمدلولها اللغوي المحض.

فأما المحكم فهو ما تقدم.

وأما التفصيل في الآية فقد جاء مكررًا في أكثر من عشرين موضعًا من عشر سور مكية، وفي موضع واحد من سورة التوبة المدنية، وأكثرها في تفصيل الآيات القرآنية والعقلية، وبعضها في تفصيل الكتاب، وبعض آخر في تفصيل الأحكام، ونوع آخر أعم وهو (تفصيل كل شيء) أي ما يتعلق بهداية الدين، وإصلاح أمور المكلفين، وكلها داخل في المعنى اللغوي الذي حررناه... » [(١)].

٢ - تعبيد الطريق إلى إصلاح واقع الأمة بالقرآن: فبظهور « المنار » وتفجر بركانه انهدمت الحواجز الفاصلة بين الأمة والقرآن، وصار القرآن يتدخل تدخلًا مباشرًا في الواقع؛ مصححًا لمنهج رؤيته، ضابطًا لميزان تقويمه، ناقدًا ناصحًا لأهل الحل والعقد، فيه، محررًا للمستضعفين، مزلزلًا للمستكبرين، نافخًا الروح في الأموات الذين لديهم استعداد للحياة، جاعلًا الآيات هي القوت في كل الأوقات. والسر كل السر في تجدد فهم القرآن الذي أساسه تجدد تفهم مصطلحات القرآن.

لقد صحح « المنار » قبلة المفسر، واسترجع أراضي الواقع المغتصبة إلى صلب اهتمامه، وجدد وحدد له الرسالة في إصلاح ما فسد من واقع الأمة.

استمع إلى الأستاذ الإمام وهو يتحدث عن التفسير زمن « المنار »: « التفسير عند قومنا اليوم ومن قبل اليوم بقرون: هو عبارة عن الاطلاع على ما قاله بعض العلماء في كتب التفسير على ما في كلامهم من اختلاف يتنزه عنه القرآن ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. وليت أهل العناية بالاطلاع على كتب التفسير يطلبون لأنفسهم معنى تستقر عليه أفهامهم في العلم بمعاني الكتاب ثم يبثونه في الناس، ويحملونهم عليه، ولكنهم لم يطلبوا ذلك، وإنما طلبوا صناعة يفاخرون بالتفنن فيها، ويمارون فيها من يباريهم في طلبها، ولا يخرجون لإظهار البراعة في تحصيلها عن حد الإكثار من القول واختراع الوجوه من التأويل، والإغراب في الإبعاد عن مقاصد التنزيل.

---

(١) المنار (١/٢٦).

إن اللَّه تعالى لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه، وإنما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا، وعن سنة نبيه الذي بين لنا ما نزل إلينا: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]، يسألنا هل بلغتكم الرسالة؟ هل تدبرتم ما بُلّغتم؟ هل عقلتم ما عنه نهيتم وما به أمرتم؟ وهل عملتم بإرشاد القرآن، واهتديتم بهدي النبي واتبعتم سنته؟ عجبًا لنا ننتظر هذا السؤال، ونحن في هذا الإعراض عن القرآن وهديه، فيا للغفلة والغرور!! » (١).

واستمع إلى الأستاذ الإمام إثر ذلك، وهو يحكم على واقع الأمة، بناء على واقع معرفتها بالقرآن: « معرفتنا بالقرآن كمعرفتنا باللَّه تعالى: أول ما يلقن الوليد عندنا من معرفة اللَّه تعالى هو اسم « اللَّه » تبارك وتعالى، يتعلمه بالأيمان الكاذبة كقوله: واللَّه لقد فعلت كذا وكذا، واللَّه ما فعلت كذا، وكذلك القرآن يسمع الصبي ممن يعيش معهم أنه كلام اللَّه تعالى، ولا يعقل معنى ذلك، ثم لا يعرف من تعظيم القرآن إلا ما يعظمه به سائر المسلمين الذين يتربى بينهم. **وذلك بأمرين:**

أحدهما: اعتقاد أن آية كذا إذا كتبت ومحيت بماء وشربه صاحب مرض كذا يشفى، وأن من حمل القرآن لا يقربه جن ولا شيطان، ويبارك له في كذا وكذا، إلى غير ذلك مما هو مشهور ومعروف للعامة؛ أكثر مما هو معروف للخاصة، ومع صرف النظر عن صحة هذا وعدم صحته نقول: إن فيه مبالغة في التعظيم عظيمة جدًّا، ولكنها (ويالللأسف) لا تزيد عن تعظيم التراب الذي يؤخذ من بعض الأضرحة ابتغاء هذه المنافع والفوائد نفسها... هذا الضرب من تعظيم القرآن نسميه - إذا جرينا على سنة القرآن - عبادة للقرآن لا عبادة للَّه به.

ثانيهما: الهزة والحركة المخصوصة والكلمات المعلومة التي تصدر ممن يسمعون القرآن، إذا كان القارئ رخيم الصوت حسن الأداء عارفًا بالتطريب على أصول النغم، والسبب في هذه اللذة والنشوة هو حسن الصوت والنغم، بل أقوى سبب لذلك هو بعد السامع عن فهم القرآن، وأعني بالفهم ما يكون عن ذوق سليم تصيبه أساليب القرآن بعجائبها، وتملكه مواعظه فتشغله عما بين يديه مما سواه. لا أريد الفهم المأخوذ بالتسليم الأعمى من الكتب أخذًا جافًّا لم يصحبه ذلك الذوق، وما يتبعه من رقة الشعور، ولطف الوجدان

---

(١) المنار (١/٢٦، ٢٧).

اللذين هما مدار التعقل والتأثر، والفهم والتدبر.

لهذا كله يمكننا أن نقول: إن الجاهلية اليوم أشد من الجاهلية، والضالين في زمن النبي ﷺ... كان البدوي راعي الغنم يسمع القرآن فيخر له ساجدًا لما عنده من رقة الإحساس ولطف الشعور، فهل يقاس هذا بأي متعلم اليوم ؟ » [1].

٣ - إعادة القرآن الكريم إلى مركزيته في الإصلاح: وهذه أمّ النتائج وأفضل الفضائل؛ نحن أمة أخرجت من كتاب، وصنعت بكتاب، وقبل الكتاب لم يكن يحسب لها أي حساب، وبعد الكتاب صار يحسب لها ألف حساب، وما هجرت الكتاب بعدُ إلا وسقطت من الحساب.

إننا ما دخلنا التاريخ بمنهج فلان أو فلان، ولكننا دخلنا التاريخ بهداية القرآن.

ولذلك فالتجديد الذي هُدي إليه « المنار » وهَدَى إليه هو التجديد: تجديد فهم القرآن.

والأساس الذي قام عليه هو الأساس: أساس إصلاح الأمة بالقرآن.

والهدف الذي سعى إليه هو الهدف: هدف الاستهداء والتفاعل المباشر مع القرآن.

ومتى حجب القرآن حاجب، وحال بينه وبين الناس حائل، فقد قطع بوجه من الوجوه ما أمر اللّه به أن يوصل. وما أكثر قطاع الطريق عبر القرون:

- المحارب لانتشار اللسان العربي في الأمة قاطع طريق.
- والمفسر للقرآن بغير دلالة زمن التنزيل قاطع طريق.
- والملزم للناس بهدي كتاب غير كتاب اللّه ﷻ قاطع طريق.
- والمتخذ أسوة غير رسول اللّه ﷺ، وهو المبيِّن، قاطع طريق.
- والمبعد للقرآن من التعليم والإعلام والحياة قاطع طريق.

وغيرهم... وغيرهم... ممن يمنع وصول القرآن إلى الأمة، أو يمنع وصول الأمة إلى القرآن، كلهم قاطع طريق.

سابعًا: خاتمة في ضرورة الدراسة المصطلحية لتكميل التجديد:

لقد رفع « المنار » منذ قرن أو يزيد، واستجاب من استجاب للمشروع الجديد، وظل

---

(١) المنار (١/٢٦، ٢٧).

النداء طوال القرن يجوب الآفاق، باحثًا عمن يكمل البناء، ثم لاح بأَخَرَة منهج يظهر أنه مفيد أو جد مفيد في تكميل ذلك البناء، إنه حسب ما جرب في حالات بالمغرب فصح: منهج الدراسة المصطلحية الذي يُسْعَى من وراء تطبيقه على المصطلح القرآني كله إلى إنجاز المعجم المفهومي للقرآن الكريم؛ تدرس فيه المصطلحات مصنفة حسب الأنساق، ثم تعرض عرضًا شاملًا في إطار « النسق المفهومي العام للخلوص إلى الفهم الكلي النسقي للقرآن الكريم »[1]. ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٥١].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فاس في ٢٧ رجب ١٤٢٣هـ / ٥ أكتوبر ٢٠٠٢م

(١) انظر ما سبق في الفصل الثاني (ص ١٠٥).

المصادر والمراجع

١ - تفسير المنار لمحمد رشيد رضا - منشورات دار الكتب العلمية - بيروت (ط١)، (١٩٩٩م).

٢ - خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني - محمد المخزومي - دار الفكر الحديث - لبنان (ط٢)، (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

٣ - مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم وأبعاده الحضارية للدكتور: عبد المجيد النجار ضمن أعمال ندوة: « الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية » نشر معهد الدراسات المصطلحية - مطبعة المعارف - الرباط (ط١)، (١٩٩٦م).

٤ - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية للشاهد البوشيخي، تقديم لكتاب: مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف لفريدة زمرد - نشر معهد الدراسات المصطلحية فاس (ط١)، (أكتوبر ٢٠٠١م).

٥ - نظرات في المصطلح والمنهج للشاهد البوشيخي، فاس (ط١)، (٢٠٠٢م).

٦ - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة بحث قدم في ندوة: « عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه » مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية أيام (٤ - ١٤١٢/٦/٧هـ) الموافق (٢ - ٢٠٠٠/٩/٥م).

٧ - نحو منهج لدراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية - بحث قدم في ندوة: « القرآن المجيد وخطابه العالمي » - كلية الآداب بأكادير بالمغرب، بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي - أيام: (١٤ - ١٤١٨/١/١٩هـ) الموافق (٢١ - ١٩٩٧/٥/٢٦م).

٨ - نحو تصور حضاري شامل للمسألة المصطلحية - محاضرة ألقيت بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض يوم (١٤٢٢/١٠/٣٠هـ) الموفق (١٤/ ٢٠٠٢/١م).

* * *

نحو معجم تاريخي
للمصطلحات القرآنية المعرفة

مُقَـدِّمَة

إذا صح الفهم صح العمل، وإذا صح العمل تحسن الحال. ومنذ أجيال وأجيال، حيل بين الأمة وبين كتاب ربها بأشكال، فكان ما كان.

ولتعود المياه إلى مجاريها يجب إعادة وصل الإنسان بالقرآن، وإحلال القرآن في الإنسان، ليستضيء بالقرآن كل الكيان، وتظهر ثمرات القرآن في كل الأكوان.

ولن يعذر اليوم قادر قدرة ما، على وصل ما، أو إحلال ما، ألا يبذل أقصى ما يستطيع في الإسهام في إحياء الأمة بالقرآن؛ فلقد بلغ السيل الزُّبَى، ووصل الحزام الطُّبْيَيْن، ولا كشف لغمة الأمة إلا بالقرآن.

إن انشغال صفوة من الباحثين بتحديد فهم القرآن، هو انشغال بالذي إذا صلح صلح العمل كله، وإذا فسد فسد العمل كله، ألا وهو الفهم.

وخير تمهيد لفهم القرآن فهم مصطلحاته، وخير تمهيد لفهم مصطلحاته استيعاب الفهوم السابقة، « ولا ينهض بذلك الاستيعاب على وجه محرر ميسر، غير **المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة** » وذلك ما يُقَدِّم مشروعُه اليوم في هذا البحث الذي أعد لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، التي أقامها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في الفترة: (٣ - ٦ رجب ١٤٢١هـ/٩/٣٠ - ٢٠٠٠/١٠/٣م).

فهل سينهض بعد هذا النداء رجال لا تلهيهم مغانم ولا مغارم عن ذكر اللّٰه وإقام فهم القرآن؟

هل سينهض رجال بأموالهم وأنفسهم للنهوض بهذا المشروع التاريخي المؤسِّس لتجديد الخلف على استيعاب جهود السلف؟

هل ستنفر طائفة من رواحل الباحثين ليتفقهوا في الدين، وليفقهوا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يفقهون.

اللّٰهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، ولا حول ولا قوة إلا بك.

فاس في ١٧ - ٤ - ١٤٢٤هـ / ١٨ - ٦ - ٢٠٠٣م

الفَصْلُ الأوَّلُ

وصف مشروع المعجم

أولًا: مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة:

١ - مقدمة:

المعجم المفهومي للقرآن الكريم، هو غاية مطمح الدارسين، وإنجازه على وجهه الصحيح، هو قرة عين العالمين، به يرجى تبين أنساق مفاهيم القرآن الجزئية، التي بها يتبين النسق المفهومي الكلي للقرآن، الذي به يتم الفهم الكلي النسقي للقرآن. وبه يرجى تجديد الفهم، الذي به يتم تجديد العمل، الذي به يتم تجديد الحال.

وللوصول إليه، لا بد من الدراسة المصطلحية لمفهوم كل مصطلح قرآني على حدة، وتلك تستلزم - فيما تستلزم - استيعاب تعريفات السابقين وجهودهم، في تبيُّن وبيان المراد من كل مصطلح. ولا ينهض بذلك الاستيعاب على وجه محرر ميسر، غير « **المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة** ».

٢ - مفهوم المعجم التاريخي:

يقصد **بالمعجم التاريخي**، ذلك المعجم الذي يقوم على تتبع المعاني أو المفاهيم، التي أعطيت للألفاظ أو المصطلحات، عبر تاريخها الاستعمالي.

٣ - مفهوم المصطلحات القرآنية:

يقصد **بالمصطلحات القرآنية** كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة كانت أم مقيدة، وعلى الصورة الاسمية الصريحة، أم على الصورة الفعلية التي تؤوَّل بالاسمية.

ويلحق بها أسماء الذوات غير الأعلام، لشبهها القوي بها، واختلاف الناس في مفهومها. أما أسماء الأعلام والأدوات والحروف، فخروجها من ذلك أظهر من أن يخفى.

وقد اعتبرت تلك الأسماء مصطلحات، للخصوصية الدلالية التي صارت لها داخل الرؤية القرآنية، والتي إن لم يُتفطن لها، ويصدر في الفهم والاستنباط عنها، كان الاختلال في ذلك بقدر الإخلال.

وإذا كان هناك نص ما، في لغة ما، قد أحدث « ثورة دلالية »، وشكل « طفرة مفهومية »، تحتاج ليحدث بعض من بعضها في مكان ما، وزمان ما، إلى قرون وقرون، فهو القرآن العظيم.

ومن ثم كيف يسوغ أن تتردد نفوس، في اعتبار الألفاظ القرآنية مصطلحات، وهي لها من الخصوصية والخصوبة المفهومية، بحكم قرآنيتها، ما ليس لمثلها من الألفاظ، في أيٍّ علمٍ من العلوم، بحكم بشريتها؟

كيف يجوز أن تسلم النفوس بمصطلحية ألفاظ كل طائفة، أو فرقة، أو مذهب... وعمدتها وأساسها ألفاظ ونصوص مؤسس الطائفة، أو الفرقة، أو المذهب... ثم لا تسلم بمصطلحية « ألفاظ أصل الدين » وهي ألفاظ كتاب « رب العالمين »؟؟

إن الغفلة عن هذه الحقيقة أحدثت أضرارًا بالغة من أخطرها: عدم الالتزام بمصطلحات القرآن في عدد من علوم الدين، واستعمال ألفاظ أخرى بدلًا منها، لا بد أن تحمل - بحكم طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول والمصطلح والمفهوم - قدرًا من التشوه أو التشويه، في فهم الدين وتبليغ الدين.

لقد آن الأوان لتوبة مصطلحية نصوح يرد فيها وبها، لمصطلحات القرآن، الاعتبار على أساس أن « هذا الأمر دين ».

٤ - مفهوم المصطلحات المعرَّفة:

يقصد **بالمصطلحات المعرفة** هنا، كل الألفاظ التي شرحت دلالتها الاصطلاحية ضربًا من الشرح، سواء أكان ذلك في صورة تعريف « جامع مانع » كما يقال، أم لم يكن، فكل إضاءة لمفهوم المصطلح تسهم في تعرفه، تعتبر في هذا الباب تعريفًا، وكل مصطلح شرح مفهومه ضربًا من الشرح، يعتبر أيضًا مصطلحًا معرَّفًا.

٥ - مفهوم « المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة »:

فالمقصود بالعنوان أعلاه إذن، هو ذلك المعجم، المشتمل على جميع ألفاظ القرآن الكريم التي تعتبر مصطلحات، والتي شرحها الدارسون ضربًا من الشرح، مرتبة في تصنيفها الترتيب المعجمي وفي تعاريفها الترتيب التاريخي.

ثانيًا: أهداف المعجم:

لقد خلت على الأمة قرون؛ فيها السمان وفيها العجاف، فيها خير القرون وفيها غير ذلك، وهي تتفاعل مع النص القرآني؛ تدرسه وتتدارسه، تجلي فهمها له في أعمال، وتلخص نظرتها لمفاهيمه في أقوال، وقد تراكم من ذلك اليوم ما تراكم، وانهدم من بنيان الأمة ما انهدم، واحتيج إلى عودة صادقة، يتأسس فيها اجتهاد الخلف على استيعاب جهود السلف، ويتجدد فيها التدين بناء على تجدد فهم الدين، عودة يستعيد فيها المصطلح القرآني سلطته، ويسترجع في القلوب ما ضاع من مفهومه، ويحرر المساحات الهائلة المغتصبة من عقول الأمة بفعل الانسلاخ والانحسار، أو التبعية والانبهار. ولا سبيل إلى ذلك بغير الدراسة الجادة لمفاهيم المصطلحات القرآنية، وتيسير تداولها - بعد تبينها على الوجه الصحيح - للناس.

وأول ما يجب التمهيد به لذلك، هو هذه الفهوم التي فهمت بها مصطلحات القرآن الكريم، في مختلف الأعصار والأمصار، ولدى مختلف العلماء في مختلف التخصصات؛ والتي تتجلى أساسًا في التعاريف والشروح التي شرحت بها المصطلحات؛ ذلك بأنها تمثل خلاصة الفهم، وخلاصة التفاعل بين النص الثابت والواقع المتغير، عبر الإنسان المختَبر الوسيط، وخلاصة الرصيد الذي لا يدانيه رصيد، في المساعدة على التبين والتنزيل والتجديد.

لا جرم أن جمع ذلك، وتوثيقه، وتصنيفه، وإخراجه في معجم تاريخي، يمتد أكثر من أربعة عشر قرنًا، سيحقق أهدافًا كثيرة؛ منها:

١ - **حصر جهود السابقين** في تجديد دلالة المصطلحات القرآنية: وهي جهود - على كثرتها، وأهميتها، وحاجة الأمة والتخصص في الحاضر والمستقبل إليها - لمَّا تحظ بالعناية اللازمة لها، ليتم استيعابها.

٢ - **تبين مدى إسهام كل مسهم ونوعه،** في ضبط الدلالة الاصطلاحية للألفاظ القرآنية، فردًا كان أم جماعة، وفي أي عصر ومصر، منذ نزول القرآن الكريم حتى الآن. وفي ذلك، عند التحليل والتعليل، من الفوائد ما لا يخفى.

٣ - **رصد التطور** الذي طرأ على فهم المصطلحات القرآنية عبر التاريخ، وهو رصد

سيفسر كثيرًا من الظواهر في شخصيتنا العلمية والحضارية، عموديًّا وأفقيًّا، مدًّا وجزرًا، استقامة وانحرافًا، عطاء وأخذًا.

٤ - تسهيل التقويم، لحسن التوظيف، وحسن التركيب، وحسن التكميل، وما أحوج بناة الخلف إلى استيعاب جهود السلف.

٥ - تمهيد الطريق للدراسة المصطلحية لمفاهيم الألفاظ القرآنية؛ إذ لا يجوز - لخصوصية النص القرآني - الاستغناء في دراسة مفاهيم مصطلحاته عن خلاصات التفاعل والتلقي عبر القرون. وبهذا المعجم سيتيسر الوقوف على ذلك أيما تيسُّر.

ثالثًا: مصادر مادة المعجم:

لا جرم أن أغنى المصادر بمادة هذا المعجم في تراثنا هي:

١ - كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم:

وذلك لارتباطها المباشر بالقرآن، وقيامها على بيان المراد من القرآن الذي لا سبيل إليه بغير بيان المراد من مصطلحات القرآن؛ مما جعل معظم كتب التفسير - إن لم يكن كلها - يشتمل على معاجم كاملة للمصطلحات القرآنية المعرفة، يمكن استخلاصها منها في كتب مستقلة.

ثم تأتي من بعد كتب التفسير كتب الوجوه والنظائر؛ لعنايتها الخاصة بالمعاني المختلفة للألفاظ القرآنية.

ثم تأتي من بعد ذلك بقية كتب علوم القرآن.

٢ - كتب شروح الحديث وعلومه:

وذلك لأن الحديث هو وحي البيان، والشق الثاني المستعمِل لمصطلحات القرآن، فشروحه لا بد أن تكون من أغنى المصادر بشروح ألفاظ القرآن، على أساس أن رسول الله ﷺ - وهو الذي عليه أنزل القرآن، وكلف بتبليغ القرآن - لا يتصور أن يستعمل غير مصطلحات القرآن إلا لضرورة بيان.

ثم تأتي من بعد شروح الحديث على رتبها، كتب علوم الحديث.

٣ - كتب باقي العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وأصول...

وذلك لقيامها على مصطلحات قرآنية بعينها، أو انطلاقها منها، أو اهتمامها بها،

أو نظر إليها من زاوية لم ينظر منها إليها في غيرها. مما جعل المعجم الأساس في هذه العلوم، هو بمعنى ما، معجمًا قرآنيًا، وجعل خدمة العلماء له في تلك التخصصات، هي بوجه ما، خدمة للمصطلح القرآني. فإذا أضيف إلى ذلك أن كتب هذه العلوم كثيرة، وأن عناية رجالها بالمصطلح كبيرة، تبين أن هذا الرافد من أهم روافد المعجم، وأن مادته قد تكون من أضبط المواد.

٤ - كتب المعاجم الخاصة:

وهي في أهميتها على الترتيب السابق للمصادر؛ فمعاجم ألفاظ القرآن الكريم بأصنافها لها الصدارة، ثم معاجم ألفاظ الحديث النبوي الشريف، ثم معاجم ألفاظ سائر العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وأصول وغيرها.

٥ - كتب المعاجم العامة:

وفيها ما لو جمع وحده؛ لكون معجمًا هامًّا عامًّا للمصطلحات القرآنية كلها. والظن - نتيجة المزاولة - أنه لا يغني بعضها عن بعض، وإن كان بعضها أغنى بالمادة من بعض، وهي بذلك من المصادر التفسيرية التي يمكن القول إنها مهملة أو كالمهملة.

هذه أهم مصادر المادة فكيف ينبغي أن يرتب ما جمع منها داخل المعجم؟

رابعًا: ترتيب مادة المعجم:

بما أنه « **معجم** »، فلا بد من مراعاة جانب المعجمية فيه.

وبما أنه « **تاريخي** » فلا بد من مراعاة جانب التاريخية فيه.

وكل ذلك بقدر ما يحقق الغرض الأساسي من المعجم، وهو تسهيل الوقوف على تعاريف المصطلحات القرآنية وشروحها عبر التاريخ، تمهيدًا لدراسة مفاهيمها دراسة مصطلحية بعد. وعليه **فالترتيب العام المقترح للمعجم هو:**

أ - الترتيب الألفبائي لحروف المعجم كله.

ب - الترتيب الألفبائي للمصطلحات داخل كل حرف، حسب الأوائل فالثواني فالثوالث... بعد إسقاط « الـ » التعريف.

جـ - الترتيب الألفبائي للضمائر داخل كل مصطلح، حسب ما تقدم.

د - الترتيب التاريخي للمعرفين داخل كل مصطلح أو ضميمة.

هـ - الترتيب التاريخي لمصادر تعريفات كل معرف، إن تعددت.

و - الترتيب التاريخي لتعريفات كل مصدر، إن تعددت.

ز - تكشيف المعجم كله بما يخدم غرضه وأهدافه.

خامسًا: مراحل إنجاز المعجم:

واضح أن هذا المعجم ضخم، وأن مادته متشعبة التخصصات، وأن مصادره ممتدة في الزمان والمكان، **ولذلك لا بد في إنجازه من مراحل، أهمها:**

١ - مرحلة الجمع والتوثيق:

وهي أطول مرحلة وأشقها وأهمها على الإطلاق؛ فيها يجب أن تقرأ جميع أصناف المصادر المتقدمة، وتستخلص منها جميع التعاريف والشروح، موثقة النسبة إلى أصحابها مؤرخًا لهم، موثقة النسبة إلى مصادرها، مضبوطة البيانات، موثقة المتن صحيحة العبارة، منظمة تنظيمًا يجعل الاستفادة منها فيما يتلو ميسرة...

٢ - مرحلة المراجعة والتدقيق:

وهي مرحلة تكميل الناقص، وضبط المختل، وإلغاء الحشو، وتعريف الغامض، والتأكد من الموجود، وإضافة المفقود... في المصادر والنصوص، والبيانات، والتنظيم وغير ذلك. وما قبلها متوقف في صحته على تصحيحها، وفي دقته على تدقيقها، والجهد فيها كمًّا أقل، وكيفًا أكثر.

٣ - مرحلة التأليف والتنسيق:

وفيها يصنف ما روجع ودقق، تصنيفات جزئية مختلفة، ثم يؤلف من تلك الأصناف الجزئية أشكال من المركبات، ثم ينسق من تلك المركبات المعجم الجامع، مرتبًا الترتيب المشار إليه أعلاه. مكشفًا التكشيف الذي ينبغي له.

* * *
*

الفَصْلُ الثَّانِي

نموذج أوَّليٌّ
لعرض مادة من المعجم

بين يدي العرض:

قديمًا قيل: « بالمثال يتضح المقال »، وإذا تعذر المثال « المثال »، فليكن على الأقل بعض مثال، ليتضح به على الأقل بعض مقال، قد يكون هو محل الإشكال. وذلك الذي دفع إلى جمع جزء من مادة مصطلح صغير، لم يتردد في القرآن الكريم، في أكثر من ثلاث آيات (النساء ١١٩، الأنفال ٥٣، الرعد ١١) هو مصطلح (التغيير)، ولم يرد هكذا مصدرًا قط، وإنما ورد فعلًا مضارعًا (٤ مرات) أو اسم فاعل مغيرًا (مرة واحدة)؛ ولذلك لم يكد يعنى به المفسرون - الذين تعرض مادتهم هنا - مصطلحًا، وكان استخلاص تعاريفه وشروحه من تفاسيرهم، في أغلبه، في غاية العسر. لكنه - على ذلك وبذلك - مثال قد يجيب عن عدد من الأسئلة، ويثير ويحل أشكالًا من الإشكال. **ولوضع العرض في إطاره المناسب ينبغي التنبيه على ما يلي:**

١ - العرض عبارة عن محاولة أولية أولى لترتيب مادة من هذا القبيل.

٢ - المادة، على طولها، لا تمثل كل ما يجب تقصيه، وإنما ما أمكن تقصيه، من مصادر الصنف المختار (التفاسير).

٣ - اختير تفسير الطبري أساسًا للانطلاق منه إلى ما بعده، لجمعه ونخله المادة التي قبله.

٤ - كل تكرار لنص لدى متأخر، لا يضيف جديدًا إلى متقدم، لا يلتفت إليه.

٥ - العرض نصِّي وصفي تاريخي، لا تدخّل فيه إلا من جهة الجمع والاستخلاص والترتيب؛ فما وجد عرض، وما لم يوجد لم يعرض.

٦ - الموجود من المادة هو الذي جعل المعروض هكذا:

* شروح مصطلح (التغيير).

* شروح ضميمتين له:

- (تغيير خلق اللّٰه). - (تغيير نعمة اللّٰه).

* شروح ما له تأثير في مفهومه:

- (تغيير ما بقوم). - (تغيير ما بالأنفس).

٧ - النتائج متروكة لطاقة المتلقي؛ لكن لا بأس من التنبيه على أن من أبرزها بروز التطور الدلالي الذي طرأ على اتجاه (التغيير)؛ فبدلًا من أن يظل كما كان لدى الأوائل خاصًا بالتحول من الخير إلى الشر، صار عامًّا لدى المتأخرين أو بعضهم في التحول مطلقًا؛ من الخير إلى الشر، ومن الشر إلى الخير. وذلك مما يحتاج إلى تحقيق وتدقيق في التحرير والتنوير بعد.

أولًا: (التفبيير):

١ - النحاس (ت ٣٣٨هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« ... دين اللّٰه... الخصاء،... الفطرة. وهذه الأقوال ليست بمتناقضة؛ لأنها ترجع إلى الأفعال. فأما قوله: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠] وقال ههنا: ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ فإن التبديل هو بطلان عين الشيء، فهو ههنا مخالف للتغيير ».

[معاني القرآن ١٩٥/٢، ١٩٦].

٢ - النيسابوري (ت ٤٠٦هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾.

« المراد من التغيير: إما المعنوي، وإما الحسي.

فمن الأول... أنه تغيير دين اللّٰه بتبديل الحرام حلالًا وبالعكس، أو بإبطال الاستعداد.

ومن الثاني... لعن اللّٰه الواشمات والواشرات والمتنمصات... ».

[غرائب القرآن على هامش جامع البيان ١٧٨/٥].

٣ - ابن عطية (ت ٥٤٢هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« والتبديل يقع موضعه التغيير، وإن كان التغيير أعم منه... وملاك تفسير هذه الآية

أن كل تغيير ضار فهو في الآية، وكل تغيير نافع فهو مباح » .

[المحرر الوجيز ٤/٢٣١، ٢٣٢].

٤ - الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

« فالمراد مما ذكره الله تعالى التغيير بالهلاك والعقاب ».

[مفاتيح الغيب ١٩/ ٢٨].

٥ - أبو حيان النحوي (ت ٧٤٥هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« التغيير قد يكون بإزالة الذات، وقد يكون بإزالة الصفات، فقد تكون النعمة أذهبت رأسًا، وقد تكون قللت وأضعفت ».

[البحر المحيط ٣/ ٥٠٧].

٦ - البقاعي (ت ٨٨٥هـ):

﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« ... بأنواع التغيير من تغيير الفطرة الأولى السليمة إلى ما دون ذلك؛ من فقء عين الحامي ونحو ذلك... ويكون التغيير بالوشم والوشر ويدخل فيه كل ما خالف الدين »

[نظم الدرر ٥/ ٤٠٦، ٤٠٧].

٧ - الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« والتغيير تبديل شيء بما يضاده؛ فقد يكون تبديل صورة جسم، كما يقال: غيرت داري. ويكون تغيير حال وصفة، ومنه تغيير الشيب، أي صباغه، وكأنه مشتق من الغير، وهو المخالف. فتغيير النعمة إبدالها بضدها وهو النقمة وسوء الحال، أي تبديل حالة حسنة بحالة سيئة...

والمراد بهذا التغيير سببه، وهو الشكر بأن يبدلوه بالكفران... ».

[التحرير والتنوير ١٠/ ٤٥].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

« والتغيير: التبديل بالمغاير ».

[التحرير والتنوير ١٣/ ١٠٢].

٨ - محمد عزة دروزة (ت):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« وتقرير عدم تبديل حالة قوم إلى ضدها إلا إذا غيروا ما بأنفسهم يشمل الإيجاب والسلب معًا؛ لأن هذا هو مقتضى سنة اللّه العامة. ونعني أن تغير حالة قوم سيئة إلى ما هو أحسن منها منوط كذلك بتغيير ما بأنفسهم. وإذا كانت الآية قد ذكرت النعمة، فإن ذلك هو ما اقتضاه ظروف تنزيلها والناس الذين عنوا فيها وحسب. وفي سورة الرعد، جملة وردت فيها هذه الحكمة عامة، بحيث تشمل حالتي النعمة والنقمة... وهي هذه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

[التفسير الحديث ٤٧/٨].

ثانيًا: (تغيير خلق اللّه):

١ - الطبري (ت ٣١٠هـ):

﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال معناه:... دين اللّه؛ وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه. وهي قوله: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠]. وإذا كان ذلك معناه دخل في ذلك فعل كل ما نهى اللّه عنه من خصاء ما لا يجوز خصاؤه، ووشم ما نهي عن وشمه، ووشره، وغير ذلك من المعاصي، ودخل فيه ترك كل ما أمر اللّه به؛ لأن الشيطان لا شك أنه يدعو إلى جميع معاصي اللّه، وينهى عن جميع طاعته، فذلك معنى أمره نصيبه المفروض من عباد اللّه، بتغيير ما خلق اللّه من دينه... ».

[جامع البيان ١٨٣/٥].

٢ - البغوي (ت ٥١٦هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« وضع اللَّه في الدين، بتحليل الحرام وتحريم الحلال ».

[معالم التنزيل ١/٤٨٢].

٣ - ابن العربي المعافري (ت ٥٤٣هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« وقال إبراهيم ومجاهد وغيرهما: التغيير لخلق اللَّه يريد به دين اللَّه؛ وذلك وإن كان محتملًا فلا نقول: إنه المراد بالآية، ولكنه مما غير الشيطان، وحمل الآباء على تغييره، وكل مولود يولد على الفطرة، ثم يقع التغيير على يدي الأب والكافل والصاحب، وذلك تقدير العزيز العليم ».

[أحكام القرآن ١/٥٠٢].

٤ - الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« وللمفسرين ههنا **قولان**: أن المراد من تغيير خلق اللَّه تغيير دين اللَّه، وهو قول سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والحسن والضحاك ومجاهد والسدي والنخعي وقتادة، وفي تقرير هذا القول وجهان: **الأول**: أن اللَّه تعالى فطر الخلق على الإسلام يوم أخرجهم من ظهر آدم كالذر، وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم وآمنوا به؛ فمن كفر فقد غير فطرة اللَّه التي فطر الناس عليها، وهذا معنى قوله ﷺ: « **كل مولود يولد على الفطرة...** » ولكنَّ أبويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه.

والوجه الثاني: في تقرير هذا القول: أن المراد من تغيير دين اللَّه هو تبديل الحلال حرامًا والحرام حلالًا.

والقول الثاني: حمل التغيير على تغيير أحوال كلها تتعلق بالظاهر، **وذكروا فيه وجوهًا**:

الأول: قال الحسن: المراد ما روى عبد اللَّه بن مسعود عن النبي ﷺ: « **لعن اللَّه الواصلات والواشمات** » قال: وذلك لأن المرأة تتوصل بهذه الأفعال إلى الزنا.

الثاني: روي عن أنس وشهر بن حوشب وعكرمة وأبي صالح أن معنى تغيير خلق اللَّه ههنا هو الإخصاء وقطع الآذان وفقء العيون؛ ولهذا كان أنس يكره إخصاء الغنم، وكانت العرب إذا بلغت إبل أحدهم ألفًا عوروا عين فحلها.

الثالث: قال ابن زيد هو التخنث، وأقول: يجب إدخل السحاقات في هذه الآية على هذا القول؛ لأن التخنث عبارة عن ذَكرٍ يشبه الأنثى، والسحق عبارة عن أنثى تشبه الذكر.

الرابع: حكى الزجاج عن بعضهم أن اللَّه تعالى خلق الأنعام ليركبوها ويأكلوها فحرموها على أنفسهم كالبحائر والسوائب والوصائل، وخلق الشمس والقمر والنجوم مسخرة للناس ينتفعون بها فعبدها المشركون، فغيروا خلق اللَّه.

هذا جملة كلام المفسرين في هذا الباب. ويخطر ببالي ههنا وجه آخر في تخريج الآية على سبيل المعنى؛ وذلك لأن دخول الضرر والمرض في الشيء يكون على ثلاثة أوجه: التشوش، والنقصان، والبطلان. فادعى الشيطان – لعنه اللَّه – إلقاء أكثر الخلق في مرض الدين، وضرر الدين هو قوله: ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾، ثم إن هذا المرض لا بد وأن يكون على أحد الأوجه الثلاثة التي ذكرناها، وهي: التشوش والنقصان والبطلان، فأما التشوش فالإشارة إليه بقوله: ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾؛ وذلك لأن صاحب الأماني يشغل عقله وفكره في استخراج المعاني الدقيقة والحيل والوسائل اللطيفة في تحصيل المطالب الشهوانية والغضبية، فهذا مرض روحاني من جنس التشوش. وأما النقصان فالإشارة إليه بقوله: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾، وذلك لأن بتك الآذان نوع نقصان، وهذا لأن الإنسان إذا صار مستغرق العقل في طلب الدنيا، صار فاتر الرأي ضعيف الحزم في طلب الآخرة، وأما البطلان فالإشارة إليه بقوله: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾؛ وذلك لأن التغيير يوجب بطلان الصفة الحاصلة في المدة الأولى. ومن المعلوم أن من بقي مواظبًا على طلب اللذات العاجلة، معرضًا عن السعادات الروحانية، فلا يزال يزيد في قلبه الرغبة في الدنيا والنفرة عن الآخرة، ولا تزال تتزايد هذه الأحوال إلى أن يتغير القلب بالكلية فلا يخطر بباله ذكر الآخرة ألبتة، ولا يزول عن خاطره حب الدنيا ألبتة، فتكون حركته وسكونه وقوله وفعله لأجل الدنيا، وذلك يوجب تغيير الخلقة؛ لأن الأرواح البشرية إنما دخلت في هذا العالم الجسماني على سبيل السفر، وهي متوجهة إلى عالم القيامة، فإذا نسيت معادها وألفت هذه المحسوسات التي لا بد من انقضائها وفنائها كان هذا

بالحقيقة تغييرًا للخلقة، وهو كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩] وقال: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٦٤].

[مفاتيح الغيب ١١/٤٩، ٥٠].

٥ – أبو حيان النحوي (ت ٧٤٥هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« ... وقالت فرقة – منهم الزجاج: هو جعل الكفار آلهة لهم ما خلق للاعتبار به من الشمس والنار والحجارة وغير ذلك مما عبدوه... وقيل: تغيير خلق اللَّه هو أن كل ما يوجده اللَّه لفضيلة فاستعان به في رذيلة فقد غير خلقه. وقد دخل في عمومه ما جعله اللَّه تعالى للإنسان من شهوة الجماع ليكون سببًا للتناسل على وجه مخصوص فاستعان به في السفاح واللواط، فذلك تغيير خلق اللَّه، وكذلك المخنث إذا نتف لحيته وتقنع تشبهًا بالنساء، والفتاة إذا ترجلت متشبهة بالفتيان، وكل ما حلله اللَّه فحرموه، أو حرمه تعالى فحللوه. وعلى ذلك: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ وإلى هذه الجملة أشار المفسرون، ولهذا قالوا: هو تغيير أحكام اللَّه، وقيل: هو تغيير الإنسان بالاستلحاق أو النفي، وقيل: خضاب الشيب بالسواد، وقيل: معاقبة الولاة بعض الجناة بقطع الآذان وشق المناخر وسمل العيون وقطع الأنثيين. ومن فسر بالوشم أو الخصاء أو غير ذلك مما هو خاص في التغيير فإنما ذلك على جهة التمثيل لا الحصر.

[البحر المحيط: ٣/٣٥٣، ٣٥٤].

٦ – البيضاوي (ت ٧٩١هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« عن وجهه، وصورته، أو صفته، ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحاق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر، وتغيير فطرة اللَّه التي هي الإسلام، واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالًا، ولا يوجب لها من اللَّه ﷻ زلفى ».

[تفسير البيضاوي: ٣/١١٦].

٧ - الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« واختلف العلماء في هذا التغيير ما هو؟ فقالت طائفة: هو الخصاء... وقيل: المراد تغيير الفطرة ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور حملًا شموليًا أو بدليًا ».

[فتح القدير: ٥١٧/١].

٨ - محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« تغيير خلق اللَّه وسوء التصرف فيه عام.

يشمل التغيير الحسي كالخصاء،... ويشمل سائر أنواع التشويه والتمثيل بالناس الذي حرمه الشرع..

ويشمل التغيير المعنوي، وقد روى... أن المراد هنا بخلق اللَّه دينه؛ لأنه دين الفطرة وهي الخلقة...

وجملة القول أن التغيير الصوري الذي يجدر بالذم ويعد من إغراء الشيطان هو ما كان فيه تشويه وإلا لما كان من السنة الختان والخضاب وتقليم الأظافر.

الأستاذ الإمام: جرى قليل من المفسرين... وقال كثير منهم: إن المراد تغيير الفطرة الإنسانية بتحويل النفس عما انطوت عليه من الميل إلى النظر والاستدلال وطلب الحق، وتربيتها على الأباطيل والرذائل والمنكرات، فاللَّه سبحانه قد أحسن كل شيء خلقه، وهؤلاء يفسدون ما خلق، ويطمسون عقول الناس ».

[المنار: ٤٢٨/٥، ٤٢٩].

٩ - سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« تغيير خلق اللَّه وفطرته بقطع بعض أجزاء الجسد أو تغيير شكلها في الحيوان أو الإنسان كخصاء الرقيق ووشم الجلود... وما إليها من التغيير والتشويه الذي حرمه الإسلام ».

[الظلال: ٥٢٦/٢].

١٠ - الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

« قوله: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ تعريض بما كانت تفعله أهل الجاهلية من تغيير خلق اللّه لدواعٍ سخيفة؛ فمن ذلك ما يرجع إلى شرائع الأصنام مثل فقوء عين الحامي، وهو البعير الذي حمي ظهره من الركوب لكثرة ما أنسل ويسيب للطواغيت، ومنه ما يرجع إلى أغراض ذميمة كالوشم؛ إذ أرادوا به التزين، وهو تشويه، وكذلك وسم الوجوه بالنار.

ويدخل في معنى تغيير خلق اللّه وضع المخلوقات في غير ما خلقها اللّه له، وذلك من الضلالات الخرافية؛ كجعل الكواكب آلهة، وجعل الكسوفات والخسوفات دلائل على أحوال الناس. ويدخل فيه تسويل الإعراض عن دين الإسلام، الذي هو دين الفطرة، والفطرة خلق اللّه، فالعدول عن الإسلام إلى غيره تغيير لخلق اللّه.

وليس من تغيير خلق اللّه التصرف في المخلوقات بما أذن اللّه فيه، ولا ما يدخل في معنى الحسن؛ فإن الختان من تغيير خلق اللّه ولكنه لفوائد صحية، وكذلك حلق الشعر لفائدة دفع بعض الأضرار، وتقليم الأظفار لفائدة تيسير العمل بالأيدي، وكذلك ثقب الآذان للنساء لوضع الأقراط والتزين.. وملاك الأمر أن تغيير خلق اللّه إنما يكون إثمًا إذا كان فيه حظ من طاعة الشيطان، بأن يجعل علامة لنحلة شيطانية، كما هو سياق الآية واتصال الحديث بها ».

[التحرير والتنوير: ٥/٢٠٥، ٢٠٦].

١١ - سعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ):

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

أعظم تبديل لخلق اللّه يؤاخذ عليه هو تبديل الفطرة.

[الأساس في التفسير: ٢/١١٨٩].

ثالثًا: (تغيير نعمة اللّه):

١ - النيسابوري (ت ٤٠٦هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« إنهم قابلوا... النعم بالكفر والفسوق والعصيان، فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن ».

[غرائب القرآن/ هامش جامع البيان: ١٠/١٤].

٢ - ابن عطية (ت ٥٤٢هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« تغيير ما أمروا به من طاعة اللّه، تغيير إما منهم وإما من الناظر لهم، أو ممن هو منهم بسبب، كما عبر تعالى بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة ما بأنفسهم ».

[المحرر الوجيز: ٨/١٤١، ١٤٢].

٣ - الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« أنه تعالى أنعم عليهم بالعقل والقدرة وإزالة الموانع وتسهيل السبل... فإذا صرفوا هذه الأحوال إلى الفسق والكفر، فقد غيروا نعمة اللّه تعالى على أنفسهم ».

[مفاتيح الغيب: ٨/١٨٧].

٤ - أبو حيان النحوي (ت ٧٤٥هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« وظاهر النعمة أنه يراد بها ما يكونون فيه من سعة الحال والرفاهية والعزة والأمن والخصب وكثرة الأولاد، والتغيير قد يكون بإزالة الذات وقد يكون بإزالة الصفات؛ فقد تكون النعمة أذهبت رأسًا وقد تكون قللت وأضعفت... والظاهر من قوله: ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ العموم في كل من أنعم اللّه عليه من مسلم وكافر، وبر وفاجر، وأنه تعالى متى أنعم على أحد فلم يشكر، بدله عنها بالنقمة ».

[البحر المحيط: ٣/٥٠٧].

٥ - الألوسي (ت ١٢٧٠هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

« من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم ما تتصف به ذواتهم من الأحوال

الجملية لا ما أضمروه ونووه فقط. والمراد بتغيير ذلك تبديله بخلافه لا مجرد تركه ».

[روح المعاني: ١١٦/١٣].

٦ - القاسمي (ت ١٣٣٢هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« بتبديله إياها بالنقمة.

قال القاشاني: كل ما يصل إلى الإنسان هو الذي يقتضيه استعداده، ويسأله بدعاء الحال، وسؤال الاستحقاق، فإذا أنعم على أحد النعمة الظاهرة أو الباطنة لسلامة الاستعداد وبقاء الخيرية فيه لم يغيرها حتى أفسد استعداده، وغير قبوله للصلاح، بالاحتجاب وانقلاب الخير الذي فيه بالقوة إلى الشر، لحصول الرين وارتكام الظلمة فيه، بحيث لم يبق له مناسبة للخير، ولا إمكان لصدوره منه، فيغيرها إلى النقمة عدلًا منه، وجودًا، وطلبًا من ذلك الاستعداد إياها بجاذبة الجنسية والمناسبة، لا ظلمًا وجورًا ».

[محاسن التأويل: ٥٣/٤].

٧ - الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« فتغيير النعمة إبدالها بضدها وهو النقمة وسوء الحال، أي تبديل حالة حسنة بحالة سيئة...

والمراد بهذا التغيير تغيير سببه، وهو الشكر بأن يبدلوه بالكفران ».

[التحرير والتنوير: ٤٥/١٠].

رابعًا: (تغيير ما بالأنفس):

١ - الزمخشري (ت ٥٣٨هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

« ﴿ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ من الحال الجميلة بكثرة المعاصي ».

[الكشاف: ٣٥٢/٢].

٢ - شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« هذا التغيير **نوعان: أحدهما**: أن يبدوا ذلك، فيبقى قولًا وعملًا يترتب عليه الذم والعقاب. **والثاني**: أن يغيروا الإيمان الذي في قلوبهم بضدده من الريب والشك والبغض، ويعزموا على ترك فعل ما أمر اللَّه به ورسولُه؛ فيستحقون العذاب هنا على ترك المأمور، وهناك على فعل المحظور. وكذلك ما في النفس؛ مما يناقض محبة اللَّه، والتوكل عليه، والإخلاص له، والشكر له - يعاقب عليه؛ لأن هذه الأمور كلها واجبة، فإذا خلي القلب عنها، واتصف بأضدادها، استحق العذاب على ترك هذه الواجبات. وبهذا التفصيل تزول شبه كثيرة، ويحصل الجمع بين النصوص؛ فإنها كلها متفقة على ذلك ».

[مجموع الفتاوى: ١٤/١٠٩، ١١٠].

٣ - أبو حيان النحوي (ت ٧٤٥هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

« ما بأنفسهم من طاعته إلى توالي معصيته ».

[البحر المحيط: ٥/٣٧٣].

٤ - أبو السعود (ت ٩٥١هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« ما بأنفسهم من الأعمال والأحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت أحوالهم السابقة مرضية صالحة أو قريبة من الصلاح بالنسبة إلى الحادثة ».

[إرشاد العقل السليم: ٤/٢٨، ٢٩].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

« ما بأنفسهم من الأعمال الصالحة أو ملكاتها التي هي فطرة اللَّه التي فطر الناس عليها إلى أضدادها ».

[إرشاد العقل السليم: ٥/٩].

٥ - الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« ما بأنفسهم من الأحوال والأخلاق، بكفران نعم اللّه وغمط إحسانه وإهمال أوامره ونواهيه ».

[فتح القدير: ٣١٨/٢].

٦ - محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

« ما بأنفسهم من نور العقل وصحة الفكر وإشراف البصيرة، والاعتبار بأفعال اللّه في الأمم السابقة، والتدبر في أحوال الذين جاروا عن صراط اللّه فهلكوا وحل بهم الدمار... ».

[المنار: ٣٧/١٠].

٧ - القاسمي (ت ١٣٣٢هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« ﴿ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ من موجبات تلك النعم من اعتقاد أو قول أو عمل ».

[محاسن التأويل: ٥٣/٤].

٨ - محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« فإذا هم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق وما يترتب عليها من محاسن الأعمال غيَّر اللّه عندئذ ما بأنفسهم وسلب نعمتهم منهم ».

[المنار: ٣٧/١٠].

٩ - الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ):

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

« و ﴿ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾... أي ما استقر وعلق بهم، وما صدق (ما) النعمة التي أنعم اللّه عليهم، كما يؤذن به قوله تعالى: ﴿ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ ».

[التحرير والتنوير: ٤٥/١٠].

١٠ - الزحيلي:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١].

« بتغيير ما بأنفسهم بأن يكون منهم الظلم والمعاصي والفساد وارتكاب الشرور والآثام التي تهدم بنية المجتمع وتهدم كيان الأمم ».

[التفسير المنير: ١٢٤/١٣].

خامسًا: (تغيير ما بقوم):

١ - الطبري (ت ٣١٠هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١].

« ما بقوم من عافية ونعمة فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم ».

[جامع البيان: ٨١/١٣].

٢ - النيسابوري (ت ٤٠٦هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١].

« ما بقوم من الوجود أو العدم حتى يغيروا ما بأنفسهم من استدعاء الوجود أو العدم، بلسان استحقاق الوجود أو العدم، كما تقتضيه حكمته وتدبره ».

[غرائب القرآن/ هامش جامع البيان: ٧١/١٣].

٣ - الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١]

« كلام جميع المفسرين يدل أن المراد لا يغير ما هم فيه من النعم بإنزال الانتقام ».

[مفاتيح الغيب: ص ٢٨].

٤ - البقاعي (ت ٨٨٥هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١].

« ﴿ مَا بِقَوۡمٍ ﴾ أي خيرًا كان أو شرًا ».

[نظم الدرر: ٢٩٢/١٠].

٥ - الألوسي (ت ١٢٧٠هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

« ما بقوم من النعم الظاهرة أو الباطنة ».

[روح المعاني: ١٣/١٣٦].

٦ - محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

« ما بقوم من عزة وسلطان ورفاهة وخفض عيش وأمن وراحة ».

[المنار: ١٠/٣٧].

٧ - سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

« لا يغير نعمة أو بؤسًا ولا يغير عزًّا أو ذلة ولا يغير مكانة أو مهانة... إلا أن يغير الناس... وبعد تقرير المبدأ يبرز السياق حالة تغيير اللَّه ما بقوم إلى السوء... لأنه في معرض الذين يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ».

[الظلال: ٥/٧٨].

* * *
*
*

المَصَادِرِ وَالمَرَاجِع

١ - جامع البيان في تفسير القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار المعرفة، بيروت (ط٣)، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

٢ - معاني القرآن الكريم. لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد المرادي المصري (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة (ط١)، (١٤٠٩هـ).

٣ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان (بهامش « جامع البيان » للطبري أعلاه)، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٤٠٦هـ).

٤ - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت (ط١)، (١٤١٥هـ).

٥ - معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت (ط٢)، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٦ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٧ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق جماعة من العلماء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر (ط١)، (١٣٩٨هـ/١٩٧٧م).

٨ - أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٩ - زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت (ط٣)، (١٤٠٤هـ).

١٠ - تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين، (ت ٦٠٦هـ) قدم له الشيخ خليل محيي الدين الميس، دار الفكر

بيروت، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

١١ - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب القاهرة (ط٢)، (١٣٧٢هـ).

١٢ - تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ).

١٣ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجلدات التفسير، طبعة خادم الحرمين الشريفين بإشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.

١٤ - تفسير البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤هـ)، دار الكتاب الإسلامي القاهرة (ط٢)، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

١٥ - تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت (١٤٠١هـ).

١٦ - تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشيرازي (ت ٧٩١هـ)، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر بيروت (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

١٧ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.

١٨ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، (ط١) (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

١٩ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت (١٩٩٣م).

٢٠ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

٢٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل محمد الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٣ - فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي القنوجي البخاري (ت ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعه عبد اللّٰه بن إبراهيم الأنصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي دولة قطر (١٩٨٩م).

٢٤ - تفسير القاسمي محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت (ط١)، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٢٥ - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، دار المعرفة، بيروت (ط٢)، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

٢٦ - في ظلال القرآن لسيد قطب (ت ١٣٨٧هـ)، دار إحياء الترث العربي، بيروت (ط٧)، (١٣٩١هـ/١٩٧١).

٢٧ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) خرج آياته وأحاديثه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١)، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

٢٨ - تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣)، الدار التونسية للنشر (١٩٨٤م).

٢٩ - التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة (ت ١٤٠٤هـ)، دار الكتب العربية (١٣٨٣هـ/١٩٨٣).

٣٠ - الأساس في التفسير لسعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة (ط١)، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٣١ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق (ط١)، (١٤١١هـ/١٩٩١م).

* * *

نظرات في قضية
المصطلح العلمي في التراث

١٥٦

هذا البحث

أُعِدَّ وأُلقِيَ عَرْضًا فِي المؤتَمرِ الثَّالِث
لمجمَعِ اللُّغةِ العَربيَّةِ بدِمَشْق
الذِي أُقيم تَحْتَ
عنوان:

« قضَايا المصطَلحِ العلْمِيِّ »

أيام: ١٠ - ١٢ أكتوبر ٢٠٠٤م.

١
مقدمة في كون
« المصطلح علمي في التراث » قضية

الكلام في التراث ملأ الدنيا وشغل الناس منذ قرن أو يزيد، والكلام في المصطلح شغل العلماء وأنشأ المجامع منذ قرن أو يزيد [١]. وما انشغالهم بالمصطلح إلا للتعبير بلغة الذات عَمّا جد في العصر، وما انشغالهم بالتراث إلا للانطلاق في نهوض الأمة من الأصل. وما كان لمعاصرة ما أن تكون سَوِيّة إلا إذا تأسست على أصالة. وما كان لغد يُبنى أو مستقبل يُستشرف، إلا والذاكرة حية، والذخيرة حاضرة.

ولقد همت الأمة يومًا بالتعريب في عهد الرواد الأوائل، وكانوا متضلعين في التراث، فولت وجهها، وهي تحاول ما تحاول، شطر التراث، ثم لم ينشب أن ضعف الرصيد، وانخفض مخزون التراث في النفوس، وارتفع مقذوف العصر في الرؤوس، فبدأ الإشكال: إشكال شدة الحاجة إلى المصطلح العربي، مع ضعف القدرة على الاستجابة، ثم ازداد الانخفاض والارتفاع، وعمّت موجات من القراءات العصرية للتراث، فظهر إشكال أشد: هو فهم التراث.

وبما أن التراث هو الذات، فقد تطور الإشكال حتى مس كل مكونات الذات، وصار « المصطلح العلمي في التراث » قضية تفرض نفسها في كل أصناف العلوم في التراث: الشرعية، والإنسانية، والمادية.

ومن ثم آل الأمر إلى أن:

لا فهم ولا تقويم ولا توظيف على الوجه الصحيح للتراث، في مختلف المجالات، إلا بعد الحسم في قضية المصطلح العلمي في التراث.

---

(١) ظهرت أول محاولة لإنشاء « مجمع » بالقاهرة سنة (١٨٩٢م)، هو « مجمع البكري » الذي عرف باسم رئيسه الأول والأخير: محمد توفيق البكري، « ولم يعقد... سوى سبع جلسات ألقيت فيها بعض البحوث ووضعت كلمات جديدة لمصطلحات أجنبية » (مجمع البكري... لأحمد تمام - إسلام أون لاين). أما البداية الصحيحة الصريحة للمجامع فهي « المجمع العلمي » بدمشق الذي أنشئ سنة (١٩١٩م)، برئاسة محمد كرد علي.

ولا استيعاب لما كان، أو التأسيس لما ينبغي أن يكون إلا بعد الاستيعاب التام لقضية المصطلح العلمي في التراث.

فما المقصود بالمصطلح العلمي في التراث؟

وما موجبات الاهتمام به؟

وما التحديات التي تواجه المهتمين به؟

وما شروط الاستفادة منه؟

وما واقع العناية به؟

وما المقترحات التي تقترح بشأنه؟

ذلكم ما سيحاول هذا العرض المتواضع الإجابة عنه:

٢
مفهوم « المصطلح العلمي في التراث »

« المفهوم أساس الرؤية، والرؤية نظارة الإبصار التي تريك الأشياء كما هي: بأحجامها وأشكالها وألوانها الطبيعية، أو تريكها على غير ما هي: مصغرة أو مكبرة، محدبة أو مقعرة... » [(١)]. ومن ثم « فالمصطلح العلمي في التراث » قضيةً، يتأسس على « المصطلح العلمي في التراث » مفهومًا، وهذا أيضًا يدور ضِيقًا وسعة، على حسب مفهوم العلم ضيقًا وسعة:

(٢/١) **فمن حصر مفهوم « العلم » في مجال العلوم المادية،** انحسر لديه الإشكال إلى مجال العلوم المادية، وصارت القضية لديه إنما تثار في مجال العلوم المادية، وكان مفهوم المصطلح العلمي في التراث عنده هو: اللفظ الذي يعبر عن مفهوم معين في علم من العلوم المادية التي عرفها تراثنا؛ كالرياضيات والصيدلة والفلاحة وغيرها، على أنه رافد لحل معضلة « التعريب » اليوم، ولا سيما بمفهومه الضيق الذي لا يجاوز تسوية الوضعية اللغوية العربية للمصطلح الأجنبي الوافد.

وهذا التضييق للمفهوم، يقف خلفه المفهوم الشائع الذائع اليوم لمصطلح العلم، والذي انطلاقًا منه وترسيخًا له قيل للكليات التي تدرّس الرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم المادية « كليات العلوم » كأن غيرها من سائر العلوم ليس بعلوم!

(٢/٢) **ومن مدِّ مفهوم « العلم » إلى مجال العلوم الإنسانية،** فسمى كليات أو بعض كليات بكليات العلوم الإنسانية. امتد لديه الإشكال إلى مجال العلوم الإنسانية، ولم تعد القضية الجوهرية لديه هي التعريب اللفظي وإنما التعريب المعنوي أو « إسلامية المعرفة » بتعبير بعضهم [(٢)]. وصار المصطلح العلمي في التراث عنده هو: اللفظ الذي يعبر عن مفهوم معين في علم من العلوم المادية والإنسانية التي عرفها تراثنا؛ كالتربية وعلم النفس، وعلم الاجتماع وغيرها. على أنه معين أكبر العون على التصور السليم للتعريب المعنوي أو الأسلمة للعلوم السلوكية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية...

---

(١) نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية. الشاهد البوشيخي، فاس (ط ١) (٢٠٠٢م) (ص ١٧).

(٢) ن: الوجيز في إسلامية المعرفة. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. فيرجينيا (ط ١) (١٩٨٧م) (ص ٢٣ - ٢٧).

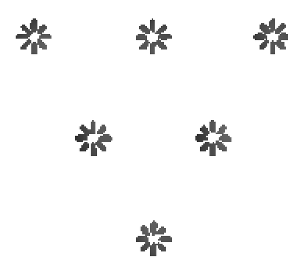
(٢/ ٣) ومن وسع مفهوم « العلم » إلى ما ينبغي له من الوحي الذي هو العلم، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ... ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وإلى العلوم المستنبطة منه التي هي العلوم الشرعية، وإلى سائر العلوم الدارِسة للإنسان أو المادة التي جُعِلت كِفاتًا للإنسان.

من انطلق من ذلك اتسع لديه الإشكال وتشعب، وصار « التعريب » للعلوم المادية، و « الأسلمة » للعلوم الإنسانية، والتجديد للعلوم الشرعية عنده - مجرد وجوه من وجوه المعضلة، أما المعضلة نفسها فهي فهم التراث، وتقويم التراث وتوظيف التراث، لإعادة بناء الذات.

ومن ثم صار مفهوم المصطلح العلمي في التراث (مفردًا) هو: اللفظ الذي يعبر عن مفهوم معين في أي علم من العلوم الشرعية أو الإنسانية أو المادية.

وصار مفهوم المصطلح العلمي في التراث (جمعًا) هو: مجموع الألفاظ الاصطلاحية التي عُبر بها عن مفاهيم في أي علم من العلوم التي عرفها تراثنا عبر التاريخ.

وهذا الذي جعل المصطلح العلمي في التراث خلاصة تصور الأمة، وخلاصة تطور الأمة، وخلاصة علم الأمة، وخلاصة كسب الأمة، ومفتاح فهم الأمة، ومفتاح إقلاع الأمة.



٣
موجبات الاهتمام بالمصطلح العلمي في التراث

(١/٣) الموجب اللغوي:

ذلك بأن « لكل صناعة ألفاظ » [(١)] و « لكل قوم ألفاظ » [(٢)] كما قال أبو عثمان الجاحظ. وما أكثر صناعات العلوم في تراثنا، وما أكثر ألفاظها! وما أكثر الأقوام المتخصصين في تراثنا وما أكثر ألفاظهم! وتلك الألفاظ هي عمدة الألفاظ، وزبدة الألفاظ، وأشرف الألفاظ؛ لأنها لا تسمى المعاني العادية العامة التي هي في متناول الجميع ويستعملها الجميع. وإنما تسمى مفاهيم العلوم والصناعات، ولا يستعملها عادة إلا الخاصة المتخصصون في العلوم والصناعات. وذلك شأن المصطلحات في كل زمان ومكان.

وعليه، فإن تكن هناك ألفاظ في تراث أي أمة يجب أن تدرس قبل سواها، ويهتم بها قبل سواها، وتحظى بالعناية الخاصة من الخاصة قبل سواها - فإنما هي المصطلحات؛ لأنها خلاصة ذخيرة الأمة، وقاعدتها التي منها تنطلق إلى الآفاق.

وغني عن البيان أن يقال: إن من أوجب الواجبات وأولى الأولويات على كل أمة، أن تدرس ألفاظ لغتها العامة والخاصة.

وغني عن البيان أن يقال: إن درجة هذا الوجوب تزداد ارتفاعًا إذا كانت هذه اللغة مختارة من بين جميع اللغات، لبيان وحمل وحي الله ﷻ الخاتم لجميع الرسالات.

(٢/٣) الموجب العلمي:

المصطلحات « مفاتيح العلوم »، والمصطلحات خلاصات العلوم؛ في وجودها يتجلى وجود العلوم، وفي تطورها يتلخص تطور العلوم؛ ولذلك لا بد من فهم المصطلحات لفهم العلوم، ولا بد من ضبط تاريخ المصطلحات لضبط تاريخ العلوم. والعلوم في تراثنا، بحكم ما آل إليه واقعنا، أحوج ما تكون إلى الفهم الصحيح، من أجل التاريخ الصحيح، فالتقويم الصحيح، فالبناء الصحيح.

---

(١) الحيوان للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (٣٦٨/٣).

(٢) الحيوان للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (٣٦٦/٣).

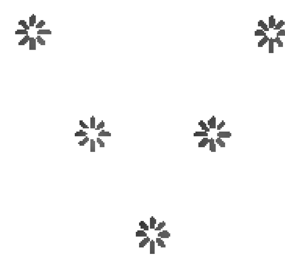
ولا سبيل إلى ذلك بغير الحسم في قضية المصطلح العلمي في التراث؛ لا سبيل إلى ذلك بغير فك ألغاز مصطلحات التراث، في مختلف التخصصات، لتفهم النصوص التي هي المادة الخام لكل علوم التراث، ليستنبط منها ما يستنبط، ويقوم فيها ما يقوم، ويبنى عليها وبها يبنى.

(٣/٣) الموجب الحضاري:

وهو موجب أشمل من كل ما سبقه، وأهم من كل ما سبقه؛ ذلك بأن « التحدي الحضاري الحالي للأمة، يهددها تهديدًا حقيقيًا بالفناء، وأن التصدي الحضاري المكافئ له لن يكون بغير إعادة بناء الذات، ولا سبيل إلى إعادة بناء الذات بغير الانطلاق من التراث، ولا سبيل إلى التراث بغير مفتاحه الذي هو المصطلحات » [1].

ومن ثم فإنه ما لم يهتم بقضية المصطلح العلمي في التراث، وتوف حقها بما ينبغي لها في مختلف أصناف العلوم والتخصصات، لمواجهة جميع أشكال الإشكال، فإنه قطعًا ستحدث قطيعة، وسيكون الشرخ الحضاري هائلًا، وسيعظم جُرم الأجداد في عين الأحفاد، يوم يراجع ويسترجع الأحفاد ما فرّط فيه الأجداد.

ولا بد لليل أن ينجلي، ولا بد للصبح أن ينبلج: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].



(١) مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية. الشاهد البوشيخي، فاس (ط ١) (٢٠٠٢م) (ص ١٢).

٤
التحديات التي تواجه المهتمين بالمصطلح العلمي في التراث

(١/٤) تحدي الإعداد الشامل للنص العلمي في التراث [١]:

وهو تحدٍّ يحيل على قضية أكبر، ومعضلة أدهى وأمر، هي « معضلة النص » في التراث؛ ذلك بأن « البحث في التراث لا يكون علميًّا حتى يقوم على عدة أركان، أهمها:

(٤/ ١/١) نصوص موثقة السند: أي موثقة النسبة إلى أصحابها:

وذلك لتضبط الأحكام عليها انطلاقًا من نسبتها، في علاقاتها المختلفة بالقائل والسامع، والعصر والمصر... إلى غير ذلك مما يمكن أن يستفاد من صحة النسبة، وتضبطه صحة النسبة؛ فيصح التصور للأمور، زمانًا ومكانًا وإنسانًا، وتاريخًا وواقعًا.

(٢/١/٤) نصوص موثقة المتن: أي موثقة العبارة التي صدرت عن أصحابها، أي محققة:

وذلك لضبط الأحكام عليها والاستفادة منها انطلاقًا من حدود عبارتها؛ لئلَّا يُقَوَّل قائل ما لم يقل، فيقوَّل بتقويله عصر، أو مصر، أو اتجاه، أو غير ذلك، ولئلَّا يبني بانٍ بناءه على ما لم يصح، بسبب تصحيف، أو تحريف، أو بتر، أو غير ذلك، فُيفْسِدَ التاريخ والواقع معًا.

(٣/١/٤) نصوص كافية للحكم بما يراد الحكم به:

فإن كان الحكم - مثلًا - صفة تعم إنسانًا، وجب حضور تراثه كله، وإن كانت تعم مصرًا، وجب حضور تراثه كله، وإن كانت تعم عصرًا، وجب حضور تراثه كله، وإن كانت تعم علمًا أو فنًّا عبر تاريخه كله، وجب حضور تراث ذلك العلم أو الفن عبر تاريخه كله، وهكذا وهكذا... وذلك لتجنب ما يُحْبط « علمية » الحكم من الموبقات؛ ككبيرة التعميم التي تقذف بصاحبها في الجهل من حيث يعلم أو لا يعلم.

---

(١) النقول في هذه النقطة منقولة من: البحث العلمي في التراث ومعضلة النص: عرض قدمه صاحب هذا البحث في ندوة: « تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق » المنظمة بكلية الآداب بوجدة تكريمًا للأستاذ محمد بن شريفة أيام (٩ - ١١ نوفمبر ١٩٩٥م) (ص ١٢).

وإذا استثنينا البحوث التي تحصر نفسها في دائرة نصوص الكتاب والسنة – وهي قليلة جدًّا – فإنه يكاد يتعذر إنجاز بحث علمي جاد، في أي قضية من قضايا التراث ذات الامتداد، التي يقام عليها البنيان؛ وذلك للوضع العام للمعضلة » الذي تختل به، بدرجة ما، كل الأركان:

إذ مخطوط التراث – وهو الأكثر – ما زال خارج السيطرة – كما يقال – مراكز وأحوالًا. وحتى الآن « للأسف لما يظهر معجم مفهرس شامل كامل لجميع المخطوطات العربية المحفوظة بمختلف خزائن العالم ».

ومطبوع التراث – وهو الأقل – ما زال يوثق التوثيق المطلوب نسبة ومتنًا؛ « فكم من نصوص نسبت وتنسب إلى غير أصحابها، وكم من نصوص تشتكي إلى اللَّه وتستغيث مما فعل بها ناسخوها، أو قارئوها – حسب اصطلاح الأستاذ العلامة محمود شاكر رحمه اللَّه أو محققوها ».

ومثل ما قيل عن التوثيق يقال عن التكشيف « ولا سيما للمصادر الأمهات التي تشبه في خصوبتها وسعتها وكثرة عطائها الغابات؛ فكم من بقايا كتب قيمة، لعلماء أفذاذ، يمكن استخراجها من بطون تلك الأمهات، ولا يكشف عنها إلا التكشيف. وكم من علوم ومعارف، وشواهد نادرة لعلوم ومعارف، توجد مطوية في أحشائها، لا سبيل إلى تذليل عقبة العلم بها إلا بالتكشيف. وحتى الآن لم يُكَشَّف من منشور التراث إلا بعض جوانب من بعض الأمهات ».

وليس أمر الطبع والتوزيع بأحسن حالًا من أمر التوثيق والتكشيف؛ « فكم من نصوص حققت ولم تجد طابعًا، وكم من محققات طبعت ولم تجد موزعًا، وكم من مطبوعات وزعت ولم تكد تجاوز أو يجاوز العلم بطبعها البلد الذي طبعت فيه... وحتى الآن لما يصدر معجم مفهرس شامل للمطبوعات العربية في العالم ».

فإذا وصلت إلى فهم ألفاظ التراث اللغوية والاصطلاحية وصلت إلى الصّعود؛ « إذ هو تراث قرون وقرون، والمعاجم اللغوية – على كثرتها – اهتمت، أو كادت لا تهتم إلا بلغة بعض القرون. وهو تراث أعلام ومدارس واتجاهات، وعلوم وفنون وصناعات، ولكل صناعة ألفاظ، ولكل قوم ألفاظ، كما قال أبو عثمان الجاحظ. والمعاجم الاصطلاحية – على قلتها – لم تعن أو كادت لا تعنى إلا برأي الجمهور في اصطلاحات العلوم والفنون.

وحتى الآن لما ينجز المعجم التاريخي للغة العربية، بل لما يخطط له التخطيط العلمي المنهجي الجاد، وحتى الآن لما ينحز المعجم التاريخي للمصطلحات العربية، بل لَمَّا يفهم وجه الإلحاح على إنجازه والتمهيد له بالمعجم التاريخي للمصطلحات العلمية المعرفة، من لدن معهد الدراسات المصطلحية ».

أما لماذا كان ذلك كذلك، فأهم الأسباب:

أ – انعدام المنهجية في حركة إحياء التراث: فمنذ بداية ما سمي بالنهضة ظهرت حركة بعث التراث، ثم تسابق الناس أفرادًا ومؤسسات في تأسيس دور لنشر التراث، ثم تدخلت وزارات ومنظمات، فتأسس فيما تأسس معهدٌ للمخطوطات بهدف جمع المخطوطات العربية من مختلف أنحاء العالم، إعدادًا لها للنشر، وهو هدف ما أنبله! لو أنه سير إليه بخطى منهجية ثابتة، واستعملت له وسائل تقنية متطورة، فكان الإنفاق على المعهد بسخاء، يُكافئ الهدف منه، وكانت الفهرسة لمراكز المخطوطات قبل تصوير ما فيها، وكان التصوير لكل ما في المراكز بدل تصوير بعض ما فيها، وكان الحسم في تصوير ما لكلٍّ على الترتيب قطرًا قطرًا، ولكن أنى ذلك والمسألة فقط « تراثية »!

ثم حمي بأخرة وتتابع إنشاء المراكز والجمعيات المهتمة بجمع المخطوطات وإحياء التراث؛ وكلها جهود طيبة مباركة، ولكنها لما تسلم من آفة الانتقاء القبلي في التصوير والشراء، فلم تحل بذلك المشكلة في أي قطر، ولم تسلم من آفة الفردانية في السير، والعصر عصر الجماعية، فلم تطق وحدها منفردة حتى الساعة، ولن تطيق الاضطلاع بالمراد، إلا أن يشاء ربي شيئًا، بل كثيرًا ما تكررت الجهود، إن لم أقل ضاعت، لصرفها في غير ما ينبغي لها.

إن المنهجية العامة في إطار الرؤية الحضارية اللازمة لكشف الغمة وإنقاذ الأمة، تقتضي سيرًا غير هذا السير، ونظامًا في صرف الجهد غير هذا النظام.

ب – انعدام العلمية في تحقيق أغلب ما نشر من التراث: وهذا واضح لكل من ابتلي بالبحث في أي قضية من قضايا التراث؛ إذ يلتفت أول ما يلتفت إلى المطبوعات، لتمده بالمادة الخام المصفاة، على أساس أن الناشر لها لم ينشرها إلا وقد فرغ منها توثيقًا وتحقيقًا، سواء أكانت محققة على أصول خطية، أم مجموعة من أصول غير خطية، ولكن الذي يَجْبَهه وينغِّص عليه بحثه تنغيصًا، أنه يضطر اضطرارًا إلى إعادة التوثيق

والتحقيق، في أغلب الأحيان، لمادة بحثه – ولا سيما شواهده – إن رغب في الصحة والسلامة العلمية للنتائج، وإلا كان البناء كله على شفا جرف هارٍ. وقد عانيت بنفسي كغيري، من مثل هذا كثيرًا حتى صرخت [1]: « لكنَّ قاصمةَ الظهر بالنسبة إلى المصطلحي، هي انعدام الإعداد العلمي للنصوص ».

إن التحقيق ليكون علميًا – فيما أحسب – يجب أن يتحرر من ضغوط، ويستجيب لشروط.

فأما الضغوط فأهمها اثنان:

١ – ضغط الخبز ولقمة العيش (أو تسوية الوضعية المادية كما يقال) وهو وراء كثير من صور الإخلال في تحقيقات طلبة الجامعات، وهم الرافد الأساسي لحركة التحقيق منذ زمان.

٢ – ضغط المنافسة والسبق إلى السوق، وهو وراء كثير من صور الإخلال كذلك في تحقيقات عدد من الباحثين، ولا سيما الذين يرتبطون بوجه ما بدور للنشر.

وبين الضغط الثاني والأول سبب ونسب لا يخفى.

وأما الشروط فخلاصتها، اختصارًا للوقت، التقيد بقواعد التحقيق وآداب البحث، مع استقصاء للنسخ، ومقارنة بينها، ومقابلة بين المختار منها لترجيح الأصلح، وخدمة للمتن في الهامش بما يعين على فهمه بالمعروف، وتكشيفه أسماءً ونقولًا وموضوعات ومصطلحات حتى يَتَيَسَّرَ للمريدين، ويَلَذَّ للسالكين.

جـ – انعدام التكامل والتنسيق بين أغلب الأفراد والمؤسسات في تحقيق التراث: وهذا الداء العياء المستعصي كل الاستعصاء، المؤَخِّر للشفاء مهما كان الدواء. وإذا استعرضنا وجوه المعضلة المتقدمة، وجدنا هذا كامنًا بوجهٍ ما في أغلب وجوهها أو كلها، مسهمًا بقدر ما في مظاهرها وأعراضها؛ فهو وراء عدم الشفاء من حل داء التكرار، وهو وراء العجز عن إنجاز ما يلزم للسير السريع المنهجي؛ كالمعاجم المفهرسة للمراكز أو المخطوطات أو المطبوعات أو المصطلحات أو غير ذلك.

---

(١) في مقدمة كتابي مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين. قضايا ونماذج (ط ١) (١٩٩٣م) (ص ١٥).

(٢/٤) تحدي التكشيف الشامل للمصطلح العلمي في التراث:

وهو فرع من فروع التحدي السابق، ولكنه أُفرد وأُبرز لخُصوصيته وأهميته؛ ذلك بأن التكشيف الشامل لأي مصدر من مصادر التراث يتضمن، أو ينبغي أن يتضمن، أربعة كشافات:

(١/٢/٤) كشاف أسماء الأعيان:

والهدف منه أساسًا لغوي، بكل ما للغة من محتوى حضاري؛ ولذلك لا ينبغي أن يند عنه أي نوع من أنواع أسماء التراث، مادية كانت أم روحية، نباتية كانت أم حيوانية، غازية كانت أم سائلة...

(٢/٢/٤) كشاف الموضوعات:

والهدف منه أساسًا علمي، بكل ما للعلم في تراثنا من اتساع مفهومي. ولذلك لا ينبغي أن تفوته معلومات أي موضوع من موضوعات أصناف العلوم؛ شرعية كانت أم إنسانية، أم مادية.

(٣/٢/٤) كشاف النقول:

والهدف منه أساسًا نصي؛ لتوثيق الموجود، والبحث عن المفقود، وتكميل الناقص، وجمع المتفرق...

(٤/٢/٤) كشاف المصطلحات:

وهذا الذي إن فعل في جميع المصادر، وفي مختلف أصناف العلوم عبر القرون، ومن أهله وبحقه، أدى بعد الجمع والتصنيف والتأليف، إلى التكشيف الشامل للمصطلح العلمي في التراث.

ولا شك أن المعاجم الاصطلاحية الخاصة والعامة هي المصدر الأول للمصطلح العلمي في التراث، ثم بعد ذلك تأتي كتب التخصصات، ثم المعاجم العامة، ثم كتب الثقافة العامة، ثم سائر كتب التراث، للطبيعة المتداخلة لكتب التراث.

إن التكشيف الشامل لمصطلحات أي علم من علوم التراث في جميع التراث، يضعنا وجهًا لوجه أمام الواقع المصطلحي لذلك العلم: ما الحجم المصطلحي له؟ ما حجم كل مصطلح فيه؟ ما نسبة المشروح من مصطلحاته وغير المشروح؟ إلى غير ذلك من المستفادات التي يمكن أن يكشف عنها التكشيف.

(٣/٤) تحدي التعريف الشامل للمصطلح العلمي في التراث:

وهو تحدٍّ حقيقي، لا يقدره قدره إلا من دفع إلى مضايق التعريف للمصطلح العلمي في التراث. هو تحدٍّ حقيقي **للأسباب التالية:**

(١/٣/٤) ضخامة حجم غير المعرَّف منه:

فبعد تجارب دراسية له في عدد من التخصصات، عبر عشرات من البحوث الجامعية والدراسات، يمكن الخرص بأن النسبة العامة لغير المعرف - وإن كانت تختلف من علم إلى علم - لا تقل في الجملة عن أربعة أخماس الموجود.

(٢/٣/٤) حاجة المعرف منه أحيانًا - إن لم أقل غالبًا - إلى التعريف:

ذلك بأن التجربة كشفت عدة مرات عن قصور عدد من التعاريف، حين تعرض على ما يستفاد من الاستعمال، مما يدل على أن المعرِّف (بكسر الراء) غالبًا لم يستخلص التعريف من دراسة كل عبارات الاستعمال، وسياقات الاستعمال، ومتعلقات الاستعمال. أي إن الإشكال في المنهج، ومتى كان الإشكال في المنهج لم يحل إلا بتصحيح المنهج.

(٣/٣/٤) كثرة العمليات التي تسبق التعريف ويتوقف على إتقانها التعريف:

وهي ما عدا الركن الخامس من أركان ما صار مصطلحًا عليه بمنهج الدراسة المصطلحية؛ ذلك الذي « يمكن تلخيص معالمه الكبرى، بإيجاز شديد، منذ الشروع فيه حتى الفراغ منه، **في خمسة أركان:**

١ - **الإحصاء:** ويقصد به الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس، وما يتصل به، لفظًا ومفهومًا وقضية، في المتن المدروس، وذلك يعني:

أ - إحصاء لفظ المصطلح إحصاء تامًّا، حيثما ورد، وكيفما ورد، وبأي معنى ورد، في المتن المدروس، ما دام قدر من الاصطلاحية - داخل مجاله العلمي الخاص - ملحوظًا فيه؛ فالمصطلح مفردًا أو مجموعًا، معرفًا أو منكرًا، اسمًا أو فعلًا، مضمومًا إلى غيره أو مضمومًا إليه غيره - كل ذلك ضروري المراعاة عند الإحصاء.

ب - إحصاء الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من جذره اللغوي والمفهومي إحصاء تامًّا كذلك، على التفصيل نفسه.

جـ - إحصاء التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح أو بعضه دون لفظه، إحصاء تامًّا كذلك.

د - إحصاء القضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه وإن لم يرد بها لفظه.

فإذا استخلصت النصوص، وصنفت حسب حاجة الدراسة، التصنيف الأولي، أمكن الانتقال إلى الركن الثاني:

٢ - **الدراسة المعجمية:** ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية فالاصطلاحية، دراسة تبتدئ من أقدمها مسجلة أهم ما فيه، وتنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف، دراسة تضع نصب عينيها علام مدار المادة اللغوية للمصطلح؟ ومن أي المعاني اللغوية أُخذ المصطلح؟ وبأي الشروح شرح المصطلح؟ وذلك لتمهيد الطريق إلى فقه المصطلح وتذوقه، وليسهل تصحيح الأخطاء التي قد يكون جلبها الإحصاء.

٣ - **الدراسة النصية:** ويقصد بها دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه؛ من صفات وعلاقات، وضمائم، وغير ذلك.

وهذا الركن هو عمود منهج الدراسة المصطلحية: ما قبله يمهد له، وما بعده يستمد منه؛ إذا أحسن فيه بوركت النتائج وزكت الثمار، وإذا أسيء فيه لم تفض الدراسة إلى شيء يذكر. ومدار الإحسان فيه على الفهم السليم العميق للمصطلح في كل نص، والاستنباط الصحيح الدقيق لكل ما يمكن استنباطه مما يتعلق بالمصطلح في كل نص. فالنصوص ها هنا هي المادة الخام التي يجب أن « تعالج » داخل مختبر التحليلات بكل الأدوات والإمكانات، لتقطر منها المعلومات المصطلحية تقطيرًا، وتستخرج استخراجًا؛ فمعطيات الإحصاء، ومعطيات المعاجم، ومعطيات تحليل الخطاب المقالية والمقامية معًا، ومعطيات المعارف داخل التخصص وخارجه، ومعطيات المنهج الخاص والعام، النظري والعملي... كل أولئك ضروري المراعاة عند التفهم، وكل ذلك مما به يتمكن من المفهوم وما يجلي المفهوم.

٤ - **الدراسة المفهومية:** ويقصد بها دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، **وتصنيفها تصنيفًا مفهوميًّا يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس:**

- من تعريف له يحدده، بتضمنه كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم.

- وصفات له تخصه، كالتصنيف في الجهاز، والموقع في النسق، والضيق أو الاتساع في المحتوى، والقوة أو الضعف في الاصطلاحية، والنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب.

- وعلاقات له تربطه بغيره؛ كالمرادفات والأضداد وما إليها، والأصول والفروع وما إليها...

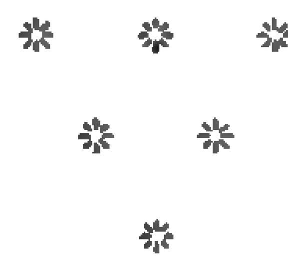
- وضمائم إليه، تكثر نسله وتحدد توجهات نموه الداخلي؛ كضمائم الإضافات والأوصاف...

- ومشتقات حوله من مادته تحمي ظهره، وتبين امتدادات نموه الخارجي.

- وقضايا ترتبط به أو يرتبط بها « مما لا يمكن التمكن منه إلا بعد التمكن منها؛ كالأسباب والنتائج والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير...

وغير ذلك مما قد يستلزمه تفهم مفهوم، ولا يستلزمه تفهم آخر.

وهذه الشجرة المفهومية الوارفة الظلال، الزكية الغلال في أغلب الأحوال... هي التي يجب أن تُجَلّى بعرضها في الركن الخامس على أحسن حال »[1].



(١) نظرات في المصطلح والمنهج، الشاهد البوشيخي، فاس (ط ١) (٢٠٠٢م) (ص ٢٢ - ٢٦).

٥
شروط الاستفادة
من المصطلح العلمي في التراث

(٥/١) شرط العلم بوجوده:

لا جرم أن أول الشروط هو شرط العلم، فكل ما لا يعلم لا يمكن الاستفادة منه، وذلك يقتضي أول ما يقتضي - كما تقدم - الاستجابة للتحديين الأولين: تحدي الإعداد الشامل للنص، وتحدي التكشيف الشامل للمصطلح؛ إذ لا بد من نصٍّ علمي قد ورد فيه أو نصوصٍ، ولا بد من كشاف كَشَفَ عدد وروده فيها أو فيه.

(٥/٢) شرط الفهم للمراد منه:

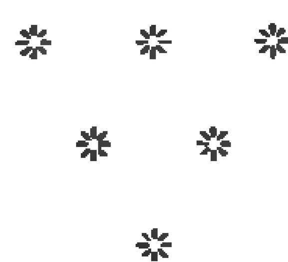
وذلك يقتضي كما تقدم أيضًا الاستجابة للتحدي الثالث فيه؛ إذ لا بد من دراسته وفق منهج الدراسة المصطلحية لتبيين المراد منه بدقة. ودون ذلك ما دونه.

(٥/٣) شرط إعماله وعدم إهماله:

وهذه هذه؛ لأننا لو راكمنا ما راكمنا من الإنجازات في هذا المجال، وكدسنا ما كدسنا من المعاجم الغنية الشهية الميسرة النادرة المثال، ثم لم يصحب ذلك استعمال لتلك المصطلحات في واقع الحال، فإننا نكون كما قال الله ﷻ: ﴿ كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٤].

إن تدخل الجهات الرسمية واجب، ولا سيما وزارت التعليم والإعلام والشؤون الإدارية.

وإن تدخل الجهات الشعبية واجب، ولا سيما ما يسمى بمؤسسات المجتمع المدني؛ من هيئات ومنظمات وجمعيات... للضغط على الجهات الرسمية من جهة، ولتعميم استعمال ما يمكن تعميمه عبر مؤسساتها من جهة ثانية. وما ضاع حق وراءه طالب.



٦
واقع الاهتمام بالمصطلح العلمي في التراث

(٦/١) اهتمام المؤسسات الرسمية:

لا جرم أن الاهتمام بالمصطلح العلمي في التراث جملة - لدى المؤسسات الرسمية وغير الرسمية - ضعيف، وأنه متأثر كل التأثر بالتصور العام السائد للمسألة المصطلحية مفهومًا ومجالات:

ذلك بأن الذي يتبادر إلى الذهن أولًا، عند ذكر المسألة المصطلحية، هو هذا الهمُّ المصطلحي الذي حمّله مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليكسو)، وما يُنسق، أو يُفترض أن ينسق، بينه من مجامع لغوية، ومعاهد ومؤسسات، ولجن للترجمة والتعريب.

والمفهوم الذي يستخلص من هذا الهم للمسألة المصطلحية ببساطة هو أنها: قضية الترجمة والتعريب للمصطلحات الأجنبية اليوم في العالم العربي.

فالمصطلح الذي هو في البؤرة هو المصطلح الأجنبي، أي مصطلح غير الذات، الذي دخل حديثًا، أو يريد الدخول إلى الذات، بسبب الاستعمار وما لحقه من موجات التحديث والعصرنة...

والإشكال الذي يعالج هو إشكال التعريب للتعليم والإدارة وما يتصل بهما من علوم أجنبية، أو يلحق بهما من بقية مجالات الحياة العامة المتأثرة بالاستعمار، وما لحقه من موجات.

والتصور الذي يقف خلف ذلك كله، هو أن الشرط الأساسي لنهضتنا عربًا وتسريعها، هو استيعاب ما لدى الغير من جديد بالعربية.

وهذا المفهوم - على وجاهته - عليه مآخذ، أهمها:

١ - أنه يترك مساحات شاسعة من المسألة المصطلحية خارج الاعتبار، بل يترك الأهم والأولى بأن يكون هو الهمّ المقدم، وهو مصطلحات الذات؛ إذ على أساسها، وفي ضوء مفاهيمها، والرؤية الحاصلة منها، يجب استيعاب ما لدى الغير، واستقبال مصطلحات غير الذات.

٢ - **أن الإشكال فيه جزئي؛ إذ يقتصر على ما تعانيه الأمة في جعل ما تغرَّب لفظًا معرّبًا**، ويهمل ما هو أدهى من ذلك وأمرُّ؛ وهو ما تعانيه الأمة من أمر المصطلح الأصل، الذي به قامت، وعليه قامت، وله قامت. المصطلح الذي به كانت الأمة الوسط بين الناس، وبه كانت خير أمة أخرجت للناس، وبه كان رجالها شهداء على الناس: مصطلح القرآن والسنة البيان؛ إذ هي لا تفهمه اليوم حق الفهم، ولا تقوم به أو عليه أو له، ولا تقيمه كما أمرت، صدقًا وعدلًا كما ينبغي له.

ومثل ذلك يقال عما تعانيه من أمر المصطلح الفرع، الذي يمثل خلاصة تفاعلها مع التاريخ وفي التاريخ. المصطلح الذي يمثل كسبها وإسهامها الحضاري في مختلف المجالات: مصطلح العلوم والفنون والصناعات؛ لا تعلمه هو كذلك حق العلم، ولا تقوِّمه حق التقويم، ولا توظفه حق التوظيف.

٣ - **أن التصور الذي يقف خلف هذا المفهوم لا يمثل حقيقة أولويات شروط النهضة**؛ إذ قد يقع التعريب الكامل ولا تنتج عنه النهضة المطلوبة.

هذا، والمجال المألوف في التصور العادي المعروف للمسألة المصطلحية، هو مجال العلوم المادية، وأقصى امتداد له ينتهي عند نهاية مجال العلوم الإنسانية؛ لأنهما - بهذا الترتيب - مظنة الحضور الطبيعي للمصطلح الوافد الذي هو في البؤرة.

وبناء على هذا التصور العام صدرت قرارات الندوات والمؤتمرات المتعلقة بالمصطلح العلمي في التراث؛ مثل:

١ - **ما أقرته ندوة الرباط سنة (١٩٨١م)** من ضرورة « استقراء وإحياء التراث العربي، وخاصة ما استعمل منه، أو ما استقر منه، من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث، وما ورد فيه من ألفاظ معربة. ثم ما اقترحته في المقترح الخامس من « الاستعانة بالتقنيات الحديثة الرائدة في استقراء التراث القديم والحديث، والمصطلحات الموضوعة، لتكون أساسًا لتنسيق المصطلحات وتوحيدها ».

٢ - **ما أقرته ندوة عمان سنة (١٩٩٣م)** من « اعتبار ما ورد بخصوص منهجية وضع المصطلح العلمي العربي في ندوة الرباط (١٩٨١م) الأساس الذي ينطلق منه تطوير هذه المنهجية » [١].

---

(١) بحوث ندوة عمان (١٩٩٣م) النقطة الأولى من تقرير لجنة الصياغة.

ثم من المطالبة بـ « استقراء الأمهات من المؤلفات التراثية، والتعمق في آرائها ونظرياتها ومصطلحاتها القويمة المبررة للاستفادة منها في وضع المصطلح العلمي المعاصر ».

٣ – ما أقرته ندوة دمشق (١٩٩٩م) من « الحرص على استعمال ما جاء في التراث العربي من مصطلحات عربية أو معربة وتفضيل المصطلحات التراثية على المولَّدة » [١].

وكل هذه القرارات – فضلًا عن أنها بقيت مجرد قرارات – فإنها لصدورها عن تصور معين للمصطلح العلمي في التراث مفهومًا ورؤية ومجالات، ظلت بعيدة عن أَنْ تلامس عمق الإشكال، أو تدفع بقوة ومنهجية من يحاول – إن حاول – حلَّ بعض الإشكال.

(٢/٦) اهتمام المبادرات غير الرسمية:

وهو موجود ومتعدد، وفيه جهود أفراد وجهود مؤسسات و « تتباين أهمية المصطلح العربي التراثي من معجمي إلى آخر ».

فهو ذو منزلة أولى في معاجم العلماء وشيوخ اللغة المجمعيين الأوائل استقصاء وجمعًا وتدوينًا، أمثال: أحمد فارس الشدياق، ومحمد عمر التونسي، ومحمد شرف، ويعقوب صروف، وأحمد عيسى، وأمين المعلوف، وحسني سبح، ومرشد خاطر، وصلاح الدين الكواكي، ومصطفى الشهابي، وأنستاس الكرملي، وعند بعض المصطلحين المحدثين أمثال: محمد كامل حسين، وأحمد شفيق الخطيب، ومحمد حسن يوسف، وجميل الملائكة... إلخ، وهم كلهم أو جلهم أعضاء رسميون أو مراسلون في المجامع اللغوية والعلمية العربية.

وهو في منزلة دون ذلك عند علماء الاختصاص المحدثين الذين لا يتقنون اللغة العربية...، مفضلين عليه التعريب اللفظي والترجمة الحرفية اعتقادًا منهم بأن المصطلحات التراثية لا تفي بدلالات المصطلحات الأجنبية الحديثة » [٢].

ثم صار الغالب عليه في العقود الأخيرة، سد الحاجات التجارية أكثر من الحاجات العلمية، والاستجابة الآنية المحدودة غير المكافئة لمثل هذه التحديات الضخمة الممدودة. فضلًا عن تأثره كسابقه بالتصور العام السائد للمسألة المصطلحية، مفهومًا ومجالات.

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق (مج ٧٥) (١٠٣٨/٤).

(٢) المصطلحية العربية بين القديم والحديث، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة. جواد حسني سماعنة. كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط. السنة الجامعية (١٩٩٨ – ١٩٩٩م) (ص ٤٦٥).

(٦/٣) اهتمام معهد الدراسات المصطلحية:

وهو اهتمام متميز يختلف عن جميع ما سبقه في عدة أمور؛ أهمها:

(٦/٣/١) تصوره الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية:

فهي - مفهومًا - « **المسألة التي تبحث مصطلح الماضي**، بهدف الفهم الصحيح، فالتقويم الصحيح، فالتوظيف الصحيح. وتدرس مصطلح الحاضر بهدف الاستيعاب العميق، فالتواصل الدقيق، فالتوحد على أقوم طريق. وتستشرف آفاق مصطلح المستقبل، بهدف الإبداع العلمي الرصين، والاستقلال المفهومي المكين، والتفوق الحضاري المبين ».

ومن هذا يستفاد سعة المفهوم، حتى لا يخرج منه أي اهتمام من اهتمامات المصطلح، أو همّ من همومه؛ سواء تعلق بأصل الذات، أو بالنابت من الذات، أو بالوافد على الذات.

وهي إشكالات لا تعالج قضية التعريب فقط أي « جعل ما تغرب لفظًا معرَّبًا » كما تقدم، بل « تمس الأبعاد والجوانب كلها في الأمة » [1]؛ إذ « الإشكال المصطلحي في الأمة عميق وخطير ودقيق؛ لأنه يتعلق ماضيًا بفهم الذات، وحاضرًا بخطاب الذات، ومستقبلًا ببناء الذات » [2].

وهي مجالات تستوعب كل المجالات، وبالترتيب المخالف للمألوف!: مجال الشرع وعلومه، ثم مجال الإنسان وعلومه، ثم مجال المادة وعلومها.

- **فأما مجال الشرع وعلومه**، فهو رأس الأمر وعموده وذروة سنامه، ومصطلحه المصطلح الشريف، وأشرفه مصطلح القرآن، ثم مصطلح السنة البيان، ثم مصطلح العلوم المستنبطة منهما والخادمة لهما. وعلى قدر حاجة الأمة إلى تجديد التدين، تكون حاجة المصطلح في هذا المجال إلى تجديد الفهم والتبيُّن.

- **وأما مجال الإنسان وعلومه**، فحاجة المصطلح فيه إلى الجمارك الحضارية شديدة، لغلبة المصطلح الوافد على مساحات كبيرة منه؛ ذلك بأن البحث في هذا المجال « قائم الآن برؤية الأخر ومنهاج الآخر؛ قائم على الانطلاق من مفهوم مادي للإنسان، ورسالة مادية للإنسان، وعلاقات ونشاط مادي للإنسان، ومن ثم لا يمكن أن يُدرس إلا بمنهج مادي، ولا يُتصور له إلا تاريخ ومستقبل مادي... ».

(١، ٢) مجلة دراسات مصطلحية (ع ١) (ص ٧).

– **وأما مجال المادة وعلومها** فهو مجال السيادة للمصطلح الوافد؛ ويقصد به المجال الذي اتخذ المادة موضوعًا له « كانت صلبة أو سائلة أو غازية؛ كعلوم الفيزياء والكيمياء، وعلوم طبقات الأرض وأجواز الفضاء، وعلوم الهندسة والصيدلة... وغير ذلك » (١).

(٢/٣/٦) مشروعه العلمي الكبير: المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية:

وخلاصة المقصود به أنه هو ذلك العمل العلمي الجامع لكل الألفاظ التي تسمي مفاهيم، في أي علم، مرتبة المباني ترتيبًا معجميًّا، لتيسير الوصول إليها، معروضة المعاني عرضًا تاريخيًّا، لرصد التطور الدلالي والاستعمالي الذي طرأ عليها، منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها.

– **ومن أهدافه القريبة:**

١ – إيجاد معجم تاريخي للمصطلحات العلمية المعرّفة: والهدف من هذا الهدف هو « جمع جهود العلماء السابقين في مجال بيان المراد من الألفاظ الاصطلاحية في مختلف العلوم، ووضعها رهن إشارة الدارسين المصطلحيين للاستفادة منها بكل ضروب الاستفادة، ولدراستها أيضًا بكل أنواع الدراسة ».

٢ – إيجاد معجم تاريخي لمصطلحات كل علم: مثل المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية، أو اللغوية، أو النقدية، أو غير ذلك. ويشتمل على جميع مصطلحات ذلك العلم: المعرّف منها وغير المعرّف، مصنفة معجميًّا، ومدروسة الدراسة المصطلحية التاريخية بعد الدراسة الوصفية.

وبظهور مثل هذه المعاجم الخاصة بكل علم، يظهر المفتاح التاريخي الخاص لكل علم، فينفتح باب القراءة الصحيحة لأي مؤلَّف (بفتح اللام) أو مؤلِّف (بكسر اللام) أو مدرسة أو اتجاه... في أي علم، فُيتخلص من كثير من الأخطاء القديمة والجديدة في الفهم، وما ينبني عليها من اختلافات أو اضطرابات في الحكم.

– **ومن أهدافه البعيدة:**

١ – فهم التراث: والذي يعنينا منه ها هنا، هو التراث العلمي – بالمفهوم العام للعلم – وهو مجموع ما ورثناه من العلم عن الآباء. وأنفس ما فيه هو الوحي: كتابًا وسنة، ثم عطاء

(١) مجلة الهدى (ع ٣٣) (ص ٣٥).

العلوم المستنبطة منه، أو الخادمة له، أو المتأثرة به، عبر القرون؛ من علوم شرعية، أو إنسانية، أو مادية. ثم يأتي من بعد ذلك ما بعد ذلك وما دون ذلك، مما تتبرأ منه روح التراث، وقيم التراث، ولغة التراث؛ من دخيل قديم، وغاز جديد، لا صلة له بالتراث إلا أنه من الميراث.

٢ - **تجديد بناء الذات**: وأول التجديد قتل القديم فهمًا كما قيل، وذلك ما تقدم في « فهم التراث »، وإنما يدرس التراث للبناء به وعليه فيما هو آتٍ؛ ذلك بأن الأمة وهي تجتاز مرحلة الاختبار والاختمار، محاوِلةً استئناف السير في اتجاه الشهود الحضاري الواجب عليها للشهادة على الناس - تحتاج أول ما تحتاج إلى تحديد عناصر القوة في ذاتها لتفعيلها، ومعرفة مقدار ذخيرتها ونوعها لتوظيفها والاستفادة منها في بابها وإبانها، وتعرّف وجوه النقص والقصور فيها لتكميلها. وكل ذلك يتيسر بعد فهم التراث وتقويمه، والمفتاح الفاتح لكل ذلك هو « المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية ». ولإنجازه مراحل ووسائل مفصلة في مكانها [١].

(٣/٣/٦) منهجه الدقيق في الدرس المصطلحي: منهج الدراسة المصطلحية:

وقد سبقت الإشارة إلى أركانه الأربعة الأولى في تحديد التعريف. ولم يبق إلا ركنه الخامس الذي هو العرض المصطلحي. « ويقصد به الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها. وهو الركن الوحيد الذي يُرى بعينه لا بأثره. وجماع القول فيه حسب ما انتهت إليه التجربة **أن يكون متضمنًا للعناصر الكبرى التالية على الترتيب:**

١ - **التعريف**، ويتضمن:

- **المعنى اللغوي**، ولا سيما الذي يترجح أن منه أخذ المعنى الاصطلاحي.

- **المعنى الاصطلاحي العام** في الاختصاص، ولا سيما الأقرب إلى مفهوم المصطلح المدروس.

- **مفهوم المصطلح المدروس** معبرًا عنه بأدق لفظ، وأوضح لفظ، وأجمع لفظ، ما أمكن.

وشرطه المطابقة للمصطلح، وضابطه أنه لو وضعت عبارة التعريف مكان المصطلح المعرَّف في الكلام لانسجم الكلام. وإنما ينضبط ذلك إذا راعى الدارس في تعريف المفهوم

---

(١) ن: مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية (ص ١٩ - ٢٨).

كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم، المستفادة من جمع نصوص المصطلح وما يتعلق به في المتن المدروس؛ فلا تبقى خاصة دون إظهار، ولا ميزة دون اعتبار.

وللتأكد من صحة التعريف وزيادة بيانه، يحلل بالتفصيل المناسب إلى كل عناصره ومع كل مقال مثال، وإنما يتضح المقال بالمثال.

فإذا تم التعريف، وهو اللب والنواة، بدأ الحديث عن الصفات وهي اللحمة والكسوة.

٢ - **الصفات** وتتضمن:

- **الصفات المصنِّفة**: وهي الخصائص التي تحدد طبيعة وجود المصطلح في الجهاز المصطلحي موضوع الدراسة؛ كالوظيفة التي يؤديها والموقع الذي يحتله وغير ذلك.

- **الصفات المبينة**: وهي الخصائص التي تحدد درجة الاتساع أو الضيق في محتوى المصطلح، ومدى القوة أو الضعف في اصطلاحية المصطلح وغير ذلك.

- **الصفات الحاكمة**: وهي الصفات التي تفيد حكمًا على المصطلح؛ كالنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب، وغير ذلك.

فإذا تمت الصفات الخاصة بالذات، بدأ الحديث عن العلاقات بغير الذات، مما يأتلف مع المصطلح ضربًا من الائتلاف، أو يختلف معه ضربًا من الاختلاف:

٣ - **العلاقات**: وتتضمن كل علاقة للمصطلح المدروس، بغيره من المصطلحات، ولا سيما العلاقات الثلاث:

- **علاقات الائتلاف**؛ كالترادف والتعاطف وغيرها.

- **علاقات الاختلاف**؛ كالتضاد والتخالف وغيرها.

- **علاقات التداخل والتكامل**؛ كالعموم والخصوص، والأصل والفرع وغيرها.

فإذا ضبطت العلاقات الواصلة للمصطلح بسواه، والفاصلة له عن سواه، أمكن الانتقال إلى ما ضم إلى المصطلح، أو ضم إليه المصطلح؛ مما يكثر نسله المصطلحي، ويحدد توجهات نموه الداخلي.

٤ - **الضمائم**: وتتضمن كل مركب مصطلحي (ضميمة) مكوَّن من لفظ المصطلح المدروس، مضمومًا إلى غيره، أو مضمومًا إليه غيره، لتفيد الضميمة المركب في

النهاية مفهومًا جديدًا خاصًا مقيدًا ضمن المفهوم العام المطلق، للمصطلح المدروس. فكأن المصطلح بضمائمه ينمو ويتشعب مفهوميًا من داخله. **وأبرز أشكال الضمائم:**

- **ضمائم الإضافة؛** سواء أضيف المصطلح إلى غيره، أو أضيف غيره إليه.

- **ضمائم الوصف؛** وقد يكون فيها المصطلح واصفًا أو موصوفًا. فإذا انتهت الضمائم أمكن الانتقال إلى المشتقات:

٥ - **المشتقات:** وتتضمن كل لفظ اصطلاحي ينتمي لغويًا ومفهوميًا إلى الجذر الذي ينتمي إليه المصطلح المدروس؛ كالمجتهد مع الاجتهاد، والبليغ مع البلاغة ولا يدخل فيها المنتمي لغويًا فقط؛ كالإنفاق مع النفاق، ولا المنتمي مفهوميًا فقط؛ كالقصيدة مع الشعر؛ إذ محل هذا العلاقات.

والمصطلح بمشتقاته من حوله، كأنما ينمو ويمتد مفهوميًا من خارجه، وأشكال المشتقات وصورها مشهورة في باب الصرف.

فإذا فرغ من المشتقات بدئ وختم بالقضايا:

٦ - **القضايا:** وتتضمن كل المسائل المستفادة من نصوص المصطلح المدروس وما يتصل به، المرتبطة بالمصطلح أو المرتبط بها المصطلح؛ مما لا يمكن التمكن من مفهومه حق التمكن، إلا بعد التمكن منها حق التمكن. وهي متعذرة الحصر لكثرة صورها وتنوعها من مصطلح إلى مصطلح. وأهميتها لا تكاد تقدر في التصور العام للأبعاد الموضوعية للمفهوم، ولا سيما في بعض العلوم.

ومن أصنافها - كما تقدم - « الأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف والتأثر والتأثير... ».

وبالحديث عنها ينتهي الحديث عن الفرض في « العرض »، آخر ركن من الأركان الخمسة التي بني عليها منهج الدراسة المصطلحية [1].

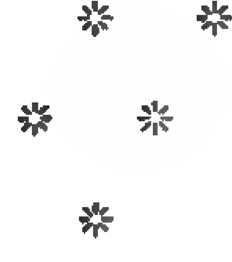
هذه الأمور وغيرها مما يلحق بها (كتكوين المعهد أو تدريبه لعشرات من الأطر الجامعية التي صارت مؤهلة أو مرشحة للبحث في المصطلح العلمي في التراث في عدد من التخصصات، وكإنشائه لعدد من فرق البحث في عدد من الجامعات...) تجعله

---

(١) نظرات في المصطلح والمنهج (ص ٢٦ - ٣١).

مرشحًا في هذه المرحلة بقوة، إن أُمد بما يلزم من المدد والقوة، للاضطلاع بهذا العبء، وكفاية الأمة هذه المهمة.

فهل سيهتم ذوو الهمة والقدرة بهذا النداء؛ فيلتقي العلم والمال على كلمة سواء؟



٧
خاتمة في مقترحات وتوصيات

١ - إعطاء الأولوية في التحقيق والنشر للنص العلمي في التراث.

٢ - وضع خطة علمية منهجية متكاملة للتكشيف الشامل للمصطلح العلمي في التراث.

٣ - اعتماد مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية (مشروع معهد الدراسات المصطلحية) أساسًا لخطة علمية منهجية متكاملة للتعريف الشامل للمصطلح العلمي في التراث.

٤ - إلزام جهات الاستعمال، من تعليم وإعلام وإدارة وغيرها، بما أقرته جهات الوضع من مجامع وغيرها، في شأن المصطلح العلمي في التراث وغير التراث.

٥ - تطبيق القرارات الصادرة قبل في الندوات والمؤتمرات بشأن المصطلح العلمي في التراث.

٦ - اعتماد « منهج الدراسة المصطلحية » (منهج معهد الدراسات المصلحية) منهجًا للكشف عن مفاهيم المصطلحات ولا سيما في التراث.

٧ - إنشاء بنك خاص بالمصطلح العلمي في التراث.

٨ - تكوين مصطلحيين متخصصين في المصطلح العلمي في التراث.

٩ - ربط الدراسات في كل التخصصات بالجامعات، بالمصطلح العلمي في التراث.

* * *
*

المصادر والمراجع

١ - بحوث ندوة عمان، سبتمبر (١٩٩٣م).

٢ - الحيوان للجاحظ. تحقيق: عبد السلام محمد هارون (ط ١)، (١٩٣٨م).

٣ - مجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق (مج ٧٥) (ج ٤).

٤ - مجلة دراسات مصطلحية (ع ١).

٥ - مجلة الهدى (ع ٣٣)، سبتمبر (١٩٩٦م).

٦ - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية. الدكتور: الشاهد البوشيخي. فاس (ط ١)، (٢٠٠٢م).

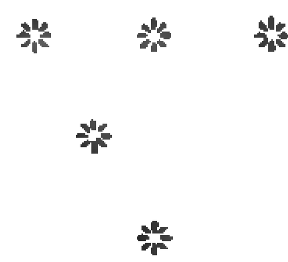
٧ - مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين. قضايا ونماذج، (ط ١)، (١٩٩٣م).

٨ - المصطلحية العربية بين القديم والحديث. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة. جواد حسني سماعنة. كلية الآداب. جامعة محمد الخامس بالرباط. السنة الجامعية (١٩٩٨ - ١٩٩٩م).

٩ - نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية. الشاهد البوشيخي، فاس (ط ١)، (٢٠٠٢م).

١٠ - نظرات في المصطلح والمنهج. الشاهد البوشيخي، فاس (ط ١)، (٢٠٠٢م).

١١ - الوجيز في إسلامية المعرفة. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. فيرجينيا (ط ١)، (١٩٨٧م).



جهود معهد الدراسات المصطلحية
في خدمة السنة المشرفة
نموذج: مشروع المعجم التاريخي
للمصطلحات الحديثية المعرفة

هذا البحث

أُعد وأُلقي عرضًا في « **ندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم** » التي نظمتها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة،

أيام (٢٥، ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٦هـ)

الموافق (٤، ٥ مايو ٢٠٠٥م).

ثم نشرته جامعة الشارقة مشكورة ضمن « كتاب الوقائع »

الخاص ببحوث الندوة سنة (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)

في الجزء الأول من (ص ٨٠ - ٩٩) لكن

نشره كان للأسف مشوهًا

ناقصًا مبتور الآخر.

وإنما السر كل السر في الآخر.

فوجب التصحيح بحذف

ما حقه الحذف في هذا

النشر وإثبات

الآخر.

وبالله التوفيق

١
مقدمة في أهمية المؤسسات العلمية المتخصصة في التحضير لغد الأمة

بالعلم جعل آدم عليه السلام خليفة في الأرض، وبالعلم نبئ الأنبياء وأرسل المرسلون على مر القرون.

بالعلم قامت الدعوة في الأرض منذ قامت، وبالعلم استمر تنزلها حتى اكتملت.

بالعلم نزل القرآن الذي هو العلم، وبالتنويه به استهل تنزيله آمرًا بطلب العلم: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥].

ألا لا نهوض بغير علم، ولا هداية بغير علم، ولا علم دون علم الوحي الذي هو العلم، ولا هدى في غير العلم النازل من رب العلم على معلم أهل العلم: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

(١/١) مفهوم المؤسسات العلمية:

يقصد بالمؤسسات العلمية **أحد أمرين:**

١ - كل مراكز دراسة العلم وتدريسه وتدارسه، في مختلف أصناف العلوم: الشرعية والإنسانية والمادية. ولا سيما الجامعات والمدارس العليا وما يشبهها. وهذا المعنى العام.

٢ - كل مراكز البحث العلمي المتخصصة: الرسمية والحرة، التي تتولى دراسة مواضيع معينة، دراسة علمية منهجية، تلبية لحاجة ما أو طلب ما، وهذا المعنى الخاص.

والشأن فيها بهذا المعنى الثاني أن تشتمل على عدد من الخبراء قارين وتابعين، قد يقلون حتى تضمهم مجموعة بحث، وقد يكثرون حتى يشكلوا معهدًا أو مركزًا للبحث. وقد تحتاج دولة أو دول ما إلى أنواع من الدراسات والبحوث المتشعبة المتكاملة، فتؤسس مؤسسات ضخمة تدير بها جيشًا من الباحثين في عدة تخصصات (مثل المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا CNRS). ومثل ذلك قد تفعله بعض المنظمات الدولية.

ويغلب عليها – بحكم طبيعة العصر – الطابع المادي والإنساني؛ فما أكثر المؤسسات العلمية الباحثة في المادة! لتسخيرها جامدة أو سائلة أو غازية؛ كمراكز البحث في الطاقات الذرية والشمسية والكهربائية وغيرها، وكمراكز البحث في أجواز الفضاء، وأعماق البحار، ومكونات الكواكب، وأسرار المعادن والسوائل والغازات...

وما أكثر المؤسسات العلمية الباحثة في الإنسان! لتوجيهه أفرادًا وجماعات، ودولًا ومجتمعات، منذ الجينات حتى الحضارات؛ لبحث خلقه ورزقه، وبنائه ودوائه، وتعلمه وتعليمه، وتصرفه وظروفه، وتكتله وأشكاله، تبحث الظواهر وعللها، والنتائج وأسبابها، والمشاكل وحلولها، والمتغيرات وآثارها؛... تنقب في الماضي السحيق، وتمسح الحاضر بالفحص الدقيق، وتستشرف آفاق المستقبل بالنظر العميق... ولكل ذلك مراكز ومعاهد، ومجموعات للبحث ومؤسسات؛ فيها السياسي، وفيها الاقتصادي، وفيها الاجتماعي، وفيها الثقافي، وفيها التربوي وفيها العلمي... إلى غير ذلك من التوجهات التي تقف خلفها هيئات ومنظمات، وبنوك دولية وشركات، ودول قوية وإيديولوجيات...

ونظرًا للطبيعة البحثية التخصصية التي للمؤسسات العلمية، والطبيعة الجماعية التكاملية التي لخبرائها وفرقها، والأجهزة والوثائق التي عادة ما تتوفر لها أكثر من غيرها، والنتائج المهمة الدقيقة التي تسفر عنها دراساتها... والأطر العليا المدربة التي تكوَّن بها – نظرًا لذلك ومثله – فإنه لا توجد قوة كبرى لا تعنى بها، ولا تعتمد عليها؛ بل إنها حواسها التي تجمع لها المعلومات، ودماغها الذي يحلل لها المعطيات، ويزودها بالحلول والمقترحات، وأذرعها القوية التي بها تنفذ المخططات... ولذلك تخصص لها في الدول الكبرى أقوى الميزانيات، وتخص من جميع حكوماتها بأكبر التشجيعات.

(١/٢) القيمة الاستراتيجية للمؤسسات العلمية:

لكي ندرك القيمة الاستراتيجية للمؤسسات العلمية ينبغي أن نعرف أولًا ما الاستراتيجية؟

ودون البحث في تاريخ اللفظة وتركيبها والمعاني التي أعطيت لها قديمًا وحديثًا نختار أنها: « فن التخطيط أو فن التدبير في جميع مجالات الحياة المعاصرة. ولقد بحث كثير من علماء اللغة ومن المفكرين المهتمين بالتخطيط والتنبؤ بالمستقبل عن مدلول هذا اللفظ وصلاحيته للتعبير عن الخطط أو البرامج التي تحمل هذا الاسم مثل « استراتيجية التطوير » أو « استراتيجية المواجهة » أو « استراتيجية الردع »، لينتهوا إلى القول: إن لفظ « استراتيجية »

يعنى بتعبئة وتوجيه الموارد والطاقات البشرية والمادية لتحقيق شامل أوسع وأفضل وأمثل للأهداف المسطرة والموضوعة من قبل التنظيم الذي أشرف على وضع الاستراتيجية »[١].

وإذا كان أحسن تخطيط وتدبير للوصول إلى الأهداف هو الأكثر تعبئة وتوجيهًا للموارد والطاقات بغية تحقيق أكبر مردود بأقل مجهود - وذلك هو التدبير الاستراتيجي - فإن الناصح الأمين الذي يهدي إلى ذلك كله، ويهدي في ذلك كله، ولا سيما اليوم، هو العلم، هو البحث العلمي الذي يسفر عن العلم، وإنما مقر هذا ومركزه المؤسسات العلمية.

(٣/١) وظائف المؤسسات العلمية:

وهي تقوم في اتجاه تحقيق الأهداف **بما يلي:**

(١/٣/١) المحافظة على البيئة:

والإحسان في تدبير أمرها **يقتضي أمورًا:**

١/١/٣/١ - العلم بما فيها مما ينفع الناس ويمكث في الأرض، في اتجاه أهداف التخطيط. ولا سبيل إلى ذلك بغير الدراسة الجادة والبحث الدقيق العميق، لفرز الأفكار الميتة من الحية، والمبادئ السامة من الملقّحة، والموروثات المقْعِدة من المنْهِضة، والأساليب العاجزة من الناجحة، والأخلاق المدمرة من المعمرة،... لا سبيل إلى ذلك بغير حصر الإمكانات والطاقات، والذخائر والأرصدة على جميع المستويات، حصرًا تقويميًا موجِّهًا: يصف الواقع وصفًا أمينًا، ويزن مدى نفعه وفائدته للمراد وزنًا.

والذي ينهض بذلك كله لا شك هو المؤسسات العلمية المتخصصة، وإلا فهو الخبط خبط عشواء.

٢/١/٣/١ - وصف ما يلزم لاستمرار سلامة النافع السليم. وعودة الصحة والعافية للنافع المريض، وذلك لا يكون إلَّا بالعلم أيضًا، فهو الذي يشخص الداء، وهو الذي يصف الدواء، وإلا فهو أيضًا الخبط خبط عشواء.

٣/١/٣/١ - إنجاز ما وُصف كما وُصف لتتم المحافظة حقًّا، ويختصر بها في التدبير مقادير من الجهد والمال والوقت والطاقة أثناء السير. والمؤهل لذلك أيضًا هم أطر المؤسسات العلمية المتخصصة المدربة.

---

(١) تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي لمحمد بريش، الرباط، أبريل (١٩٩٢م).

(٢/٣/١) التحضير العام للميدان:

وهو يستلزم فيما يستلزم:

- وضع تصور شامل للأساسيات التي إن لم تعدّ فلن ينجح التخطيط، وإن أعدت كان النجاح من أيسر ما يكون؛ وذلك كالفضاء اللازم، والتجهيزات الضرورية، وكَيفِ الأطر المطلوبة وكمِّها، وهكذا...

- تنفيذ ذلك التصور على أرض الواقع، بصورة تجعل الميدان محضرًا كل التحضير لاستقبال بقية المراحل.

والأمران معًا مما تنهض به المؤسسات العلمية بجدارة؛ فليس هناك أقدر منها على وضع التصور الشامل الكامل للأساسيات، وليس هناك أصلح منها لتنفيذه على أوسع نطاق وفي هدوء ويسر، وذلك لطبيعة سير العلم والمؤسسات العلمية؛ إذ إنها قد تسير مسافات دون أن تظهر آثارها للعيان، ثم إنها قد تشغل الناس بالآثار مع توقفها هي من زمان!!

فلو أخذنا مثلًا شيوع العلم - ولا سيما الشرعي - شرطًا للإصلاح، فإنه يمكن إذا أحسن التدبير، تأسيس أشكال من المؤسسات العلمية الجديدة، وإحياء أشكال من المؤسسات العلمية القديمة، ونشر ذلك بالتي هي أحسن في المدن والقرى والبوادي؛ كلٌّ بما يناسبه وكما يناسبه، ولا يمر نحو جيل على من أخلص وأيقن، وصدق وصبر حتى يتحضر الميدان، ويتخلص من كثير مما يعرقل ويعوق، ويتجهز بكثير مما يساعد ويعين، وإذا بالعلم قد انتشر، وإذا بالخير قد التقى على أمر قد قدر.

(٣/٣/١) الإعداد المنهجي الخاص للمطلوب:

ومداره على ما دار عليه الأمر أول مرة، ويدور عليه آخر مرة وكل مرة؛ **إنه التعليم والتدريب والتكليف حسب المرحلة:**

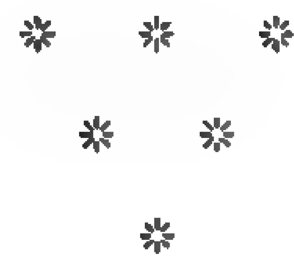
أما التعليم فلأنه لا عمل دون علم، ولا علم دون تعلم، ولا تعلم دون تعليم، فوجب تكوين ما ينبغي، كما ينبغي، بالقدر الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي،...

ولا سبيل إلى ذلك بغير المؤسسات العلمية.

وأما التدريب فلأنه لا قيمة لعلم حتى يتحول إلى عمل، ولا إحسان لعمل دون

تدريب؛ إذ لا يطمأن على أن الفهم صحيح حتى يتمثل في عمل صحيح. فوجب تعريض المعلّم للبلاء حتى يحسّن، وللاختبار حتى يمهر. والمؤسسات العلمية على ذلك أقدر، وبه أخبر.

وأما التكليف فلأنه غاية التعليم والتدريب معًا، ولأن به، لا بسواه تحمل الأمانة، وتؤدي الرسالة، ويتحقق الهدف.



٢

تعريف موجز بمعهد الدراسات المصطلحية ومشروعه العام

أولًا: نشأة المعهد:

١ - طبيعة المعهد:

معهد الدراسات المصطلحية: مؤسسة للبحث العلمي، متخصصة في البحوث والدراسات المصطلحية، تابعة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد اللّٰه بفاس - المغرب.

٢ - ولادة المعهد:

في سنة (١٩٨٥م) تأسست بكلية الآداب ظهر المهراز بفاس « مجموعة البحث في المصطلح النقدي » التي ستكون في السنة الموالية (١٩٨٦م) وراء تنظيم ندوة دولية بعنوان: « المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم ».

تلك الندوة التي نادت في ثاني عرض لها: « إن التنسيق بين مراكز البحث المصطلحي ينبغي أن يتم، وبأسرع ما يمكن، حفظًا لطاقات الأمة وأوقاتها وأموالها، وإن الجهود الفردية والجماعية في ميدان المصطلح ينبغي أن تتقوى وتتكامل، لتصب في اتجاه واحد.. » (١).

كما نادت في خامس توصياتها بـ « إنشاء جمعية عربية للمصطلح النقدي يكون مقرها بكلية الآداب بفاس » (٢).

وفي (٦ ذي الحجة ١٤١٣هـ الموافق ٢٨ مايو ١٩٩٣م) ولد بكلية الآداب - ظهر المهراز بفاس « معهد الدراسات المصطلحية » بعد مخاض طويل، أسهم فيه رجال ومجموعات للبحث في المصطلح، بعديد من الكليات بالمغرب.

٣ - مشروع المعهد:

مشروع المعهد باختصار هو العمل على إنجاز « المعجم التاريخي للمصطلحات

---

(١) ندوة المصطلح النقدي (ص ٢٣). (٢) نفسه (ص ٤٧٠).

العلمية العربية »، وفق خطة علمية منهجية متكاملة؛ تُرَشَّدُ فيها المناهج، وتُحَدَّثُ فيها الوسائل، وتُكَثَّف فيها الجهود، وتُوَجَّهُ فيها الطاقات، وتُنَسَّقُ فيها الأعمال؛ « لتصب في اتجاه واحد. هو تذليل العقبة الكأداء: عقبة إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات، الذي هو خطوة من أهم الخطى في الطريق إلى المعجم التاريخي للغة العربية »[(١)].

وفي التمهيد لذلك، وأثناء إنجاز ذلك، يهدف المعهد - كما نص عليه قانونه الأساسي - إلى « العناية بكل ما يؤدي إلى تطوير البحث العلمي في المصطلح؛ نظريات، ومفاهيم، ومناهج، ووسائل،... في التاريخ والواقع معًا ».

ثانيًا: منجزات المعهد:

١ - الندوات:

الندوة الأولى: « الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية » (ندوة دولية بتعاون مع شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب - سايس - فاس، أيام (٨ - ١٠ جمادى الثانية ١٤١٤هـ الموافق ٢٣ - ٢٥ نوفمبر ١٩٩٣م).

الندوة الثانية: « مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية » (ندوة دولية بتعاون مع شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب - بني ملال، أيام (٢٢ - ٢٤ رجب ١٤١٧هـ الموافق ٥ - ٧ ديسمبر ١٩٩٦م).

الندوة الثالثة: « التداخل والتكامل المصطلحي في العلوم » (الحلقة الأولى: في القديم).

(ندوة دولية بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة ابن زهر - أكادير) (أيام ٩ - ١١ مارس ١٩٩٩م).

الندوة الرابعة: « قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية » (ندوة دولية بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة مولاي إسماعيل - مكناس، أيام (٩ - ١١ مارس ٢٠٠٠م)).

الندوة الخامسة: « قضايا المصطلح في العلوم المادية » (ندوة دولية بالتعاون مع المدرسة العليا للتكنولوجيا - جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، أيام (٢٦ - ٢٨ فبراير ٢٠٠٣م).

---

(١) ندوة المصطلح النقدي (ص ٢٨)، وينظر المشروع بتفصيل في كتاب: « مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية ».

٢ - الدورات التدريبية:

الدورة الأولى: « **نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي** » (بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) خلال الفترة المتراوحة بين (٣٠ أكتوبر و ٥ نوفمبر ١٩٩٦م) وقد تمت هذه الدورة من خلال ندوات وورشات وموائد مستديرة.

الدورة الثانية: « **كيف ندرس المصطلح** » يومي (٢٨، ٢٩ محرم ١٤٢٠هـ الموافق ١٥، ١٦ مايو ١٩٩٩م) وقد تمت هذه الدورة من خلال عروض وورشات وخلاصات للورشات.

الدورة الثالثة: « **إحصاء المصطلح** » يومي (١٤، ١٥ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ٤، ٥ ديسمبر ١٩٩٩م) وقد تمت هذه الدورة من خلال ورشات وخلاصات للورشات، وتضمنت كل ورشة ورقة نظرية وأعمالًا تطبيقية على نصوص مختارة.

الدورة الرابعة: « **الدراسة المعجمية للمصطلح** » يومي (١٣، ١٤ ذي القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ١٩، ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م).

الدورة الخامسة: « **الدراسة النصية للمصطلح** » يومي (٢٣، ٢٤ صفر ١٤٢١هـ الموافق ٢٥، ٢٦ مايو ٢٠٠٠م) وقد تمت هذه الدورة من خلال ورشات تضمنت أوراقًا نظرية وأعمالًا تطبيقية على النصوص السابقة واختتمت بخلاصات أدارها مدير المعهد واستفاد منها نحو ثمانين باحثًا في المصطلح، موزعين في ورشات تبعًا للتخصصات السابقة.

الدورة السادسة: « **الدراسة المفهومية للمصطلح** » يومي (٢٨، ٢٩ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ٢٥، ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٠م) وقد تمت هذه الدورة من خلال ورشات تضمنت أوراقًا نظرية وأعمالًا تطبيقية على النصوص السابقة، واختتمت بخلاصات أدارها مدير المعهد. واستفاد منها نحو ثمانين باحثًا في المصطلح، موزعين في ورشات تبعًا للتخصصات السابقة.

٣ - الأيام الدراسية:

- **يوم دراسي في موضوع:** « **قضية التعريف في الدراسات المصطلحية القديمة** » في رحاب كلية الآداب بالمحمدية، (بتعاون مع مجموعة البيان للدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - المحمدية، (١٤ ذو القعدة ١٤١٤هـ الموافق ٢٥ أبريل ١٩٩٤م).

– **يوم دراسي في موضوع « قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة »** في رحاب كلية الآداب بوجدة (بتعاون مع مجموعة البحث في المصطلح بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الأول بوجدة، (٢٥ ذي القعدة ١٤١٥هـ الموافق ٢٥ أبريل ١٩٩٥م).

– **ثلاثة أيام دراسية في موضوع « المصطلح الإنساني والمعجم الموحد »** في رحاب كلية الآداب ظهر المهراز بفاس (بتعاون مع مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أيام (٧ – ٩ رجب ١٤١٧هـ الموافق ١٩ – ٢١ نوفمبر ١٩٩٦م)، وقد خصصت هذه الأيام لتدارس المعاجم الثلاثة التي أصدرها المكتب وهي: معجم اللسانيات، ومعجم التاريخ والآثار، ومعجم الجغرافيا.

– **يوم دراسي في موضوع: « جهود العلماء في دراسة المصطلح القرآني »** في رحاب كلية الآداب بالمحمدية (بتعاون مع مجموعة البيان للدراسات المصطلحية بكلية الآداب بالمحمدية، (١٣ ذي القعدة ١٤١٨هـ الموافق ١٠ مارس ١٩٩٨م).

– **يومان دراسيان في موضوع: « مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية المعرفة »** بمقر المعهد (١٤، ١٥ مارس ١٩٩٨م) وقد اقتصر في هذين اليومين على التخصصات التالية:– القرآن وعلومه / الحديث وعلومه / الفقه وأصوله / اللغة وعلومها / الأدب ونقده.

٤ – المدارسات العلمية:

نظم المعهد بين السنوات (١٩٩٥ – ٢٠٠٠م) عشرين مدارسة علمية تحت عنوان (المصطلح نظرية وتطبيقًا: تجربة حياة أو تجربة بحث) استدعي لها نخبة من أعلام المصطلح والباحثين المتخصصين:

١ – **مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية المعرفة،** لمدير المعهد الدكتور الشاهد البوشيخي يوم السبت (٢٠ شعبان ١٤١٥هـ الموافق ٢١ يناير ١٩٩٥م).

٢ – **منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده (قراءة استيعابية ونقدية)** للأستاذ جواد حسني سماعنة (مكتب تنسيق التعريب) (السبت ١٥ ذو القعدة ١٤١٥هـ الموافق ١٥ أبريل ١٩٩٥م).

٣ - **المصطلح الطبي في التراث العربي**، للأستاذ الدكتور نشأت الحمارنة (كلية الطب - جامعة دمشق) وذلك يوم (الإثنين ٨ ذي الحجة ١٤١٥هـ الموافق ٨ مايو ١٩٩٥م).

٤ - **مشكلة المصطلح في علم النفس**، الدكتور عبد الناصر السباعي (أستاذ علم النفس بكلية الآداب ظهر المهراز - فاس) (السبت ٢٣ رجب ١٤١٦هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٩٥م).

٥ - **من ثمرات البحث في المصطلح الأصولي**، للأستاذ إدريس الفاسي الفهري (كلية الآداب سايس - فاس) (السبت ٢٢شعبان ١٤١٦هـ الموافق ١٣ يناير ١٩٩٦م).

٦ - **مشكلة تعدد المصطلح**، للأستاذ الدكتور حسن الأمراني (رئيس شعبة اللغة العربية بكلية الآداب - وجدة) (السبت ١٩ شوال ١٤١٦هـ الموافق ٩ مارس ١٩٩٦م).

٧ - **من قضايا المصطلح النقدي العربي**، للأستاذ مصطفى اليعقوبي (أستاذ النقد والبلاغة بكلية الآداب - وجدة) (السبت ١٧ ذو القعدة ١٤١٦هـ الموافق ٦ أبريل ١٩٩٦م).

٨ - **حوار عن تجربة حياة في البحث المصطلحي** للأستاذ العلامة عبد العزيز بن عبد اللّٰه (عضو أكاديمية المملكة المغربية ومدير مكتب تنسيق التعريب سابقًا) (السبت ١٢ ذي القعدة ١٤١٧هـ الموافق ٢٢ مارس ١٩٩٧م).

٩ - **حوار عن تجربة حياة في البحث المصطلحي** للأستاذ أحمد الأخضر غزال (عضو أكاديمة المملكة المغربية ومدير معهد الدراسات والأبحاث للتعريب سابقًا) (السبت ١٨ ذي الحجة ١٤١٧هـ الموافق ٢٦ أبريل ١٩٩٧م).

١٠ - **تخطيط السياسة اللغوية في الوطن العربي: التخطيط المصطلحي (مع حوار عن تجربة حياة في البحث المصطلحي)** للأستاذ الدكتور علي القاسمي (مدير اتحاد جامعات العالم الإسلامي بمقر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة) (السبت ٢٤ محرم ١٤١٨هـ الموافق ٣١ مايو ١٩٩٧م).

١١ - بنوك المصطلحات العربية: الواقع والآفاق (تجربة البنك الآلي السعودي للمصطلحات نموذجًا)، للأستاذ الدكتور عبد الله سليمان القفاري (مساعد المشرف على الإدارة العامة للتوعية والنشر بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض) يوم (الجمعة ١١ شعبان ١٤١٨هـ الموافق ١٢ ديسمبر ١٩٩٧م).

١٢ - المنهجية السيميائية لتراث الألفاظ الفصيحة وتطبيقاتها المصطلحية للدكتور أمين عبد الكريم باربو (أستاذ اللغة والآداب والحضارة العربية - معهد الدراسات العربية والإسلامية - كلية اللغات والآداب والحضارات الأجنبية - جامعة العلوم الإنسانية - ستراسبورغ - فرنسا) (السبت ١٩ شوال ١٤١٩هـ الموافق ٦ فبراير ١٩٩٩م).

١٣ - المصطلح القرآني: تجربة حياة، للدكتور أحمد حسن فرحات (أستاذ الدراسات القرآنية - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الإمارات العربية المتحدة) (السبت ١٧ ذي القعدة ١٤١٩هـ الموافق ٦ مارس ١٩٩٩م).

١٤ - إشكالية هوية المصطلح العلمي، للدكتور منذر بدر حلوم (أستاذ بكلية الزراعة - جامعة تشرين - اللاذقية - سوريا) (السبت ٢٤ ذي القعدة ١٤١٩هـ الموافق ١٣ مارس ١٩٩٩م).

١٥ - المصطلح المستقبلي ومكانته في الدراسات المستقبلية. للأستاذ محمد بريش (مهندس وخبير في الدراسات الاستراتيجية المستقبلية - الرباط) (السبت ٨ محرم ١٤٢٠هـ الموافق ٢٤ أبريل ١٩٩٩م).

١٦ - التجديد في الفقه: مصطلحًا وقضية. للدكتور طه جابر العلواني (الرئيس الحالي لجامعة العلوم الإنسانية والاجتماعية بفرجينيا والمدير السابق للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن) (السبت ١١ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٩٩م).

١٧ - تجربتي في البحث المصطلحي (مصطلحات علم السكان نموذجًا) للدكتور عبد الكريم اليافي (عضو مجمع اللغة العربية بدمشق) (السبت ١٨ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٩٩م).

١٨ - الجانب الاستعمالي للغة ووسائل البحث فيه وفوائده في ترسيخ المصطلح. للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (رئيس مجمع اللغة العربية بالجزائر) (السبت ٣٠ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٠م).

١٩ – حوار عن تجربة حياة في البحث المصطلحي، للدكتور أحمد مطلوب (رئيس مجمع اللغة العربية ببغداد – سابقًا) (السبت ٣٠ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٠م).

٥ – المطبوعات:

١ – دليل معهد الدراسات المصطلحية (١٩٩٣م).

٢ – دليل الباحث الناشئ في المصطلح « طبعة تجريبية » (١٩٩٣م).

٣ – أعمال ندوة « المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم » (طبعة خاصة بمعهد الدراسات المصطلحية) (١٩٩٣م).

٤ – أعمال ندوة « الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية » (١٩٩٦م).

٥ – أعمال اليوم الدراسي « قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة » (١٩٩٨م).

٦ – أعمال ندوة « قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية » (٢٠٠٠م).

٧ – أعمال الدورة التدريبية: « نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي » (٢٠٠٠م).

٨ – نشرة أخبار المصطلح (العدد الأول والثاني والثالث والرابع والخامس).

٩ – المصطلح الأصولي عند الشاطبي د. فريد الأنصاري (سلسلة الرسائل الجامعية ١).

١٠ – مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف: د. فريدة زمرد (سلسلة الرسائل الجامعية ٢).

١١ – مجلة دراسات مصطلحية العدد الأول (٢٠٠١م).

١٢ – مجلة دراسات مصطلحية العدد الثاني (٢٠٠٢م).

١٣ – مجلة دراسات مصطلحية العدد الثالث (٢٠٠٣م).

١٤ – مجلة دراسات مصطلحية العدد الرابع (٢٠٠٤م).

* * *

٣
مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية المعرفة

أولًا: أهداف المشروع ومراحله:

١ - المقصود بالمشروع:

يُقصد بالمصطلحات الحديثية المعرَّفة: كل الألفاظ الحديثية الاصطلاحية التي تم شرحها ضربًا من الشرح في تخصص علم الحديث، وفي أي قرن من القرون.

ويُقصد بالمعجم التاريخي لها: نسقها، بعد جمعها مع شروحها، نسقًا تاريخيًّا يقدم السابق على اللاحق.

ويُقصد بمشروع ذلك المعجم: مقترح خطة للتصور العلمي والإنجاز العلمي له، بما في ذلك أهداف العمل، ودوافعه، ومراحله، ووسائله، ومصادره.

وكل ذلك في إطار الموجود المعد من النصوص، في انتظار الموجود الذي سيعد منها.

٢ - لماذا المشروع؟

للمشروع أهداف علمية أهمها:

(١/٢) **جمع جهود العلماء السابقين** في مجال بيان المراد من الألفاظ الاصطلاحية الحديثية في مختلف القرون، ووضعها رهن إشارة الدارسين المصطلحيين المعاصرين وغيرهم، موثقة، مصنفة، للاستفادة منها بكل ضروب الاستفادة، ولدراستها أيضًا، بكل أنواع الدراسة، وللبناء عليها فيما هو آتٍ في مختلف المجالات.

(٢/٢) **تيسير السير في اتجاه مشروع المعهد الأساسي الذي هو المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية**، وذلك بقطع جزء من الشوط الأول من هذا المشروع، وهو جمع المصطلح الحديثي المعرف؛ لأن المشروع، في عمومه، يتطلب تتبع جميع المصطلحات، سواء أكانت معرفة أم غير معرفة، ودراستها بمراحل الدراسة المعروفة: الوصفية فالتاريخية، لإنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية الشامل الذي هو المشروع الأساسي.

(٣/٢) **تدريب الباحثين وشغلهم أولًا بالأسهل المفيد**، تحضيرًا لهم وإعدادًا للانتقال إلى الأصعب الأفيد، وهو الدراسة المصطلحية الجادة بمسالكها ومهالكها المعروفة.

٣ – ما هي مراحل المشروع؟

أهم مراحل المشروع **ثلاث:**

المرحلة الأولى: مرحلة الجمع، وفيها يتم التقصي لجميع المصطلحات الحديثية المعرفة ضربًا من التعريف في جميع المظان، بدءًا بالأقدم فالأقدم، والأغزر مادة فالأغزر، والأوثق نصًّا فالأوثق.

المرحلة الثانية: مرحلة التصنيف، وفيها يتم ترتيب جميع ما جُمع، حسب كل مصطلح مصطلح، ترتيبًا يمكن أن يفضي في النهاية إلى نسق جميع شروح وتعاريف المصطلح، مذ ظهر أول شرح له – بحسب ما وصل إليه التحري – حتى آخر شرح، موثقة محققة، قدر الإمكان.

المرحلة الثالثة: مرحلة التأليف، وفيها تتم الصورة الكاملة للمعجم رموزًا، وترتيبًا، وفهارس أو كشافات، بطريقة تيسر لمستعمله نيل المبتغى منه بأقل مجهود. ولن تتضح تلك الصورة بوضوح، إلا عند الاقتراب من الوصول إلى الهدف، ومن سار على الدرب وصل.

ثانيًا: مصادر المشروع ووسائله:

١ – مصادر المشروع:

أهم مصادر المادة **أصناف ثلاثة:**

الصنف الأول: هو كتب التخصص: تخصص علم الحديث؛ مصطلحًا وشروحًا، علومًا وطبقات... فما فيها من المصطلحات المعرفة أكثر مما هو موجود في كتب المعاجم الاصطلاحية، حتى إن بعضها يكاد يكون بمثابة معجم كامل للاصطلاحات.

الصنف الثاني: هو المعاجم الاصطلاحية واللغوية، وغير خافٍ لِمَ قُدِّمت الاصطلاحية على اللغوية، ذلك بأنها تتصدى أساسًا إلى هذا الأمر، ومادتها جملة تعتبر من مادة المعجم الشامل المنتظر: المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية المعرفة. أما المعاجم اللغوية فقد تكون أغزر مادة، لكنها تحتاج إلى بصيرة في الاستخراج.

الصنف الثالث: هو بقية مصادر الثقافة العربية، وذلك لطبيعة هذه الثقافة؛ إذ تتداخل في مصادرها العلوم والمعارف، وقد يوجد في نهر عام منها ما لا يوجد في بحر من بحور التخصص، وهذا معروف لدى كل من زاول وباشر الاتصال بهذه المصادر.

٢ - وسائل المشروع:

وأهمها وسيلتان:

(٢/١) **وسيلة علمية**، وتتلخص في:

(٢/١/١) **جمهرة من الباحثين في علم الحديث المهتمين بالدراسات المصطلحية تخصصًا أو هواية:** فهم إما متخصصون في الدراسة المصطلحية، قدرًا من التخصص ولهم الأسبقية، وإما أن ميلهم إلى هذه الدراسة طاغٍ، فيمكن الاستفادة منهم أيضًا في إنجاز المشروع، هؤلاء تقسم عليهم الأعمال: أعمال المرحلة الأولى، والمراحل التي يمكنهم أن يفيدوا فيها: أعمال الفهرسة، وأعمال الببيلوغرافيا، وأعمال القراءة، وأعمال استخراج النصوص، وأعمال توثيق النصوص، وغير ذلك...

(٢/١/٢) **فرق بحث متخصصة في دراسة مصطلح علم الحديث** هذه الفرق ضرورية لتركيز العمل، ولترقيته، وللتسريع بإنجازه، وهي التي ينبغي أن تقوم بتصنيف المادة العلمية التي أنجزها الباحثون المصطلحيون أو المهتمون واستخراجها حسب مكونات علم الحديث: مصادر، وشخصيات، وأمكنة، وأزمنة، واتجاهات.

(٢/١/٣) **هيئة تنسيق وإشراف على المشروع جملة،** ويمكن أن تكون مكونة من منسقي فرق البحث، ومن أعضاء من المعهد وهي تتصدى أساسًا بعد متابعة ما سبق ومراقبته، إلى المرحلة الأخيرة التي هي تأليف المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية المعرفة وفق مقاييس وضوابط تستجيب لحاجة العلم ولحاجة العصر، ولحاجة الغد.

(٢/٢) **وسيلة مالية:** وتتلخص في:

(٢/٢/١) **أشخاص قادرين محبين للعلم**، ولا نيأس من وجودهم، كما لا نستهين - إن وجدوا - بقلتهم، وإن لم يكونوا موجودين - لا قدر اللّٰه - فعلينا العمل على إيجادهم.

هذا الصنف ضروري لإنجاز المشاريع العلمية الضخمة في كل أمة، وفي كل شعب، وهو موجود لدى الغرب - كما تعلمون - ولدى غير الغرب.

(٢/٢/٢) **مؤسسات علمية وطنية**: رسمية أو حرة، بدءًا من الكليات، فالجامعات، فالوزارات، فالجمعيات والمنظمات، وكلها مرشحة - إن فَقَهَتْ أو فُقِّهت - للاضطلاع بهذا الأمر، وإلا فيلزم التفقيه أو التوعية كما نسميها اليوم، بجدوى المشروع وأهميته للبلد وللأمة وللغد في الحاضر وفي المستقبل.

(٣/٢/٢) **مؤسسات علمية دولية**، بدءًا مما يختصر في لفظتي « أليكسو » و « إيسيسكو » أي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية، وهذا شغلها أو المفترض أن يكون، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي وهذا من أوجب واجباتها أيضًا، إلى غير ذلك من المؤسسات المشابهة، وكلها مؤهلة قادرة - إن صح العزم، ونهضت الهمة - لكشف الغمة عن هذه الأمة.

ثالثًا: نموذج أولي من المشروع: مصطلح « المرسل » [١]:

ابن معين (ت ٢٣٣هـ):

أصح المراسيل:

أصح المراسيل: مراسيل ابن المسيب.

[تدريب الراوي: ٢٠٣/١].

الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ):

المرسل: هو المنقطع.

[فتح الباري: ٦٢/٩].

الحاكم (ت ٤٠٥هـ):

المرسل:

مشايخ الحديث لم يختلفوا في أن الحديث المرسل هو الذي يرويه المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعي، فيقول التابعي: قال رسول الله ﷺ.

[معرفة علوم الحديث: ص ٢٥].

---

(١) هذا النموذج أعد لأخذ فكرة عن المعجم وإلا فهو غير وافٍ ولا كافٍ.

المرسل:

المرسل مخصوص بالتابعين، وأنه المنقطع منه الإسناد قبل الوصول إلى التابعي، راوٍ لم يسمع من الذي فوقه والساقط بينهما غير مذكور لا معينًا ولا مبهمًا، ومنه الإسناد الذي ذُكِر فيه بعض رواته بلفظ مبهم نحو رجل أو شيخ أو غيرهما.

[علوم الحديث لابن الصلاح: ص ٥٧].

المرسل:

« إذا انقطع قبل التابعي واحد أو أكثر لا يسمى مرسلًا، بل يختصّ المرسل بالتابعي عن النبي ﷺ، فإن سقط قبله فهو منقطع، وإن كان أكثر فمعضل ومنقطع، والمشهور في الفقه والأصول أن الكل مرسل وبه قطع الخطيب ».

[التقريب بشرح السيوطي: ١/١٩٥].

ابن فورك (ت ٤٠٦هـ):

المرسل:

« المرسل قول التابعي: قال رسول اللَّه ﷺ ».

[نكت ابن حجر: ص ٢٠٠].

أبو إسحاق الإسفراييني (ت ٤١٨هـ):

المرسل:

« المرسل رواية التابعي عن النبي ﷺ، أو تابع التابعي عن الصحابي، فإذا قال تابع التابعي أو أحد منا: قال رسول اللَّه ﷺ فلا يعد شيئًا، ولا يقع به ترجيح، فضلًا عن الاحتجاج به ».

[نكت ابن حجر: ص ٢٠٠].

الأستاذ أبو منصور (ت ٤٢٩هـ):

المرسل:

(المرسل) ما سقط من إسناده واحد، فإن سقط أكثر من واحد فهو معضل ».

[نكت ابن حجر: ص ١٩٩].

الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ):

المرسل:

« وأما المرسل فهو ما انقطع إسناده بأن يكون في رواته من لم يسمع ممن فوقه، إلا أن أكثر ما يوصف بالإرسال من حيث الاستعمال ما رواه التابعي عن النبي ﷺ ».

[الكفاية: ص ٣٧].

المرسل:

أكثر ما يوصف بالإرسال من حيث الاستعمال ما رواه التابعي عن النبي ﷺ، وأما ما رواه تابعيُّ التابعي عن النبي ﷺ فيسمونه المعضل.

[علوم الحديث لابن الصلاح: ص ٥٢].

المرسل:

قول المصنفين من الفقهاء وغيرهم: « قال رسول اللّٰه ﷺ كذا وكذا » ونحو ذلك من قبيل المرسل.

[علوم الحديث لابن الصلاح: ص ٦٠ بتصرف].

ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ):

المرسل:

« هذا الاسم أوقعوه بإجماع على حديث التابعي الكبير عن النبي ﷺ... ومثله أيضًا مما يجري مجراه، عند بعض أهل العلم مرسل من دون هؤلاء... يسمونه مرسلاً كمرسل كبار التابعين ».

[التمهيد: ١٦/١].

المرسل:

المرسل مخصوص بالتابعين والمنقطع شامل له ولغيره، وهو كل ما لا يتصل إسناده سواء كان يُعْزَى إلى النبي ﷺ أو إلى غيره.

[علوم الحديث لابن الصلاح: ص ٥٨].

الغزالي (ت ٥٠٥هـ):

المرسل:

وصورة المرسل أن يقول: قال رسول اللّه ﷺ من لم يعاصره.

[نكت ابن حجر: ص ٢٠٠].

الشيخ الموفق (ت ٦٢٨هـ):

المرسل:

المرسل: قول غير الصحابي ﷺ: قال رسول اللّه.

[نكت ابن حجر: ص ١٩٩].

ابن القطان (ت ٦٢٨هـ):

المرسل:

المحدث إذا قال: مرسل، فأكثر ما يقوله عن حديث سقط أول إسناده؛ مثاله: أن يسقط من هذا ذكر ابن عباس، فيبقى عن عطاء الخراساني، عن النبي ﷺ، فلو سقط منه أوله وثانيه فأكثر، سموه مرسلًا أيضًا، ومنهم من يخص به اسم: معضل، فمتى ثبت أوله وسقط مما بعده، أو ثبت أوله وثانيه، وسقط مما بعدهما فأكثر ما يقولون في هذا: منقطع، وربما قالوا: مرسل.

[بيان الوهم والإيهام: ح ٣٩٩].

المرسل:

المرسل: هو الذي طوي عنا إسناده من لو ذكره أمكن أن نعرفه ضعيفًا أو مجهولًا .

[بيان الوهم والإيهام: ح ٢٤٢١].

المرسل:

اعلم أن المسند ينقسم بانقسام المسند إلى صحيح وسقيم، وإن منه ما يرويه الثقات إلى الذي أرسله، ومنه ما يكون في إسناده إلى الذي أرسله ضعيف، أو ضعفاء، أو مجهول، أو مجاهيل....

[بيان الوهم والإيهام: ح ٦٤٣].

المرسل:

أن يروي بعض التابعين عن النبي ﷺ خبرًا، أو يكون بين الراوي وبين رجلٍ، رجلٌ.

[فتح المغيث للسخاوي: ١/١٣٨].

الآمدي (ت ٦٣١هـ):

المرسل:

قول غير الصحابي ﷺ: قال رسول الله.

[نكت ابن حجر: ص ١٩٩].

ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ):

المرسل:

وصورته التي لا خلاف فيها حديث التابعي الكبير الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم كعبيد الله بن عدي بن الخيار، ثم سعيد بن المسيب، وأمثالهما، إذا قال: « قال رسول الله ﷺ ».

[علوم الحديث: ص ٥١].

مرسل الصحابي:

مرسل الصحابي: مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله ﷺ ولم يسمعوه منه.

[علوم الحديث: ص ٥٦].

ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ):

المرسل:

قول غير الصحابي ﷺ: قال رسول الله.

[نكت ابن حجر: ص ١٩٩].

النووي (ت ٦٧٦هـ):

المرسل:

ومرادنا بالمرسل هنا: ما انقطع إسناده فسقط من رواته واحد فأكثر، وخالفنا أكثر

المحدثين فقالوا: هو رواية التابعي عن النبي ﷺ.

[فتح المغيث للسخاوي: ١/١٣١].

الذهبي (ت ٧٨٤هـ):

المرسل:

المرسل: حكم على ما سقط ذكر الصحابي من إسناده، فيقول التابعي: قال رسول اللَّه ﷺ.

[الموقظة: ص ٣٨].

الحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ):

المرسل:

١ - المرسل: هو ما رفعه التابعي إلى النبي ﷺ سواء أكان من كبار التابعين؛ كعبيد اللَّه بن عدي بن الخيار، وقيس بن أبي حازم، وسعيد بن المسيب وأمثالهم. أم من صغار التابعين؛ كالزهري وأبي حازم، ويحيى بن سعيد الأنصاري وأشباههم.

[فتح المغيث: ص ٦٣، ٦٤].

٢ - المرسل: هو ما رفعه التابعي الكبير إلى النبي ﷺ.

[فتح المغيث: ص ٦٤].

٣ - المرسل: هو ما سقط راوٍ من إسناده فأكثر من أي موضع كان. فعلى هذا المرسل والمنقطع واحد.

[فتح المغيث: ص ٦٥].

٤ - المرسل: ما رواه التابعي عن النبي ﷺ.

[فتح المغيث: ص ٧١].

ابن حجر (ت ٨٥٢هـ):

المرسل:

١ - هو ما سقط من آخره من بعد التابعي.

[نزهة النظر: ص ١٧].

المرسل:

... الانقطاع في أي موضع كان من السند بين راويين متعاصرين لم يلتقيا، وكذا لو التقيا ولم يقع بينهما سماع فهو انقطاع مخصوص يندرج في تعريف من لم يتقيد في المرسل بسقط خاص...

[فتح المغيث للسخاوي: ٣/٨٥، ٨٦].

السخاوي (ت ٩٠٢هـ):

المرسل:

١ - المرسل: مضاف تابعٍ من التابعين إلى النبي ﷺ بالتصريح.

[فتح المغيث: ١/١٣٥].

٢ - أما من أحضر إلى النبي ﷺ غير مميز، كعبد اللَّه بن عدي بن الخيار، فإن أباه قتل يوم بدر كافرًا، على ما قال ابن ماكولا، وعد ابن سعد أباه في مسلمة الفتح. وكمحمد بن أبي بكر رضي الله عنهما، فإنه ولد عام حجة الوداع، فهذا مرسل.

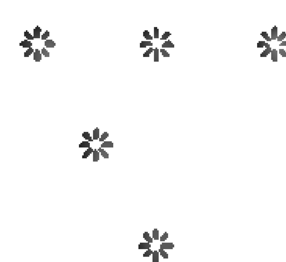
[فتح المغيث: ١/١٥٤].

زكريا الأنصاري (ت ٩٢٥هـ):

المرسل:

ما رواه التابعي عن النبي ﷺ.

[فتح الباقي: ١/١٥٩].



٤
جهود أخرى للمعهد
في خدمة السنة المشرفة

لقد كان من أثر تأسيس المعهد إنشاء وحدة مصطلحات القرآن والحديث وعلومهما لطلبة الدراسات العليا المعمقة، وإنشاء وحدة القرآن والحديث وعلومهما لطلبة الدكتوراه. واستجابة لنداء المعهد سجلت رسائل جامعية متعددة في الوحدتين وفي غيرهما، خدمت السنة المشرفة والباحثين فيها. **ومن تلك الرسائل المسجلة:**

(١/٤) **في خدمة مصطلح الحديث:**

- المصطلحات الحديثية لدى الصحابة والتابعين وأتباع التابعين (دكتوراه دولة) للباحث إدريس الشرقي.

- المصطلحات الحديثية في تراث الخطيب البغدادي (دكتوراه دولة) للباحث سعيد حليم.

- مصطلحات الجرح والتعديل المتعارضة (دكتوراه دولة) للباحث جمال أسطيري.

- المصطلح الحديثي من خلال كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (دكتوراه) للباحث عبد الرحمن محجوبي.

- مصطلحات نقد الحديث من خلال كتاب بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لابن القطان الفاسي (ت ٦٢٨هـ) إحصاء وتصنيف ودراسة (دكتوراه) للباحث جواد الفيلالي.

- مصطلحات الجرح والتعديل وتطورها التاريخي في التراث المطبوع للإمام البخاري (١٩٤ - ٢٥٦هـ) (دكتوراه) للباحث محمد أولاد عتو.

- البحث المصطلحي في علم الحديث عند المتأخرين (دكتوراه) الباحث أحمد الحيمر.

- مفهوم الصبر في القرآن والحديث دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (دكتوراه) للباحث الحسين جناني.

- الفقراء والمساكين في الكتاب والسنة (دكتوراه) للباحث عبد السلام الخرشي.

- مفهوم « السنة » في القرآن والحديث دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (دكتوراه) للباحث عزيز أعزيز.

- مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحثة فريدة زمرد.

- مفهوم الأمة في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث الكبير حميدي.

- مفهوم البيان في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحثة فاطمة بوسلامة.

- مفهوم الظلم في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث كريم عبد النور.

- مفهوم الكتاب في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (دكتوراه) للباحث مولاي الحسن بوزكراوي.

- مفهوم البغي والعدوان في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (دكتوراه) للباحثة رقية جناو.

- مفهوم الفساد في القرآن والحديث دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (دكتوراه) للباحثة فاطمة بيهردي.

- مفهوم « الحكم والحكمة » في القرآن الكريم والسنة النبوية (دكتوراه) للباحث ناجم النية.

- مفهوم الكتمان في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحث محمد العربي الطلحي.

- مفهوم الفتنة في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث عبد اللطيف الفيلالي.

- مفهوم الثواب والعقاب في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث العربي لخنيك.

- مفهوم الاتباع والابتداع في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث خالد العمراني.

- مفاهيم العدل في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحث عبد السلام القرفي.

- مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (دكتوراه) أمحمد البوقاعي.

- مفهوم « سبيل اللّٰه » في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحث عبد العالي معكول.

- مفهوم العبادة في القرآن الكريم دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (دكتوراه) للباحث محمد شاكر المودني.

- مفهوم التدافع في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (دكتوراه) للباحثة فاطمة عبد الخالق.

- مفهوم التقوى في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث محمد البوزي.

- ألفاظ البنيان في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحث محمد النمينج.

- مفهوم المعروف والمنكر في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث عبد الإله الإسماعيلي.

- مفهوم الشرك في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث عبد الرزاق الراشدي.

- مفهوم الإيمان في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث خالد خايف اللّٰه.

- مفهوم الدين في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحث محمد فخر الدين.

- مفهوم المال في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحث بوشتي بن الطاهر.

- مفهوم الولاية في القرآن والحديث الصحيح (دكتوراه) للباحثة بومزود أسماء.

- مفهوم النعمة في القرآن والحديث: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (دكتوراه) للباحث عبد المجيد بنمسعود.

- مفهوم الإخلاص في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث أحمد بي.

- مفهوم النفاق في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحثة حنان إلهام.

- مفهوم الزكاة في القرآن والحديث دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (دكتوراه) للباحث مصطفى أو يحيى.

- مفهوم النصر والهزيمة في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث بوعلي لخضر.

- مفهوم الضلال في القرآن والسنة (دكتوراه) للباحث بن البو إبراهيم.

- مفهوم الشيطان في القرآن والسنة (دكتوراه) للباحث عمر بوعيشي.

- مفهوم الخلافة في القرآن والحديث وعلومهما دراسة مصطلحية (دكتوراه) للباحثة نزهة الأمغاري.

- مفهوم الدعاء في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث محمد الحساني.

- مفهوم الغيب في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث إدريس مولودي.

- مفهوم الملائكة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (دكتوراه) للباحث رضوان الحضري.

- مفهوم الخوف في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحثة زهرة مستعديل.

- مفهوم الحياة في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث محمد الأحمدي.

- مفهوم الرزق في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحثة فاطمة عبو.

- مفهوم الفسق في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحثة كلثومة ختوش.

- مفهوم الصلاة في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحث إبراهيم إمونن.

- مفهوم الذكر في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث رضوان مسباح.

- مفهوم الإحسان في القرآن الكريم والسنة النبوية (دكتوراه) للباحث محمد أبرباش.

- مفهوم الطاعة في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث إدريس قباصي.

- مفهوم اليقين في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث هشام الأزمي الحسني.

- مفهوم البلاء في القرآن والحديث (دكتوراه) للباحث محمد الصوفي.

- مفهوم الشهادة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (دكتوراه) للباحث محمد الفراسي.

- مفهوم الخلق في القرآن الكريم والحديث النبوي (دكتوراه) للباحثة رجاء الأزهري.

- مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحث محمد البوقاعي.

- مفهوم السلام في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (دكتوراه) للباحث الطيب البوهالي.

- مفهوم الهدى في القرآن الكريم والحديث الشريف (دكتوراه) للباحث الحبيب مغراوي.

- النبوة والرسالة في القرآن والحديث دراسة في المصطلح والمفهوم (دكتوراه) للباحث إدريس نغش.

(٤/٢) في خدمة نصوص الحديث:

- تذكرة العلماء لشمس الدين ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحث المصطفى سليمي.

- فتح العلام، بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام لمؤلفه أبي يحيى زكريا الأنصاري الخزرجي (٨٢٣هـ - ٩٢٦هـ) دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحث مولاي المصطفى أبي عبيدة.

- التبيان لبديع البيان عن موت الأعيان: لحافظ دمشق ابن ناصر الدين أبي عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن محمد القيسي الدمشقي (ت ٨٤٢هـ) دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحث محمد السعيدي.

- تحقيق ودراسة الجزء الأول من كتاب « تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام » لابن مرزوق التلمساني (دكتوراه) للباحثة سعيدة بحوت.

- تحقيق ودراسة الجزء الأول من كتاب « بغية السالك إلى شرح موطأ الإمام مالك » لأبي الحسن الحريشي (ت ١١٤٣هـ) (دكتوراه) للباحثة منية الطويل.

- بغية السالك إلى شرح موطأ الإمام مالك لأبي الحسن علي بن أحمد الحريشي الفاسي (دراسة وتحقيق الجزء الثاني من الكتاب) (دكتوراه) للباحث محمد الدرقوتي.

- بغية السالك إلى شرح موطأ الإمام مالك « لأبي الحسن الحريشي الفاسي » (ت ١١٤٣هـ) (الجزء الثالث دراسة وتحقيق دكتوراه) للباحثة فاطمة بنحدوتي.

- بغية السالك إلى شرح موطأ الإمام مالك لأبي الحسن علي بن أحمد الحريشي الفاسي (ت ١١٤٣هـ) دراسة وتحقيق لجزء منه: (من كتاب الذبائح إلى الرضاع (دكتوراه) للباحث عبد النبي الدقون.

- كتاب شرح صحيح البخاري لابن بطال القرطبي من بداية كتاب الصلاة إلى نهاية كتاب الجنائز دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحثة كريمة الخليع.

- شرح صحيح البخاري لابن بطال من بداية كتاب الزكاة إلى نهاية كتاب الحج دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحثة سميرة الرامي.

- شرح صحيح البخاري لابن بطال من بداية كتاب الجهاد إلى نهاية كتاب الأيمان والنذور دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحثة وفاء العريف.

- شرح صحيح البخاري لابن بطال القرطبي من بداية كتاب البيوع إلى نهاية كتاب العارية: دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحثة بشرى المعطاوي.

- شرح صحيح البخاري لابن بطال القرطبي (ت ٤٤٩هـ) من أول كتاب التعبير إلى نهاية كتاب التوحيد دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحث محمد القسمي.

- مناهج العلماء الأحبار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار لعبد المالك القيسي (ت ٨٣٤هـ) دراسة وتحقيق (ج ١) (دكتوراه) للباحث علي الغزاوي.

- مناهج العلماء الأحبار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار لعبد المالك القيسي المنتوري (ت ٨٣٤هـ) دراسة وتحقيق (ج ٢) (دكتوراه) للباحثة لطيفة القشماري.

- الديباجة على ابن ماجه لكمال الدين الدميري (م ٨٠٨هـ) دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحث الحسن النوادري.

- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام: لعمر بن علي اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهاني (٦٥٤هـ - ٧٣١هـ) الجزء الأول من كتاب الطهارة إلى كتاب الجنائز دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحثة شريفة العمري.

- صحيفة علي بن أبي طالب ﷺ دراسة حديثية وفقهية (دكتوراه) للباحث بوشتي الزفزوقي.

– شرح شهاب القضاعي وشرح غريبه للحافظ محمد بن منصور السجلماسي دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحث علي نجمي.

– تحقيق ودراسة كتاب « شرح التقريب والتيسير للنووي للحافظ السخاوي (ت ٩٠٢هـ) (دكتوراه) للباحث عبد الواحد الشرادي.

– « الجامع لما في المصنفات الجوامع من أسماء الصحابة الأعلام أولي الفضائل والأحكام » للإمام الرعيني (ت ٦٣٢هـ) دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحث أحمد حركات.

– استدعاءات الإجازة للحافظ أبي عبد اللّٰه محمد بن عمر بن رشيد السبتي دراسة وتحقيق (دكتوراه) للباحث عبد اللطيف جبلاني.

– الحافظ عمر بن دحية الكلبي (ت ٦٣٣هـ) وجهوده في علم الحديث مع تحقيق كتابه النص المبين في المفاضلة بين أهلي صفين (دكتوراه) للباحث أنس وكاك.

(٣/٤) خدمة الباحثين في الحديث:

– اختلاف الحديث وأثره في اختلاف الفقهاء (دكتوراه) للباحث جواد بنامغار.

– تقريرات الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام (دكتوراه) للباحث عبد الفتاح عمور.

– الوظيفة الاجتماعية للمرأة في القرآن والسنة (دكتوراه) للباحثة إيمان سلاوي.

– تقعيد الحوار مع أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة النبوية (دكتوراه) للباحث نور الدين عادل.

– الرقابة القضائية على المال العام وأصولها في القرآن والسنة (دكتوراه) للباحث عبد اللطيف صدقي.

– نظرية عموم البلوى في الفقه الإسلامي وأدلتها من الكتاب والسنة (دكتوراه) للباحث عواد فريحان فراج السعيدي.

* * *
* *
*

٥
خاتمة في أولويات
خدمة السنة للتحضير لغد الأمة

وأهمها فيما أحسب **ثلاثة:**

(٥/١) أولوية النص:

لا جرم أن المعضلة الأولى في البحث العلمي في التراث هي معضلة النص؛ ذلك بأن التراث هو الذات، وأغلب التراث ما زال غير محقق، وأغلب محققه ما زال غير موثق، وأغلب موثقه ما زال لضعف انتشاره في الأمة كغير المنشور.

وكل نقصان في النص أو فساد، يؤدي إلى نقصان في التصور أو فساد، فمتى يمكن الاستيعاب إذن، ليمكن التحليل الصحيح، والتعليل الصحيح، والتركيب الواجب؟

إن تحقيق التراث في السنة وفي غير السنة، يبقى على رأس الأولويات لخدمة الذات، وإن إعداده الإعداد العلمي، موثقًا محققًا مكشفًا، يبقى من حق الآباء الآكد على الأبناء حتى يؤدوه، ومستعجلًا من مستعجلات إنقاذ الأمة من التصور الناقص أو الفاسد للذات؛ إذ كل ما بني على ناقص أو فاسد فهو ناقص أو فاسد، ولن يستقيم التصور للذات بأوسع معنى للذات حتى يستقيم تصور التراث بأوسع معنى للتراث.

(٥/٢) أولوية المصطلح:

والمصطلح الخادم للسنة المشرفة **مصطلحان:**

(٥/٢/١) الأول هو مصطلح نصوص السنة نفسها، وهو المصطلح الشريف.

وهذا تبعيته لأصله الشريف الأشرف: مصطلح القرآن الكريم، أظهر من أن تعرّف؛ لأنه مصطلح البيان لمصطلح القرآن، وما كان لمؤمن ولا مؤمنة أن يفرِّق، لا في النفس ولا في الدرس، بين الوحي المبيَّن وبين الوحي البيان. وهما معًا المصطلح الأصل. وإقامة المصطلح الأصل هي الأصل. وهي **تستلزم فيما تستلزم:**

١ – **إقامة لفظه باستعماله في التواصل بين الناس**؛ لأنه المختار للناس، كل الناس، من

رب الناس ملك الناس إله الناس. فمن هجره فقد هجر كتاب اللّه تعالى، ومن اختار غيره فقد اختار غير ما اختار اللّه جل وعلا.

٢ - إقامة مفهومه بأن يفهم من لفظه ما فهمه أو فهّمه من أوحي إليه به ﷺ دون تغيير أو تبديل، بدلالة زمن التنزيل للألفاظ، ودلالة سياق الاستعمال للألفاظ. ولن يصلح آخر هذا الفهم إلا بما صلح به أوله، وهو استفادة المفهوم من مجموع صور استعمال اللفظ مفهومًا بدلالة زمن التنزيل، وإلا فهو التشوه والتشويه المستمر.

٣ - إقامة العمل به بالتخلق بما يقتضيه مفهومه في الظاهر والباطن معًا... ذلك بأن الدليل على حاق التحقق هو التخلق، وما لم يتمثل المفهوم في واقع يمثله فلن تمثُل القدوة، ولن تقوم الحجة، ولن يظهر للعيان ما جاء به الوحي في القرآن والسنة البيان.

(٢/٢/٥) المصطلح الثاني هو مصطلح علوم السنة الخادمة لها رواية ودراية.

وهو من المصطلح الفرع الذي انشغلت به الأمة طويلًا عن اشتغالها بالمصطلح الأصل. وحقه الدراسة كغيره من فروع المصطلح الفرع في مختلف مجالات التراث: الشرعية، والإنسانية، والمادية؛ إذ المصطلح الفرع هو خلاصة تفاعل الأمة مع التاريخ، وهو خلاصة كسبها وإسهامها الحضاري في التاريخ.

ولا يمكن فهم الذات بغير فهم التراث في مختلف المجالات، كما لا يمكن الدخول إلى عالم التراث من غير بوابة المصطلحات، ولذلك كانت دراسة المصطلحات من أولى الأولويات في خدمة أي فن من فنون التراث.

ومن العلوم التي هي على رأس ذلك لا شك، علم الحديث الذي بلغ من اهتمامه بالمصطلح أن سمي بعلم المصطلح.

فحق على الباحثين فيه أن يدرسوا مصطلحاته الدراسة الوصفية والتاريخية، وحق على الباحثين فيه قبل ذلك أن يجمعوا جهود السابقين في تعريف مصطلحاته لتمييز ما للسابق مما للاحق.

وأنها لخدمة جليلة لعلم الحديث أن يخرج إلى الناس يومًا معجم تاريخي صحيح لمصطلحات علم الحديث.

(٥/٣) أولوية مدونة الحديث المقبول:

أجل، هي أولوية ذكرها الذاكرون وغفل عن ذكرها الغافلون؛ ذلك بأن الأمة وهي تستعد للعودة، لا بد لها من حصر متن الانطلاق، ولا سيما للأجيال القادمة؛ وقد تكفل اللَّه ﷻ بحفظ كتابه في كتاب، وبحفظ سنة نبيه ﷺ في أكثر من كتاب، فوجب العمل على جمعها بعد اليوم، تيسيرًا على الأمة، في كتاب.

ولقد آن الأوان، لينفر من كل تخصص علمي طائفة مصطفاة من الأمة، ليعدوا بيت تخصصهم تحضيرًا لغد الأمة.

ولقد آن الأوان، لينهض في الأمة على مستوى الأمة لكل تخصص كيان.

ولقد آن الأوان، ليعلن من هذا المكان أن أقيموا يا أهل الحديث مجمعًا عالميًا للحديث، يشرف على جمع كلمة الأمة على المقبول من الحديث، يضطلع بالفتوى في القضايا العظمى والنوازل الكبرى في الحديث.

فهل إلى تأسيس من سبيل؟

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلًا. والحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات

الشارقة ٢٤ - ٣ - ١٤٢٦هـ
الموافق ٣ - ٥ - ٢٠٠٥م

مصطلح الأمة

بين الإقامة والتقويم والاستقامة

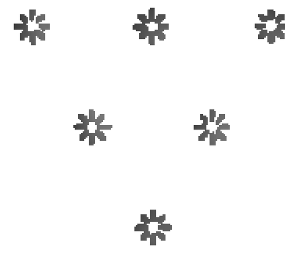
مُقَدِّمَة

أصل هذه الكلمة: كلمات افتتحت بها أعداد من مجلة « دراسات مصطلحية » على مدى سنوات، ثم جمعت الكلمات في محاضرة ألقيت في ندوة « مناهج الاستمداد من الوحي » التي أقامتها الرابطة المحمدية للعلماء بمدينة تطوان أيام (٢٦، ٢٧ صفر الخير ١٤٢٩هـ الموافق ٥، ٦ مارس ٢٠٠٨م).

والمقصود بـ « مصطلح الأمة » في العنوان هو جميع ما استعملته الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل من ألفاظ اصطلاحية في مختلف العلوم.

أسأل اللّٰه – جل وعلا – أن يجعلها كلمة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

والحمد للّٰه الذي بنعمته تتم الصالحات



١
مقدمة في طبيعة
الإشكال المصطلحي في الأمة اليوم

الإشكال المصطلحي إشكال عظيم، لا يقدره قدره إلا الراسخون في العلم. وقد كان همّ النبوات، مذ آدم عليه السلام، تسمية الأشياء بأسمائها، وضبط كلمات اللّه عز وجل لكيلا يعتريها تبديل أو تغيير. والدين، مذ كان، تعريف وتثبيت لمفاهيم المصطلحات الأساسية التي يقوم عليها التصور الصحيح للكون والحياة والإنسان. وما خطوط الكفر والفسوق والعصيان إلا زوايا انحراف عن ذلك التصور لدى الإنسان. ولو أن بني آدم أقاموا المصطلحات، وأتموا الكلمات، ولم يغيروا خلق اللّه، ودين اللّه، لما احتاجوا إلى كل هؤلاء الرسل، والأنبياء، والصديقين، والشهداء، لردهم ردًّا إلى الفطرة، وإعادتهم، بعد أن عبثوا بالأسماء، إلى حاقّ الأسماء.

والأمة اليوم، وهي على عتبة تجديد النطق بالشهادتين، تعاني من أمر المصطلح ما تعاني:

تعاني من أمر المصطلح الأصل، الذي به قامت، وعليه قامت، وله قامت؛ المصطلح الذي به كانت الأمة الوسط، وبه كانت خير أمة أخرجت للناس، وبه كان رجالها شهداء على الناس: مصطلح القرآن والسنة البيان؛ لا تفهمه حق الفهم، ولا تقوم به، أو عليه، أو له، ولا تقيمه، كما أمرت صدقًا وعدلًا، كما ينبغي له.

وتعاني من أمر المصطلح الفرع، الذي يمثل خلاصة تفاعلها مع التاريخ وفي التاريخ؛ المصطلح الذي يمثل كسبها وإسهامها الحضاري، في مختلف المجالات: مصطلح العلوم والفنون والصناعات؛ لا تعلمه حق العلم، ولا تقوّمه حق التقويم، ولا توظفه حق التوظيف.

وتعاني من أمر المصطلح الوافد، الذي يمثل فيضان الغرب وطوفانه الذي أغرق أغلب أجزاء الأمة، ولا سيما في العلوم المادية والعلوم الإنسانية، نتيجة هبوطها وارتفاعه.

* * *
* *
*

٢
إقامة المصطلح الأصل وما تقتضيه

(٢/١) مفهوم إقامة المصطلح الأصل:

إقامة المصطلح الأصل تعني إتمام الكلمة، وإتمام الكلمة يعني التوفية، قال الراغب: « إقامة الشيء: توفية حقه » (١). ومن وفَّى فقد وفَى واستوفى، وقام بالأمر وأقامه حتى قام واستقام، وصار الاسم يساوي مسماه، والمصطلح يطابق مفهومه، ومتى أقيم المصطلح قام الخلق والأمر على وجهه، وأقيم الدين على حقه، وقامت الحجة على المقصر والغالي، واستقام التواصل بين الناس، وقام الناس بالقسط وليس لغير ذلك أرسلت الرسل وأنزلت الكتب: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

ولقد كان إبراهيم عليه السلام المثال لذلك، فجعله الله ﷻ بذلك للناس إمامًا: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤].

إن إقامة مصطلح الخلق دون تبديل: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠]، وإقامة مصطلح الأمر دون تأويل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨] – هو مناط إقامة المصطلح، وبقدر تلك الإقامة في العالم يكون السلام والأمن، وبقدر الإخلال بها يكون الاضطراب والفزع والخوف.

وإقامة المصطلح هي الأصل، وإذا لم يقم الأصل، لم تقم الفروع، ومن ثم كان البدء ضرورة عند محاولة القيام بإقامة المصطلح، إقامة المصطلح الأصل: مصطلح الوحي الإلهي، مصطلح كلام الله ﷻ ، مصطلح كلام رب السماوات ورب الأرض رب العالمين،... مصطلح القرآن والسنة البيان؛ ففيهما خلاصة حق مصطلح « الخلق » من رب الخلق، وفيهما خلاصة حق مصطلح « الأمر » من رب الأمر: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

---

(١) المفردات/قوم.

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ومدار الإقامة في القرآن على جعل الشيء قائمًا على أحسن وجه، وأكثر إسنادها فيه إلى الصلاة: ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء: ١٠٣]؛ لأنها عمود الأمر؛ إذا قامت قام، وإذا انهدمت انهدم. عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ أن رسول اللّٰه. ﷺ قال له: « ... **أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟** » قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللّٰهِ قَالَ: « **رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ...** »[1].

ولأنها أساس الصلة بين العبد ورب العبد: إذا اتصلت إقامتها اتصل التيار، وإذا انقطعت انقطع التيار.

ومما أسندت إليه فيه:

- « **الدين** » وما يمثله من كتب؛ كالتوراة والإنجيل وما أنزل... ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة: ٦٦]؛ لأن جميع فوائد الشرع ومقاصد الشرع منوطة بإقامة الشرع. فإن كانت كانت، وإن انعدمت انعدمت.

- و « **الشهادة** » و « **الوزن** » ليقوم الناس بالقسط... إذ كل اختلال في الميزان يزلزل الأكوان بله الإنسان: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩]، ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾ [الطلاق: ٢].

وبناء عليه فإقامة المصطلح الأصل تستلزم فيما تستلزم:

- إقامة لفظه.
- وإقامة مفهومه.
- وإقامة العمل به.
- وإقامة بيانه.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢/٢) إقامة لفظ المصطلح الأصل:

وهي تعني أن يكون لفظه هو المستعمل في التواصل بين الناس بيانًا وتبينًا: به يعبرون، وإياه يتدبرون، لم يهملوه في معجمهم الحي، ولم يعرضوه بشيء ولَّدوه أو استوردوه؛ لأنه المختار للناس كل الناس، من رب الناس ملك الناس إله الناس، هو المختار للتسمية والدلالة، وهو المختار الأنسب للمسمى والمدلول، اختاره اللَّه ﷻ على علم بالألفاظ والمعاني، والألسن والأجناس والأعصر؛ فمن هجره فقد هجر كتاب اللَّه، ومن اختار غيره فقد اختار غير ما اختار اللَّه، ولن تصح إقامة للدين بغير إقامة ألفاظه إرسالًا واستقبالًا، قولًا وسماعًا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ [الجمعة: ٢]، ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].

ولقد خلت على الأمة قرون أهملت فيها بعض ألفاظ ربها، أو استحدثت أو استوردت بدلًا منها، وكل ذلك صرف للأمة عن الصراط المستقيم، وصد لها عن سواء السبيل.

(٣/٢) إقامة مفهوم المصطلح الأصل:

وهي تعني أن يفهم من لفظه ما فَهِمه أو فُهِّمه من أنزل عليه ﷺ أول مرة دون تغيير أو تبديل، بدلالة زمن التنزل للألفاظ، ودلالة سياق الاستعمال للألفاظ، ودلالة الصفات والأشكال والأحوال التي وردت عليها الألفاظ، والعلاقات والقضايا التي ارتبطت بها الألفاظ. فلا يفهم اللفظ بدلالة ما بعد زمن التنزل، ولا بدلالة سياق غير سياق الاستعمال القرآني للألفاظ، ولا بدلالة صفات أو أشكال وأحوال لم يرد عليها اللفظ في القرآن، أو علاقات أو قضايا لم يرتبط بها اللفظ في القرآن، فلكم ضُيِّقت مفاهيم قرآنية بعد أن كانت ما أوسعها! ولكم وُسِّعت مفاهيم بعد أن كانت ما أضيقها! ولكم غُيرت مواقع وأنساق، ولكم شوهت قضايا وبدلت علاقات عبر العصور ولن يصلح آخر هذا الفهم إلا بما صلح به أوله: استفادة المفهوم من مجموع صور استعمال اللفظ مفهومًا بدلالة زمن التنزل وإلا فهو التشوه والتشويه المستمر.

(٤/٢) إقامة العمل بالمصطلح الأصل:

وهي تعني التخلق بما يقتضيه مفهومه في الظاهر والباطن معًا، في الجنان واللسان والجوارح، في الفرد والجماعة والأمة؛ ذلك بأن الدليل على حاقِّ التحقق هو التخلق.

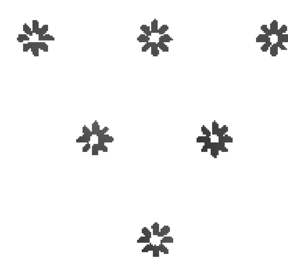
وما لم يتمثل المفهوم في واقع يمثله فلن تظهر الثمار، وكل ادعاء للفهم دون شاهد من العمل فإنما هو محض افتراء. ولو أحسنوا الفهم لأحسنوا العمل، ولو أحسنوا العمل لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وبإقامة العمل بالمصطلح الأصل تقوم الحجة، وتمثل القدوة، ويظهر للعيان فضل ما جاء به القرآن. وما منع الناس أن يؤمنوا في هذا الزمان، إلا أن أمة القرآن لا تقيم العمل بمصطلح القرآن.

(٢/٥) إقامة بيان المصطلح الأصل:

وهي تعني أداءه كما حُمِل، بعد حَمْله كما أُنْزِل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؛ وذلك يتأكد خاصة في هذه الأمة الخاتمة؛ لانقطاع النبوة بعد محمد ﷺ في الناس، واستمرار التكليف في متبعيه إلى قيام الساعة، بالشهادة على الناس: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ولا إقامة للبيان دون إقامة لما سبق من التبين، لفظًا ومفهومًا وعملًا. ولا شهادة على الناس دون شهادة على النفس لتحقيق الأهلية للشهادة على الناس.



٣
تقويم المصطلح الفرع وما يقتضيه

(١/٣) مفهوم تقويم المصطلح الفرع:

(١/١/٣) التقويم في المعاجم مداره على معنيين:

- **معنى تحديد القيمة:** يقال: « قوَّمت المتاع: جعلت له قيمة معلومة » (١)، « والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، وفي الحديث: قالوا: يا رسول اللَّه، لو قوَّمت لنا... أي لو سعّرت لنا، أي حددت لنا قيمتها » (٢).

- **ومعنى جعل الشيء مستقيمًا:** يقال: « قوَّمت الشيء، فهو قويم، أي مستقيم » (٣)، « وقوَّمته تقويمًا فتقوَّم، بمعنى عدَّلته فتعدَّل » (٤).

(٢/١/٣) والمصطلح الفرع هو « مصطلح العلوم والفنون والصناعات » (٥) في تاريخنا:

المصطلح الذي يمثل خلاصة تفاعل الأمة « مع التاريخ وفي التاريخ، المصطلح الذي يمثل كسبها وإسهامها الحضاري في مختلف المجالات » (٦). المصطلح الذي يلخص عطاء الأمة وثمرة جهدها عبر العصور في كل أصناف العلوم، بمختلف تخصصاتها: صنف العلوم الشرعية، وصنف العلوم الإنسانية، وصنف العلوم المادية، المصطلح الذي تفرع على المصطلح الأصل، متولدًا من إقامة المصطلح الأصل:

- إما مستنبطًا من المصطلح الأصل.
- أو خادمًا للمصطلح الأصل.
- أو دائرًا في فلك المصطلح الأصل.

(٣/١/٣) وتقويم المصطلح الفرع، بناءً على ذلك، هو تحديد قيمته:

- **بالنسبة لذاته؛** أي مدى كفاية جهازه المصطلحي في تمثيل البنية، والأنساق،

---

(١) المصباح/قوم. (٢، ٣) اللسان/قوم.

(٤) المصباح/قوم.

(٥، ٦) نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية (ص ٢١).

والتصور، والتطور الذي عرفته مفاهيم كل تخصص، في كل صنف من أصناف العلوم.

– **وبالنسبة لأصله**؛ أي مدى ملاءمة مصطلحاته ومفاهيمه للأصل الذي تفرعت عليه، في كل تخصص، بكل صنف من أصناف العلوم؛ مستنبطة كانت أم خادمة، أم دائرة في الفلك.

– **وبالنسبة لحاجة الأمة إليه**؛ أي مدى استجابته وإجابته عن بعض حاجات الأمة الآنية أو المستقبلية: في التجديد لما حقه التجديد في صنف العلوم الشرعية، والأسلمة لما حقه الأسلمة في العلوم الإنسانية، والأنسنة لما حقه الأنسنة في العلوم المادية.

(٢/٣) ما يقتضيه تقويم لفظ المصطلح الفرع:

(١/٢/٣) إعداد النص:

ذلك بأن « التراث خزان الممتلكات، ومستودع جميع ما نملك من مصطلحات » [١]. فإذا غابت نصوص ما – وهي موجودة غير مفقودة – لسبب ما، غاب ما فيها من مصطلحات، أو ما يلقي الضوء على مصطلحات، وتعذر بسبب ذلك كل ما يتوقف على حضور ذلك؛ من درس صحيح، وفهم صحيح، وتقويم صحيح... **والنصوص الموجودة الآن نوعان:**

– **نص معد علميًا**؛ فهو موثق النسبة، محقق المتن، مكشف المحتوى... وقليل ما هو.

– **ونص غير معد**، وهو نوعان أيضًا:

١/١/٢/٣ – نوع منشور وكأنه لمّا ينشر، لما هو عليه من خلل في التوثيق، والتحقيق، والتكشيف، أو لما هي عليه الأمة من رداءة في الاتصال، والتواصل، والتوصيل.

٢/١/٢/٣ – ونوع مخطوط، وحالته من كل الوجوه هي الأدهى والأمرُّ. وإخراجه من الظلمات إلى النور – إنقاذًا له، وتعجيلًا بالانتفاع به – على رأس المستعجلات من الأولويات.

ولإعداده إعدادًا شاملًا **تُقترح المنهجية التالية** [٢]:

١/٢/١/٢/٣ – الفهرسة الشاملة لمراكزه وما فيها من مخطوطات.

---

(١) نظرات في المصطلح والمنهج (ص ٥٦).

(٢) انظر: السابق (ص ٥٦ – ٥٩).

٣/٢/١/٢/٢ - التصوير لكل ما فهرس من مخطوطات.

٣/٢/١/٢/٣ - التخزين لكل ما صُوِّر.

٣/٢/١/٢/٤ - التصنيف لكل ما خُزِّن.

٣/٢/١/٢/٥ - التوثيق لكل ما صُنِّف.

٣/٢/١/٢/٦ - التحقيق لكل ما وُثِّق.

٣/٢/١/٢/٧ - التكشيف لكل ما حُقِّق.

٣/٢/١/٢/٨ - النشر، طباعة وتوزيعًا، لكل ما وُثِّق وحُقِّق وكُشِّف.

« بذلك يتم الإعداد العلمي الشامل للنص التراثي، ليبدأ، انطلاقًا منه، الإعداد العلمي الشامل للمصطلح التراثي » [١].

(٣/٢/٢) إحصاء مصطلحات النص المعد:

ويقتضي « إنجاز معجم مفهرس للمصطلحات في كل تخصص من تخصصات التراث ولا يكون ذلك إلا بفهرسة مصطلحات كل كتاب منشور من كتب التخصص أولًا، كما لا تكون تلك الفهرسة إلا من متخصصين فيه، وبالإحصاء والاستقراء التام » [٢].

(٣/٣) ما يقتضيه تقويم مفهوم المصطلح الفرع:

(٣/٣/١) « الدراسة الوصفية لمصطلحات كل علم، بأركانها وشروطها المفصلة في منهج الدراسة المصطلحية:

وهذه المرحلة طويلة شاقة، إلا على من يسرها اللّه تعالى عليه؛ لاقتضائها دراسة مصطلحات كل مؤلِّف على حدة، أو بعضها، وأحيانًا دراسة مصطلحات الكتاب الواحد، أو بعضها. وما أكثر المؤلفات والمؤلفين في كل تخصص! وما أقل الباحثين والباحثات في المصطلح! » [٣].

(٣/٣/٢) « الدراسة التاريخية لمصطلحات كل علم، بشروطها المشار إليها في منهج الدراسة المصطلحية:

---

(١) نظرات في المصطلح والمنهج (ص ٥٩). (٢) المصدر السابق (ص ٦١).

(٣) مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية (ص ٢٠).

وهذه المرحلة لا تكاد تقل مشقة عن سابقتها؛ لاقتضائها رصد التطور في كل مصطلح، منذ تطوره المحتمل لدى المؤلِّف الواحد في تراثه، حتى مجموع تراث التخصص على امتداده. وكل إخلال في المرحلة الوصفية ينتج عنه خلل في المرحلة التاريخية. والأصل استدراك المؤرخ على الواصف، ولكن أنَّى ذلك إلا لمن آتاه اللَّه تعالى علمًا وفهمًا وقليل ما هم! » [١].

(٤/٣) ما يقتضيه تقويم إعمال المصطلح الفرع:

من شروط الاستفادة من المصطلح العلمي في التراث « شرط إعماله وعدم إهماله: وهذه هذه؛ لأننا لو راكمنا ما راكمنا من الإنجازات في هذا المجال، وكدَّسنا ما كدَّسنا من المعاجم الغنية الشهية الميسرة النادرة المثال، ثم لم يصحب ذلك استعمال لتلك المصطلحات في واقع الحال، فإننا نكون كما قال اللَّه ﷻ: ﴿ كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ ﴾ [الرعد: ١٤] » [٢].

وقبل الاستعمال لا بد من تقويم الإعمال. **ومما يقتضيه تقويم الإعمال أمران:**

(١/٤/٣) الأمر الأول:

مقارنة المصطلح الفرع بالمصطلح الأصل: فإن كان مستنبطًا كمصطلح العلوم الشرعية، فما مدى صحة النسبة لفظًا ومفهومًا؟ هل لفظه هو اللفظ الذي حقه الإعمال أم لا؟ وهل مفهومه ابن شرعي لمفهوم المصطلح أم لا؟...

وإن كان خادمًا للمصطلح الأصل؛ كمصطلح بعض العلوم الإنسانية (علوم الآلة وما في معناها)، فما مدى صحة الخدمة؟ هل وظيفته هي الوظيفة التي حقها أن تكون؟ وهل كفايته في الخدمة تامة أم ناقصة؟

وإن كان دائرًا في فلك المصطلح الأصل، كمصطلح العلوم المادية، فما مدى هيمنة المصطلح الأصل عليه؟ وما مدى تأثره به وعدم خروجه عن مجاله؟

(٢/٤/٣) الأمر الثاني:

مقارنة المصطلح الفرع بالحاجة الحالية والمستقبلية للأمة، لتبيُّن مدى جدواه في مختلف

---

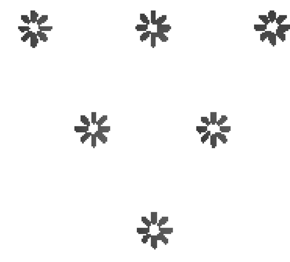
(١) مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية (ص ٢١).

(٢) نظرات في قضية المصطلح العلمي في التراث (ص ٤١).

المجالات: مجال التجديد لما حقه التجديد، ومجال الأسلمة لما حقه الأسلمة، ومجال الأنسنة لما حقه الأنسنة، ومجال الترجمة والتعريب لما حقه الترجمة والتعريب... وغير ذلك من الحاجات الكبرى للأمة.

(٥/٣) منهج تقويم المصطلح الفرع:

ذلكم - في حدود ما ما جُرِّب فَصَحّ - هو منهج الدراسة المصطلحية [١]؛ بأركانه الخمسة في الدرْس، وخطواته الست في العرْض، ومراحله المتكاملة في السير؛ من الوصفية حتى المقارِنة.



(١) ينظر: نظرات في المصطلح والمنهج (ص ٥٩).

٤
استقامة المصطلح الوافد

(١/٤) مفهوم المصطلح الوافد:

يراد بالمصطلح الوافد: كل ألفاظ العلوم التي انتقلت في العصر الحاضر إلينا من غير ثقافتنا. وبما أن الغرب في هذا العصر هو الأعلى، فقد غمر مصطلحه تلقائيًّا كل الأراضي المنخفضة عنه، فاكتسح مصطلحه مصطلح العلوم المادية كلها أو كاد، وغلب على مصطلح العلوم الإنسانية كلها أو كاد، ولم يكد يسلم من طوفانه، لانخفاضه وارتفاعها، إلا مصطلحات العلوم الشرعية.

(٢/٤) مفهوم الاستقامة في المصطلح الوافد:

مدار الاستقامة في اللغة على **الاستواء وعدم الاعوجاج:**

والمقصود بها ها هنا: انسجام المصطلح الوافد لفظًا ومفهومًا مع طبيعة ألفاظ ومفاهيم الثقافة التي يفد عليها؛ فتعرفه ولا تنكره، وتقبله ولا ترفضه، وينفعها ولا يضرها، ويقوي ذاتها ولا يحطمها، وتحتاج إليه ولا يكون لغوًا فيها.

وهو يوم يفد غالبًا، إن لم يكن دائمًا، لا يكون مستقيمًا. فيجب عند ثبوت الحاجة إليه، أن يخضع لعدة عمليات تمس لفظه ومفهومه معًا، قبل أن يصادق عليه للتداول. مثله في ذلك مثل الغذاء؛ يؤكل بعد الحاجة إليه، ثم يخضع لعمليات هضم في الفم والمعدة والأمعاء، قبل المصادقة على امتصاصه والاستفادة من المفيد منه، فالتخلص بوسائل التخلص من غير المفيد منه.

ولقد تأسست في أمتنا مؤسسات عديدة، على رأسها المجامع اللغوية، تصدت للعمليات اللازمة لاستقامة اللفظ، ولا سيما في العلوم المادية، فكانت حركة التعريب وتنسيق التعريب.

وقلما تأسست مؤسسات للتصدي للعمليات اللازمة لاستقامة المفهوم، ولا سيما في العلوم الإنسانية، على غرار المعهد العالمي للفكر الإسلامي الذي تُذْكَر بعض جهوده هنا فتشكر.

وظل الاستعمال، أثناء ذلك وبعد ذلك، لنتائج جهود تلك المؤسسات أكبر إشكال.

ومن ثم بناء على ذلك، فلا استقامة للمصطلح الوافد، ولا اطمئنان إليه وعليه، حتى يستقيم لفظه، ويستقيم مفهومه، ويستقيم استعماله.

(٣/٤) استقامة لفظ المصطلح الوافد:

وذلك؛ بجعل لفظه منسجمًا مع ألفاظ اللسان العربي:

- **إما بترجمته**؛ أي وضع مقابل عربي له بطريقة من طرق الوضع؛ كالبحث في التراث عن لفظ يساويه، أو يدانيه، أو يقبل أن تتطور دلالته إليه. فإن لم يكن، فاشتقاق صيغة مناسبة له من أصل لغوي مناسب، فإن لم يمكن، فنحت لفظ دال عليه حسب قواعد النحت، وهكذا...

- **وإما بتعريبه** بالمعنى الخاص للتعريب، أي إدخال لفظه الأعجمي في قالب عربي، قابل لأن ينحت منه ويشتق ما يحتاج إليه من صيغ، كالديمقراطية مثلًا؛ فهي قابلة لأن ينحت منها المصدر الرباعي (دَقْرَطَة) وهذا الصواب المهجور، خلافًا للخطأ المشهور (دَمَقْرَطَة) الخماسي. ومنه يشتق الباقي: دَقْرَطَ (الماضي) يُدَقْرِطُ (المضارع) فهو مُدَقْرِطٌ (اسم الفاعل) والشيء مُدَقْرَطٌ (اسم المفعول) وهكذا...

وإن المجامع اللغوية وأشباهها من لجن التعريب، لتسعى جاهدة بأن تحقق هذه الاستقامة للمصطلحات الوافدة، ولا سيما في العلوم المادية، ولكن أنى لها ذلك! وهي بالوضع الذي هي عليه، و « بالعناية المركزة » التي تحظى بها من أولي الأمر في غرفة الإنعاش! مما ينذر بوفاة طبية عاجلة، مقدمةً لوفاة حقيقية آجلة، إن لم يتداركها وأمثالها المتداركون.

(٤/٤) استقامة مفهوم المصطلح الوافد:

وذلك بجعل مفهومه، ولا سيما في العلوم الإنسانية، منسجمًا مع مفاهيم رؤية الأمة، وخصوصية الأمة، وثقافة الأمة:

- **إما « بترجمة مفهومه »**، إن صح التعبير، أي تفريغه من مضمونه غير المقبول وتعويضه بمضمون مقبول.

- **وإما بأسلمته**، بالمعنى الخاص للأسلمة، أي إدخال التعديلات اللازمة عليه بالتنقيح

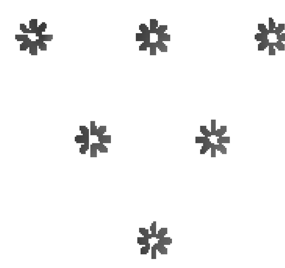
والتصحيح حتى يصير مقبولًا مستساغًا، لا يتنافر مع الرؤية، ولا يتنافى مع الخصوصية الثقافية للأمة.

ومن المؤسسات التي رفعت شعار « الأسلمة » بالمعنى العام والخاص: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ولا سيما في عهد مؤسسه: الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي شهيد الفكر الإسلامي رحمه اللّٰه تعالى.

(٤/٥) استقامة استعمال المصطلح الوافد:

وذلك باعتماده رسميًا، بعد استقامة لفظه ومفهومه، في مختلف مجالات الحياة، ولا سيما:

- **في الإعلام**؛ فهو الأكثر انتشارًا، والأسرع استقرارًا.
- **وفي التعليم**؛ فهو الأكثر تمكينًا، والأقوى تأمينًا.
- **وفي الإدارة**؛ فهي الأهم في التطبيق اليومي، والتواصل الشعبي الرسمي.



٥

خاتمة في ضرورة الجيل الراسخ الناسخ، لكشف الغمة عن الأمة

١ - جيل رسخ فنسخ، واستقام فأقام، وعدل فأُشْهِد.

٢ - جيل استوعب ما كان وما هو كائن بعلم، ثم حلّل وعلّل وركّب من كل ذلك، بناء على كل ذلك، ما ينبغي أن يكون بحكمة ورُشْد.

٣ - جيل رسخت أقدامه في العلمية أساسًا في البحث، والمنهجية أساسًا في المراحل، والتكاملية أساسًا في السير، فأقام المضطلح الأصل كما ينبغي، وقوّم المصطلح الفرع كما ينبغي، وحرَص على الاستقامة في المصطلح الوافد كما ينبغي.

وأخيرًا:

وامصطلحاه!!

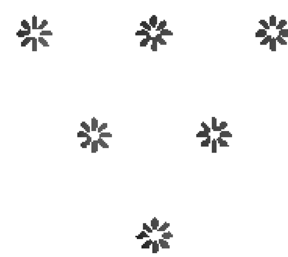
فهل سَيَسْمع المعتصم النداء؟

وهل سَيُسَارع أهل الحل والعقد لكشف البلاء؟

وهل سيتعاون أحياء الأمة على كشف الغمة؟

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلًا.

والحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات



المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد.

٣ - لسان العرب لابن منظور.

٤ - المصباح المنير للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

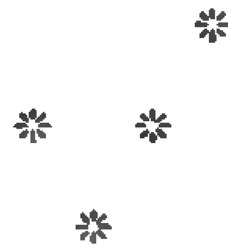
٥ - المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. تحقيق: محمد سيد كيلاني. طبعة (١٩٦١م).

٦ - نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية للشاهد البوشيخي (٢٠٠٢م) - فاس.

٧ - نظرات في المصطلح والمنهج للشاهد البوشيخي. الطبعة الثالثة، يونيو (٢٠٠٤م) - فاس.

٨ - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية للشاهد البوشيخي. الطبعة الثالثة، مايو (٢٠٠٤م) - فاس.

٩ - نظرات في قضية المصطلح العلمي في التراث للشاهد البوشيخي. الطبعة الأولى (٢٠٠٦م) - فاس.



نظرات في تعريب العلوم الصحية
وأهمية المصطلح الصحي في التراث

هذا البحث

أُعد للمؤتمر السادس لشبكة تعريب

العلوم الصحية الذي أقيم

بمجمع اللغة العربية

بدمشق

أيام: ٨ - ٩ - ١٠ يونيو ٢٠٠٨م.

عناصر البحث

مدار هذه النظرات على خمس نقاط هي:

أولًا: في التعريب ومتطلباته.

ثـانيًا: في موجبات الاهتمام بالمصطلح العلمي في التراث.

ثـالثًا: في شروط الاستفادة من المصطلح الصحي في التراث.

رابـعًا: في التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية.

خامسًا: في الخلاصة: ممهدات ومتطلبات ومقترحات.

أولًا:

في التعريب ومتطلباته

١ - **التعريب بالنسبة لأمتنا اليوم شرط وجود**، بدونه لا يكون لنا وجود، وبوجوده قد يكون لنا وجود، وقد لا يكون لنا وجود.

٢ - **التعريب بالنسبة لأمتنا اليوم فريضة شرعية، وضرورة حضارية، وحتمية تاريخية**، لا تحصيل للأمة لرضا اللَّه - جل وعلا - بدونه، ولا دخول لها إلى التاريخ من غير بابه، ولا مفر لها - ولو ازورّت ما ازورت من اقتحام عقبته - من حلول قدره: أينما يكن العرب يدركهم يومًا التعريب، ولو كانوا في نوم عميق أو شك مريب.

٣ - **التعريب مفهوم شامل** أهونه هذا اللغوي الذي جاوز الخوض فيه بغير حسم مدة تيه بني إسرائيل! ولو أرادوا الحسم لأعدوا له عدة، ولكنه هزل المسؤولين ونوم السائلين.

٤ - **التعريب مرحلة تمهيدية،** كان ينبغي أن يُفْرَغ منها من زمان، ليُنتقَل منها إلى التحدي الحضاري، فالشهود الحضاري، فالشهادة على الناس التي هي حاقّ موقع الأمة، والأفق المنتهَى لكل واقع في الأمة.

٥ - **التعريب حاجةً**، مداره على أمرين:

- ترجمة ما حقه الترجمة من معارف أولًا.
- وإيجاد المقابل العربي للمصطلحات الأجنبية ثانيًا.

وهما متكاملان، يستفيد بعضهما من بعض، ولا يتوقف وجود بعضهما على بعض.

٦ - **التعريب إنجازًا**، في التعليم العالي وغير العالي، مداره على محورين:

أولًا: **الأستاذ**: ولا بد من إعداده الشامل نفسيًّا، ولغويًّا، وعلميًّا حتى نصل إلى استعداده.

ومن ذلك الإعداد ما يسبق وما يلحق. وفي الجاهز منه ما يكفي للانطلاق.

وفي التكوين الموازي والإنجاز التدريجي ما يسد الحاجة فيما هو باقٍ.

ومن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزلة. وللمدلج الساري صفاء المناهل.

ثانيًا: الكتاب: ولا بد من إيجاده مؤلَّفًا أو مترجمًا، وفق شروط الجودة بلغة أهل الاقتصاد، منشورًا معمَّمًا.

٧ - **التعريب تنزيلًا** مداره على ثلاثة أمور:

أ - **عزم أهل الحل والعقد في الأمة** حكامًا مقررين كانوا، أم ناصرين للقضية مبادرين ضاغطين. وما ضاع حق وراءه طالب. ومن طلب الحسناء لم يغله المهر.

ب - **السرعة في تلبية الحاجة من جهات الإنتاج والتنسيق والنشر والتعميم**. ولم تكد وسائل الاتصال والتواصل الحديثة تترك عذرًا لمعتذر.

فهل نطمع في تعميم الموجود بأسرع ما يمكن؟ والإعداد للمنتظر المفقود بأسرع ما يمكن؟

ج - **منهجية صارمة حازمة في المتابعة للقرارات والتوصيات، والتقويم المستمر للإنجازات تبعًا للمخططات**، بإنشاء جهاز للحسبة بلغة الفقهاء في قضية التعريب، يحفظها من شر شهوات التخريب، وكيد شبهات التغريب، لتستوي بسلام على جودي الواقع في وقت قريب.

* * *
*
*

ثانيًا:
في موجبات الاهتمام
بالمصطلح العلمي في التراث

١ - الموجب اللغوي:

ذلك بأن « لكل صناعة ألفاظ »[١] و « لكل قوم ألفاظ »[٢] كما قال أبو عثمان الجاحظ. وما أكثر صناعات العلوم في تراثنا، وما أكثر ألفاظها! وما أكثر الأقوام المتخصصين في تراثنا وما أكثر ألفاظهم! وتلك الألفاظ هي عمدة الألفاظ، وزبدة الألفاظ، وأشرف الألفاظ؛ لأنها لا تسمي المعاني العادية العامة التي هي في متناول الجميع ويستعملها الجميع، وإنما تسمي مفاهيم العلوم والصناعات، ولا يستعملها عادة إلا الخاصة المتخصصون في العلوم والصناعات. وذلك شأن المصطلحات في كل زمان ومكان.

وعليه، فإن تكن هناك ألفاظ في تراث أي أمة يجب أن تدرس قبل سواها، ويهتم بها قبل سواها، وتحظى بالعناية الخاصة من الخاصة قبل سواها، فإنما هي المصطلحات؛ لأنها خلاصة ذخيرة الأمة، وقاعدتها التي منها تنطلق إلى الآفاق.

وغني عن البيان أن يقال: إن من أوجب الواجبات وأولى الأولويات على كل أمة، أن تدرس ألفاظ لغتها العامة والخاصة.

وغني عن البيان أن يقال: إن درجة هذا الوجوب تزداد ارتفاعًا إذا كانت هذه اللغة مختارة من بين جميع اللغات، لبيان وحمل وحي الله ﷻ الخاتم لجميع الرسالات.

٢ - الموجب العلمي:

المصطلحات « مفاتيح العلوم »، والمصطلحات خلاصات العلوم؛ في وجودها يتجلّى وجود العلوم، وفي تطورها يتلخص تطور العلوم؛ ولذلك لا بد من فهم المصطلحات لفهم العلوم، ولا بد من ضبط تاريخ المصطلحات لضبط تاريخ العلوم.

---

(١) الحيوان للجاحظ تحقيق: عبد السلام محمد هارون (٣/٣٦٨).

(٢) نفسه (ص ٣٦٦).

والعلوم في تراثنا، بحكم ما آل إليه واقعنا، أحوج ما تكون إلى الفهم الصحيح، من أجل التاريخ الصحيح، فالتقويم الصحيح، فالبناء الصحيح.

ولا سبيل إلى ذلك بغير الحسم في قضية المصطلح العلمي في التراث؛ لا سبيل إلى ذلك بغير فك ألغاز مصطلحات التراث، في مختلف التخصصات، لتفهم النصوص التي هي المادة الخام لكل علوم التراث، ليستنبط منها ما يستنبط، ويقوم فيها ما يقوم، ويبنى عليها وبها ما يبنى.

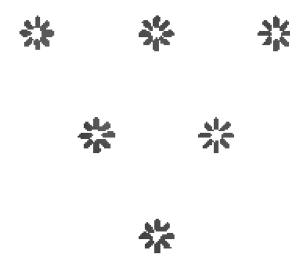
٣ - الموجب الحضاري:

وهو موجب أشمل من كل ما سبقه، وأهم من كل ما سبقه؛ ذلك بأن « التحدي الحضاري الحالي للأمة، يهددها تهديدًا حقيقيًّا بالفناء، وأن التصدي الحضاري المكافئ له لن يكون بغير إعادة بناء الذات، ولا سبيل إلى إعادة بناء الذات بغير الانطلاق من التراث، ولا سبيل إلى التراث بغير مفتاحه الذي هو المصطلحات » [(١)].

ومن ثم فإنه ما لم يُهتَم بقضية المصطلح العلمي في التراث، وتُوَفَّ حقها بما ينبغي لها في مختلف أصناف العلوم والتخصصات، لمواجهة جميع أشكال الإشكال - فإنه قطعًا ستحدث قطيعة، وسيكون الشرخ الحضاري هائلًا، وسيعظم جُرم الأجداد في عين الأحفاد، يوم يُراجِع ويَسترجع الأحفاد ما فرّط فيه الأجداد.

ولا بد لليل أن ينجلي، ولا بد للصبح أن ينبلج.

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].



(١) مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، سلسلة دراسات مصطلحية، أ. د. الشاهد البوشيخي (ط ١) (٢٠٠٢م) (ص ١٢) مطبعة آنفو - برانت، فاس.

ثالثًا:
في شروط الاستفادة
من المصطلح الصحي في التراث

١ - شرط العلم بوجوده:

لا جرم أن أول الشروط هو شرط العلم، فكل ما لا يعلم لا يمكن الاستفادة منه، وذلك يقتضي أول ما يقتضي الإعداد الشامل للنص، والتكشيف الشامل للمصطلح؛ إذ لا بد من نص علمي قد ورد فيه المصطلح أو نصوص، ولا بد من كشّاف كَشَفَ عدد وروده في تلك النصوص.

٢ - شرط الفهم للمراد منه:

وذلك يقتضي دراسته وفق منهج الدراسة المصطلحية [1] لتبيين المراد منه بدقة. ودون ذلك ما دونه.

٣ - شرط إعماله وعدم إهماله:

وهذه هذه؛ لأننا لو راكمنا ما راكمنا من الإنجازات في هذا المجال، وكدَّسنا ما كدسنا من المعاجم الغنية الشهية الميسرة النادرة المثال، ثم لم يصحب ذلك استعمال لتلك المصطلحات في واقع الحال، فإننا نكون كما قال الله ﷻ: ﴿ كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ ﴾ [الرعد: ١٤].

إن تدخل الجهات الرسمية واجب، ولا سيما وزارات التعليم والإعلام والشؤون الإدارية.

وإن تدخل الجهات الشعبية واجب، ولا سيما ما يسمى بمؤسسات المجتمع المدني؛ من هيئات ومنظمات وجمعيات... للضغط على الجهات الرسمية من جهة، ولتعميم استعمال ما يمكن تعميمه عبر مؤسساتها من جهة ثانية.

* *

---

(١) انظر الملحق رقم (٣).

رابعًا:
في التصور الحضاري
الشامل للمسألة المصطلحية

١ - **فهي مفهومًا:** « المسألة التي تبحث مصطلح الماضي، بهدف الفهم الصحيح، فالتقويم الصحيح، فالتوظيف الصحيح. وتدرس مصطلح الحاضر بهدف الاستيعاب العميق، فالتواصل الدقيق، فالتوحد على أقوم طريق. وتستشرف آفاق مصطلح المستقبل، بهدف الإبداع العلمي الرصين، والاستقلال المفهومي المكين، والتفوق الحضاري المبين » (١).

ومن هذا يستفاد سعة المفهوم، حتى لا يخرج منه أي اهتمام من اهتمامات المصطلح، أو همٍّ من همومه؛ سواء تعلق بأصل الذات، أو بالنابت من الذات، أو بالوافد على الذات.

٢ - **وهي إشكالاتٍ:** لا تعالج قضية التعريب فقط أي « جعل ما تَغرَّب لفظًا، مُعرَّبًا » بل « تمس الأبعاد والجوانب كلها في الأمة » (٢)؛ إذ « الإشكال المصطلحي في الأمة عميق وخطير ودقيق؛ لأنه يتعلق ماضيًا بفهم الذات، وحاضرًا بخطاب الذات، ومستقبلًا ببناء الذات » (٣).

٣ - **وهي مجالاتٍ:** تستوعب كل المجالات، وبالترتيب المخالف للمألوف!: **مجال الشرع وعلومه، ثم مجال الإنسان وعلومه، ثم مجال المادة وعلومها.**

- **فأما مجال الشرع وعلومه،** فهو رأس الأمر وعموده وذروة سنامه، ومصطلحه المصطلح الشريف، وأشرفه مصطلح القرآن، ثم مصطلح السنة البيان، ثم مصطلح العلوم المستنبطة منهما والخادمة لهما. وعلى قدر حاجة الأمة إلى تجديد التديُّن، تكون حاجة المصطلح في هذا المجال إلى تجديد الفهم والتبيُّن.

- **وأما مجال الإنسان وعلومه،** فحاجة المصطلح فيه إلى الجمارك الحضارية شديدة، لغلبة المصطلح الوافد على مساحات كبيرة منه؛ ذلك بأن البحث في هذا المجال « قائم

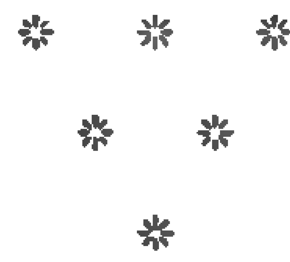
---

(١) نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، أ. د. الشاهد البوشيخي (ص ٨).

(٢، ٣) مجلة دراسات مصطلحية (ع ١) (ص ٧).

الآن برؤية الآخر ومنهاج الآخر؛ قائم على الانطلاق من مفهوم مادي للإنسان، ورسالة مادية للإنسان، وعلاقات ونشاط مادي للإنسان، ومن ثم لا يمكن أن يُدرس إلا بمنهج مادي، ولا يُتصور له إلا تاريخ ومستقبل مادي.

– **وأما مجال المادة وعلومها** فهو مجال السيادة للمصطلح الوافد؛ ويقصد به المجال الذي اتخذ المادة موضوعًا له « كانت صلبة أو سائلة أو غازية، كعلوم الفيزياء والكيمياء، وعلوم طبقات الأرض وأجواز الفضاء، وعلوم الهندسة والصيدلة وغير ذلك »[1].



(١) ورقات في المسألة العلمية (مجلة الهدى) (ع ٣٣) (ص ٣٥).

خامسًا:

في الخلاصة:

ممهدات ومتطلبات ومقترحات

١ - خلاصة الممهدات:

(١/١) **لا فائدة في الاستدلال من جديد لشرعية التدريس بالعربية**؛ ففي نصوص الوحي الرباني، والدساتير العربية، والقوانين المنظمة، والقرارات الصادرة، ما يكفي لمن يريد الانطلاق.

(٢/١) **ولا فائدة في الحديث من جديد عن فوائد التدريس بالعربية**؛ فقد بيّن الصبح، من زمان، لذي عينين.

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى الدليل

(٣/١) **ولا فائدة في استصدار مزيد من القرارات والتوصيات**؛ فقد أُتخمت الأمة في هذا المجال بالقرارات والتوصيات. ولله در القائل:

يمينًا لأُبْغِضُ كل امرئ يزخرف قولًا ولا يفعل

أو كما قال.

(٤/١) **ولا فائدة في مزيد من الانتظارات لتنزُّل ما يسمى بالقرار السياسي، على أهميته**، فلدى الشعوب إن صح عزمها ما يكفي للتنزيل أو للتصعيد.

(٥/١) **الفائدة كل الفائدة في الإرادة الصادقة**: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ [التوبة: ٤٦].

فإن كانت الإرادة من السلطة فقد اختصر الطريق « **وإن الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن** ». **وفي الفَتْنمة** (١) والعَبْرَنَة (٢) وأمثالهما الخبر اليقين.

وإن كانت الإرادة من الشعوب ففي المؤسسات المدنية، وإن طال الطريق، ما يكفي

---

(١) تصيير اللغة الفيتنامية لغة لتدريس جميع العلوم بفيتنام.

(٢) تصيير اللغة العبرية لغة لتدريس جميع العلوم بإسرائيل.

مع الصبر، للوصول. وإن النصر مع الصبر. وأفضل العبادة الصبر (بمفهومه الشرعي) وانتظار الفرج: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

٢ – **خلاصة المتطلبات:**

(١/٢) في التخطيط:

تَحْيين خطة سنة (١٩٩٠م) التي أقرها المؤتمر الإقليمي لتعريب التعليم الطبي في البلدان العربية بالقاهرة بتاريخ (١٧ – ١٩٩٠/٦/٢٠) [١].

تحيينها تحيينًا يهتم **بعناصرها الأربعة التالية:**

(١/١/٢) **استعراض الحالة الراهنة:** (الواقع التعليمي / قرارات التعريب / الوسائل التعليمية المتاحة / المؤسسات التي يمكن أن تسهم في مسيرة التعريب).

(٢/١/٢) **متطلبات عملية التعريب بالتفصيل:** (تهيئة المدرس / توفير المصطلح الطبي الموحد / توفير الكتب العربية المنهجية والمرجعية / إعداد الوسائل التعليمية / توفير الدوريات العلمية باللغة العربية / وضع مناهج خاصة لتعليم اللغة الإنجليزية أو الفرنسية للطلاب).

(٣/١/٢) **الخطة التنفيذية لتطبيق التعريب الكامل:** (الجوانب العامة / جوانب تخص كليات الطب / عوامل مساعدة ضرورية).

(٤/١/٢) **المنهج الزمني لتطبيق الخطة التنفيذية** (مراحل التعريب).

ويضاف إليها عنصر خامس ضروري لصحة السير هو:

(٥/١/٢) **هيئة المتابعة والتقويم.** ومن أهم ما يُرشَّحُ لهذا العنصر الخامس « شبكة تعريب العلوم الصحية »، بعد هيكلتها هيكلة إقليمية وقطرية وجامعية [٢].

(٢/٢) في التنفيذ:

تنزيل تجربة الهيئة العليا للتعريب بالسودان قطريًا، ولا سيما في الدول التي لم يبدأ فيها تعريب العلوم الصحية بعد، **وذلك بإنشاء:**

---

(١) انظر الملحق رقم (١).

(٢) انظر الملحق رقم (٢).

– **هيئة عليا للتعريب بكل قطر**؛ تضع السياسة العامة، ومنهج التطبيق.

– **لجن جامعية للتعريب**؛ تسهر على التنفيذ الجيد، والتنزيل المناسب بالكليات والأقسام، في كل ما يتصل بالمجال (الأستاذ / الطالب / الترجمة والتأليف / المصطلح والمعاجم / الكتب المقررة والمراجع).

(٣/٢) في المتابعة والتقويم:

تفعيل « شبكة تعريب العلوم الصحية » بعد هيكلتها إقليميًّا وقطريًّا وجامعيًّا.

وذلك بـ:

(١/٣/٢) **إقامة مؤتمر عام** للشبكة كل ثلاث سنين.

(٢/٣/٢) **إقامة مؤتمر إقليمي** سنوي لكل مسؤولي الفروع بالأقطار العربية.

(٣/٣/٢) **إقامة مؤتمر قطري** سنوي لكل مسؤولي اللجن بالجامعات، يسبق المؤتمر الإقليمي ويمهد له.

(٤/٢) في عناصر العملية التعلُّمية ووسائلها:

(١/٤/٢) **إعداد الأستاذ** كما ينبغي (التمكن من اللغة العربية / التمكن من اللغة الأجنبية / التمكن من التخصص / التأهيل التربوي).

(٢/٤/٢) **إعداد الطالب** كما ينبغي (تقوية لغته الأجنبية قبل الجامعة وأثناءها).

(٣/٤/٢) **إعداد الكتب** والمراجع اللازمة (ترجمة / تأليف...).

(٤/٤/٢) **إعداد الوسائل المساعدة** (مكتبة متخصصة / مجلات متخصصة / ندوات / دورات تدريبية...).

(٥/٢) في مواجهة المحيط:

تفعيل المؤسسات والجمعيات العلمية القائمة وتأسيس ما لم يوجد منها إقليميًّا وقطريًّا وجامعيًّا. **وذلك بـ:**

(١/٥/٢) **إنشاء الجمعيات العلمية** لكل التخصصات جامعيًّا وقطريًّا وإقليميًّا.

(٢/٥/٢) **إنشاء المراكز وفرق البحث المتخصصة** من الأساتذة المبرزين، والباحثين المتميزين، وطلاب الدراسات العليا النابهين، في كل قطر.

(٣/٥/٢) **تنسيق الأنشطة المختلفة** لكل ما تقدم من المؤسسات مع الشبكة (شبكة تعريب العلوم الصحية) وفروعها ولجنها...

٣ - خلاصة المقترحات:

(١/٣) التنويه بالدول المعرِّبة (بكسر الراء المشددة)؛ كسوريا، وتثبيتها وعونها حتى تبلغ أعلى درجات الجودة والقوة.

(٢/٣) الأخذ بيد الدول المستعدة للإتمام كالسودان، أو الشروع في تعريب التدريس حتى تلتحق بسابقتها جودة وقوة.

(٣/٣) تكثير مؤسسات المجتمع المدني الراغبة في التعريب في الدول الراغبة عن التعريب.

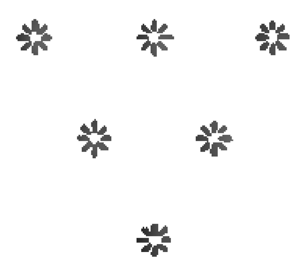
(٤/٣) دفع القطاع الخاص لأخذ زمام المبادرة بجدارة.

(٥/٣) تطبيق قاعدة « الاستفادة من الممكن إلى أقصى حد ممكن » في التنزيل العملي للتعريب.

(٦/٣) توزيع الإنجاز في المتطلبات على الجهات المناسبة؛ فمن بَرَّز في الترجمة يُخصَّص للترجمة، ومن برَّز في المصطلح يخصص للمصطلح، ومن برَّز في التأطير والتدريب يخصص للتأطير والتدريب، وهكذا...

(٧/٣) التنسيق بين مختلف الفاعلين في المجال، عن طريق الهيئة الإقليمية للمتابعة (التي تضم مسؤولي المؤسسات المعنية بالتعريب والتي هي نفسها الهيئة العليا للشبكة..).

والحمد للّٰه الذي بنعمته تتم الصالحات



ملاحق

الملحق (١)
الخطة التنفيذية لتعريب التعليم الصحي والطبي
المؤتمر الإقليمي لتعريب التعليم الطبي
في البلدان العربية

القاهرة، جمهورية مصر العربية (١٧ - ١٩٩٠/٦/٢٠م)

عقدت منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، مؤتمرًا إقليميًا لتعريب التعليم الطبي في البلدان العربية، في القاهرة، من (١٧ إلى ٢٠ حزيران / يونيو ١٩٩٠م) وقد حضر المؤتمر ستة وثلاثون من السادة عمداء وأساتذة العلوم الصحية والطبية في العالم العربي ومن ممثلي المؤسسات والهيئات العربية المعنية باستعمال اللغة العربية في التعليم الصحي والطبي.

وكان هذا المؤتمر خطوة واسعة على طريق تعريب الطب في الوطن العربي. ولقد اتسم بملامح عملية واقعية لم يسبق أن تميز بها ملتقى مماثل من قبل.

الخطة التنفيذية لتعريب التعليم الصحي والطبي (١٩٩٠م)
(في السنوات العشرة القادمة)
الاستراتيجية

أولًا: استعراض الحالة الراهنة:

١ - الواقع التعليمي:

(١/١) لغة التعليم المستخدمة حاليًا في الكليات المختلفة:

- اللغة العربية (سورية - ليبيا - السودان).
- اللغة الفرنسية (المغرب - الجزائر - تونس - لبنان).
- اللغة الإيطالية (الصومال).
- اللغة الإنكليزية (في بقية الكليات في البلدان العربية).

(٢/١) تعليم بعض المقررات باللغة العربية في الكليات غير المعربة كليًا:

- مقررات السنوات السريرة (الإكلينيكية) في كلية طب عدن.

- مقرر الطب الشرعي، والصحة النفسية، والدراسات العليا في كلية الأزهر.

- مقرر الطب الشرعي (العدلي) في الكليات العراقية.

(٣/١) استعداد المدرسين وكفاءاتهم في التعليم باللغة العربية:

- يتوافر الاستعداد لدى غالبية أعضاء هيئة التدريس.

- هناك عدد من أعضاء هيئة التدريس قد مارسوا التعليم باللغة العربية بكفاءة علمًا بأنهم تعلموا وتدربوا في جامعات أجنبية.

(٤/١) وجود مدرسين متمكنين من التعليم، والكتابة والمحاضرات، والترجمة والتأليف:

- هناك عدد لا بأس به في الكليات المختلفة (العراق - مصر - تونس - الأردن سورية - اليمن).

(٥/١) دراسة إمكانيات الكليات المختلفة في التعريب والفترة الزمنية اللازمة.

- وضع خاص لبعض الكليات (جوبا - مقديشو).

- لا تبدو صعوبات كبيرة في وجه التعريب في معظم الكليات.

- توجد في غالبية الكليات مراجع ووثائق مؤلفة أو مترجمة باللغة العربية.

٢ - قرارات التعريب:

٣ - الوسائل التعليمية المتاحة:

- قامت وحدة التعليم والتعلم بالمكتب الإقليمي للمنظمة بإرسال استبيان لجميع كليات الطب في البلدان العربية للتعرف على الكتب المتوافرة.

- أعد قسم تنمية الموارد البشرية الصحية (وحدة التعليم والتعلم) قائمة من الكتب المرجعية والمنهجية (٧٣ كتابًا) التي تدرس في كليات الطب في الجمهورية العربية السورية، وعممت على جميع كليات الطب. كما زودت جميع الكليات بمجموعة من هذه الكتب.

- يوجد كثير من الكتب المرجعية الطبية في معظم الكليات ومكتباتها.

٤ – المؤسسات التي يمكن أن تساهم في مسيرة التعريب:

(٤/١) مجلس وزراء الصحة العرب:

– المكتب التنفيذي للمجلس.

– المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية، الكويت.

– المجلس العربي للاختصاصات الطبية، دمشق.

(٤/٢) منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط، الإسكندرية.

(٤/٣) جامعة الدول العربية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

(٤/٤) السلطات المعنية بالتربية والتعليم في الوطن العربي (كوزارات التربية والتعليم واتحاد الجامعات العربية).

(٤/٥) اتحاد الأطباء العرب وسائر الاتحادات الصحية والطبية (الصيادلة، أطباء الأسنان، التمريض... إلخ).

(٤/٦) مكتب تنسيق التعريب، الرباط.

(٤/٧) مجامع اللغة العربية في الأقطار العربية.

(٤/٨) المركز العربي للتعريب والتأليف والترجمة والنشر، دمشق.

ثانيًا: متطلبات عملية التعريب بالتفصيل:

١ – تهيئة المدرس:

– العمل على تعزيز اقتناع هيئات التدريس بمزايا التعريب للطلاب والمرضى والصحة العمومية.

– تنظيم زيارات يقوم بها السادة العمداء والأساتذة المعنيون إلى كليات الطب التي تدرس باللغة العربية (خصوصًا في الجمهورية العربية السورية).

– إقامة ندوات دورية لتبادل الخبرات والمعلومات.

– تهيئة العدد الكافي من الأساتذة العرب على التدريس باللغة العربية.

– تشكيل مجموعة عمل من المنظمة والجامعات مهمتها زيارة كليات الطب ومتابعة مسيرة التعريب معها.

- تشجع مراكز تطوير التعليم الصحي والطبي للقيام بإعداد المدرسين « EDC ».
- تبادل خبرات المدرسين بين الجامعات.
- تشجيع المدرسين على الترجمة والتأليف والنشر، وفي هذا المجال دعت منظمة الصحة العالمية مجموعات عمل من أساتذة كليات الطب المتخصصين لتأليف الكتب التالية:

(١/١) كتاب منهجي في الطب الشرعي والسموميات.

(١/٢) كتاب منهجي في طب المجتمع والصحة العامة.

(١/٣) كتاب منهجي في التغذية.

(١/٤) كتاب منهجي في الطب النفسي لا يزال العمل جاريًا فيه.

كما دعمت المنظمة المركز العربي للوثائق والمطبوعات « أكمل » في ترجمة وطبع العديد من الكتب الطبية، التي من أهمها:

- الموجز الإرشادي عن الممارسة الطبية العامة « هاريس ».
- أمراض العين.
- الموجز الإرشادي عن أمراض العظام والكسور.
- دليل طريقة التصوير الشعاعي.

وغيرها من الكتب التي تصلح للتدريس لطلبة الطب.

٢ - توفير المصطلح الطبي الموحد:

الإسراع بإصدار الطبعة الرابعة من المعجم الطبي الموحد.

- تعمل المنظمة على إغناء الطبعة الرابعة؛ وينتظر أن يبلغ محتوى هذه الطبعة أكثر من مائة وخمسين ألف مصطلح طبي باللغات العربية والإنجليزية بدلًا من خمسة وعشرين ألف مصطلح تشملها الطبعة الثالثة. ولقد تم حتى الآن إنجاز أكثر من مائة ألف مصطلح.
- كما تم إصدار معجم لمصطلحات طب العين وأمراضها باللغتين العربية والإنجليزية.
- كما صدر كذلك معجم الوراثيات والعلوم البيولوجية والجزيئية.

٣ - توفير الكتب العربية المنهجية والمرجعية:

- ولقد قام المكتب الإقليمي بشراء مجموعات كثيرة من الكتب المنهجية والمرجعية

وزود بها مختلف كليات الطب في البلدان العربية.

– التأليف.

٤ – إعداد الوسائل التعليمية:

– إجراء حصر لما هو متاح من هذه الوسائل التعليمية في المؤسسات المحلية والعالمية، وتيسير تبادل ما يتوافر منها لدى الكليات المختلفة.

– دعم مراكز تطوير مناهج التعليم الطبي في الإقليم وتنشيطها وتيسير الاستفادة منها لكليات الطب الراغبة في ذلك.

– تحديد المؤسسات غير الحكومية المعنية بإنتاج وتوزيع الوسائل التعليمية والعمل على التعاون معها فى إنتاج هذه الوسائل باللغة العربية.

٥ – توفير الدوريات العلمية باللغة العربية:

(٥/١) إصدار مجلة أو أكثر لنشر ما تنشره الدوريات الأجنبية من مقالات وبحوث، ولملاحقة التطورات العلمية المستمرة في العالم.

(٥/٢) تشجيع التعاون، في هذا المجال، بين المنظمة والمؤسسات العلمية العربية مثل:

– اتحاد الجامعات العربية.

– المركز العربي للوثائق والمطبوعات.

– المجلس العربي للاختصاصات الطبية.

(٥/٣) ضرورة توفير المجلات العلمية الأجنبية أيضًا للرجوع إليها عند الحاجة.

٦ – وضع مناهج خاصة لتعليم اللغة الإنجليزية أو الفرنسية للطلاب:

ونظرًا لأهمية النهوض بمستوى معرفة اللغات ينبغي:

– الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية في مرحلة ما قبل التعليم الجامعي وأثناء الدراسة الجامعية.

– العناية بالنهوض بالمستوى العام للمعرفة باللغة الإنجليزية وغيرها، وذلك إلى جانب الاهتمام باللغة العلمية.

– لا بد من التشديد على الاهتمام بمعرفة اللغات الأجنبية، مع الاهتمام بالنهوض كذلك بمستوى اللغة العربية.

ثالثًا: الخطة التنفيذية لتطبيق التعريب الكامل:

في ضوء ما تقدم، اعتمد المؤتمر الخطة الآتية خلال العقد الحالي على مراحل تدريجية (حسب إمكانيات الكليات المختلفة) بحيث يجري التدريس باللغة العربية بصورة كاملة بحلول سنة ألفين.

وتنقسم الخطة التنفيذية إلى:

١ - الجوانب العامة.

٢ - جوانب تخص كليات الطب.

٣ - عوامل مساعدة ضرورية.

١ - الجوانب العامة:

(١/١) الالتزام بالقرارات الصادرة عن مجلس وزراء الصحة العرب، على أن تقوم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بإبلاغ هذه القرارات إلى وزارات التعليم العالي والجهات المعنية بالتربية والتعليم عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(٢/١) تعزيز مسيرة التعريب وفقًا لعمل جماعي تساهم فيه جميع كليات الطب وكافة السلطات التعليمية والصحية المعنية.

(٣/١) العمل على أن يمثل عقد التسعينيات مرحلة التحول في الأوضاع الراهنة التي فرضها الاستعمار الثقافي على الأمة العربية إلى عصر جديد تعتمد فيه الدول العربية على ثقافتها وحضارتها.

(٤/١) تشكيل لجنة دائمة لمتابعة التعريب.

(٥/١) ضمانًا لتوفير الدعم المالي، يتعين إنشاء صندوق عربي لتمويل الخطة التنفيذية للتعريب.

٢ - جوانب تخص كليات الطب:

(٢/ ١) ما يخص الدراسة:

(١/١/٢) البدء بالتعريب حسب الإمكانيات دون تأجيل على أن تكون بخطوات متدرجة تبدأ بالسنة الأولى في الدراسة وتتدرج بعد ذلك عامًا بعد عام.

(٢/١/٢) يسمح بالتعريب الفوري للمواد التي يرغب أساتذتها في ذلك. على أن تعد أسئلة امتحانات المواد التي لم تعرب باللغتين العربية والأجنبية وتترك للطلاب حرية الإجابة باللغة التي يختارونها.

(٣/١/٢) يطلب من طلاب الدراسات العليا تقديم ملخصات عربية وافية للرسائل المعدة أصلًا بلغة أجنبية، ويشجعون على تقديم ترجمات كاملة بالعربية.

(٤/١/٢) يتعين الاهتمام بالنهوض بمستوى التمكن من اللغة العربية ومن لغة أجنبية أخرى.

(٥/١/٢) التوسع في استخدام اللغة العربية في كافة أعمال الكليات الإدارية والتنظيمية.

(٦/١/٢) يتعين الاهتمام بدور الطلاب في مسيرة التعريب (يمكن اشتراكهم في ندوات وزيارات وأنشطة أخرى تعزز المسيرة).

(٧/١/٢) من المفيد أن تنشأ في كل كلية طبية لجنة أو مكتب لمتابعة مسيرة التعريب وتذليل ما يصادفها من صعوبات.

(٢/٢) ما يخص إعداد المدارس:

(١/٢/٢) يشجع الأساتذة على المحاضرة والترجمة والتأليف باللغة العربية مع توفير حوافز مادية وأدبية لكل إنجاز مثلًا:

- تقوم المنظمة بشراء عدد من الكتب الطبية المترجمة والمؤلفة تشجيعًا للمترجم أو المؤلف، وتقوم بتوزيعها مجانًا على كليات الطب.

- فتحت المنظمة حسابًا خاصًا لأغراض التعريب تودع فيه التبرعات وينفق منه على منح الجوائز للأعمال المتميزة في مجال التعريب.

(٢/٢/٢) تعد مناهج تدريبية مدروسة لتهيئة المدرسين؛ مثلًا: برنامج الزيارات إلى الجمهورية العربية السورية.

(٣/٢/٢) يطلب من جميع الأساتذة أن يقدموا ملخصًا وافيًا بالعربية لبحوثهم (التي تنشر بغير العربية).

(٤/٢/٢) تبادل الزيارات بين أعضاء هيئات التدريس في الكليات المختلفة.

(٣/٢) العوامل المساعدة الضرورية:

(١/٣/٢) العناية بترجمة « مختصرات » المقالات التي تنشرها المجلات الطبية العالمية.

(٢/٣/٢) الاتفاق مع بعض الناشرين العالميين على إصدار ترجمات عربية لدورياتهم.

(٣/٣/٢) متابعة المصطلحات العلمية الجديدة التي تظهر في عالم الطب وإيجاد المقابلات العربية.

(٤/٣/٢) تشجيع كل الجمعيات والمنظمات الطبية العامة والاختصاصية على اجتماعات دورية يحضرها المختصون العرب، ويدعى إليها مختصون أجانب، لبحث التطورات العلمية الحديثة.

(٥/٣/٢) تنظيم اجتماعات دورية لأساتذة كليات الطب وعمدائها لمناقشة أمور التعريب.

(٦/٣/٢) الاهتمام بتوفير المراجع والمجلات والدوريات الأجنبية جنبًا إلى جنب مع المراجع العربية.

(٧/٣/٢) تنشيط فعاليات المنظمات والمراكز العاملة في حقل التعريب بهدف التآزر والتنسيق.

رابعًا: المنهج الزمني لتطبيق الخطة التنفيذية:

١ - متطلبات أساسية ذات أولوية:

(١/١) تعزيز الاقتناع بين سلطات التعليم والخدمات الصحية، وبصفة خاصة السادة العمداء وأعضاء هيئة التدريس بضرورة البدء اعتمادًا على الإمكانيات المتاحة ودفع المسيرة بالتدريج خلال عقد التعريب (١٩٩٠ - ١٩٩٩م).

(٢/١) تشكيل هيئة « متابعة التعريب » التي تتولى توجيه وتنسيق المسيرة.

(٣/١) إعداد ميزانية « سنوية » لتمويل تكاليف التعريب.

٢ - مراحل التعريب:

(**١/٢**) **المرحلة الأولى**: يقترح أن تستغرق (٣) سنوات، ويرجى أن يتم خلالها:

(١/١/٢) اتخاذ الخطوات التنفيذية لتعزيز فعالية « المركز العربي للوثائق والمطبوعات

الصحية « أكمل » في الكويت والمركز العربي للتعريب والتأليف والترجمة والنشر في دمشق. وتمكينهما من أداء مهمتهما.

(٢/١/٢) تنشيط أعمال الهيئات المعنية بالتعريب، ولا سيما إصدار المعاجم وإعداد الوسائل التعليمية ونشر المجلات الطبية... إلخ.

(٣/١/٢) إعداد الكتب الدراسية: إذ ينبغي الاهتمام بالتأليف أكثر من الترجمة والتركيز على إصدار المراجع المتعلقة بالعلوم الأساسية التي سيبدأ بها التعريب.

(٤/١/٢) يبدأ التعريب في الكليات على النحو الآتي:

- البدء بتدريس علوم السنتين الأولى والثانية في هذه المرحلة.

- تشجيع الأساتذة على الشرح والمناقشة باللغة العربية أثناء التدريس العلمي والسريري وكذلك في الاجتماعات العلمية.

- تبدأ الكليات بتوزيع ترجمة عربية لأسئلة الامتحانات وتترك للطلاب حرية اختيار لغة الإجابة.

- يطلب من طلاب الدراسات العليا تقديم ترجمات عربية وافية لرسائلهم.

- يطلب من كل الأساتذة إضافة ترجمات عربية وافية لبحوثهم ومنشوراتهم.

(٥/١/٢) يساعد المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية في تنظيم:

- دورات تدريبية لتهيئة المدرسين (زيارات إلى الجامعات السورية وغيرها من الجامعات التي تدرس الطب باللغة العربية).

- زيارات متبادلة بين أساتذة كليات الطب التي تدرس باللغة العربية.

- توفير معلومات عن المراجع الطبية المتاحة باللغة العربية.

(٦/١/٢) يبدأ تخصيص جوائز سنوية للأعمال المتميزة في مجال التعريب.

(**٢/٢**) **المرحلة الثانية (الانتقالية)**: يقترح أن تمتد عامين، يتم خلالها:

(١/٢/٢) تعزيز وتعميق الجهود والخطوات التي بدأت في المرحلة الأولى.

(٢/٢/٢) ترجمة أو تأليف كتب مراحل الدراسة الطبية المتقدمة (للسنوات: الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة)؛ من قِبَل:

- مركز الوثائق والمطبوعات الصحية.
- منظمة الصحة العالمية.
- المركز العربي للتعريب والتأليف والترجمة والنشر.
- المجامع اللغوية والجامعات.
- كليات الطب المختلفة.

(٣/٢/٢) يستمر إعداد المعاجم الطبية المفصلة والمختصة.

(٤/٢/٢) تنشيط المناهج الدراسية الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية والنهوض بمستوى اللغة العربية.

(٣/٢) المرحلة الثالثة (مرحلة التنفيذ الكامل): وتمتد من عام (١٩٩٥ - ١٩٩٩م) وتشمل:

(١/٣/٢) تكملة « مسيرة التعريب » في الكليات التي بدأت فيها بخطوات متباينة.

(٢/٣/٢) تبدأ كليات الطب التي لم تحرز تقدمًا ملموسًا في مسيرة التعريب بنظام « التعريب على مراحل سنوية متصاعدة »:

- مرحلة تعريب السنة الأولى (١٩٩٥م).
- مرحلة تعريب السنة الثانية (١٩٩٦م).
- مرحلة تعريب السنة الثالثة (١٩٩٧م).
- مرحلة تعريب السنة الرابعة (١٩٩٨م).
- مرحلة تعريب السنة الخامسة (١٩٩٩م).

على أن يكتمل التعريب في نهاية العقد المتفق عليه.

(٣/٣/٢) توضع أسئلة كل الامتحانات ويجاب عليها باللغة العربية.

(٤/٣/٢) تستمر كل الخطوات التي بدأت في المرحلتين السابقتين وتعزز في ثلاثة مجالات:

- تبادل الزيارات والخبرات.
- تعليم اللغات الأجنبية المكثفة للطلبة.

- والنهوض بمستوى اللغة العربية.

(٥/٣/٢) يبدأ المكتب الإقليمي للمنظمة الاتصال بالناشرين لإصدار تراجم عربية لدورياتهم.

(٦/٣/٢) تنشأ هيئة لمتابعة وملاحقة المصطلحات العلمية الجديدة وإيجاد الترجمات المناسبة لها.

تواصِل المراكز والمؤسسات المعنية تأليف وترجمة ونشر المقالات والدراسات والبحوث التي تظهر في المجلات العالمية.

اكتمال تعريب التعليم الصحي والطبي.

* * *
* *
*

الملحق (٢)

مشروع هيكلة (*)

شبكة تعريب العلوم الصحية

(هيئة عليا إقليمية - فروع قطرية - لجان جامعية)

١ - الهيئة العليا:

(١/١) تكوينها:

- الرئيس.
- نائب الرئيس.

* أعضاء معينون بحسب صفاتهم:
* الأمين العام لمجلس وزراء الصحة العرب.
* الأمين العام لمجلس وزراء التعليم العالي العرب.
* رئيس المجلس العربي للاختصاصات الطبية.
* رئيس اتحاد الأطباء العرب.
* رئيس اتحاد الجامعات العربية.
* رئيس اتحاد مجامع اللغة العربية.
* رؤساء مجامع اللغة العربية (سوريا - مصر - الأردن - فلسطين - العراق - ليبيا - الجزائر - السودان... ويلحق رئيس كل مجمع للغة العربية تم استحداثه في أي قطر لم يستحدث فيه بعد).
* الأمين العام لمركز تعريب العلوم الصحية بالكويت.
* مدير المركز العربي للتعريب والتأليف والترجمة والنشر بدمشق.
* مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

(*) قدم بتاريخ (٢٠٠٨/٦/٢٤م) عملًا بالتوصية الصادرة عن المؤتمر السادس للشبكة المقام بدمشق أيام (٨ - ٢٠٠٨/٦/١٠م).

* رئيس الهيئة العليا للتعريب بالسودان.

* أعضاء معينون بحسب فاعليتهم:

* رؤساء اللجان الإقليمية في الأقطار العربية.

* رئيس الجمعية المصرية لتعريب العلوم.

* خبراء لغويون ومصطلحيون.

* علماء متخصصون.

(٢/١) وظيفتها:

– تحيين الخطة التنفيذية لتعريب التعليم الصحي والطبي الصادرة عن مجلس وزراء الصحة العرب سنة (١٩٩٠م)، **والتي تتضمن:**

(١/٢/١) استعراض الحالة الراهنة.

(٢/٢/١) متطلبات عملية التعريب بالتفصيل.

(٣/٢/١) الخطة التنفيذية لتطبيق التعريب الكامل.

(٤/٢/١) المنهج الزمني لتطبيق الخطة التنفيذية.

(٥/٢/١) اكتمال تعريب التعليم الصحي والطبي في كل كليات الوطن العربي بحلول عام ألفين.

– التتبع الدقيق لتنفيذ الخطة في الأقطار العربية.

– التنسيق بين كل الجهات المعنية بتعريب العلوم الصحية والطبية، وتوزيع المهام فيما بينها.

– العمل على توفير الدعم اللازم لتنفيذ الخطة ومستلزماتها.

– تلقي التقارير من الفروع القطرية ودراستها.

– عقد المؤتمر العام للشبكة كل ثلاث سنوات لتقويم تنفيذ الخطة وتحديد آفاق العمل.

٢ – **الفروع القطرية:**

(١/٢) تكوينها:

– يستحدث فرع للشبكة في كل قطر عربي يكون فيه لمنظمة الصحة العالمية مكتب يمثلها، ويكون مقر هذه الفروع في هذه المكاتب.

يتألف كل فرع من الفروع القطرية من عمداء كليات الطب والصيدلة، ومن في حكمهم، ومن رؤساء اللجان الجامعية، ومن بعض الأساتذة الفاعلين.

(٢/٢) وظيفتها:

تقوم الفروع بـ:

(١/٢/٢) السهر قطريًّا على تنفيذ ما حُيِّنَ من الخطة الشاملة لتطبيق تعريب التعليم الصحي والطبي الصادرة عن مجلس وزراء الصحة العرب سنة (١٩٩٠م).

(٢/٢/٢) رفع تقرير سنوي عن سير حركة التعريب في القطر إلى الهيئة العليا.

(٣/٢/٢) عقد مؤتمر قطري سنوي لدعم تنفيذ خطة التعريب وبحث سبل التغلب على العوائق وتطوير آليات العمل.

٣ - اللجان الجامعية:

(١/٣) تكوينها:

تستحدث لجنة جامعية في كل كلية من كليات الطب والصيدلة والمعاهد الصحية في كل قطر من الأقطار العربية.

تتألف كل لجنة من اللجان الجامعية من رؤساء الأقسام في الكليات والمعاهد، ومن بعض الأساتذة الفاعلين وطلاب الدراسات العليا النابهين.

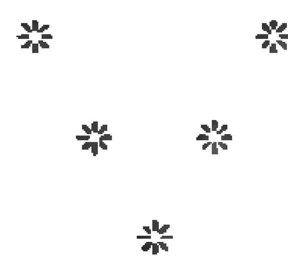
(٢/٣) وظيفتها:

- تقوم اللجان الإقليمية بـ:

(١/٢/٣) السهر جامعيًّا على تنفيذ ما حُيِّنَ من الخطة الشاملة لتطبيق تعريب التعليم الصحي والطبي الصادرة عن مجلس وزراء الصحة العرب سنة (١٩٩٠م).

(٢/٢/٣) رفع تقرير سنوي عن سير التعريب في كل كلية من كليات الطب ومعاهده في القطر إلى الفرع.

(٣/٣/٣) المشاركة بفعالية في مؤتمر الفرع القطري السنوي.



الملحق (٣)
منهج الدراسة المصطلحية [1]

للمنهج في الدراسة المصطلحية مفهومان: عام وخاص. فالمنهج بالمفهوم العام، هو طريقة البحث المهيمنة المؤطرة للمجهود البحثي المصطلحي كله، القائمة على رؤية معينة في التحليل والتعليل والهدف. وهذا الذي يوصف بالوصفي أو التاريخي أو ما أشبه، تمييزًا له عن غيره. والمنهج بالمفهوم الخاص، هو طريقة البحث المفصلة المطبقة على كل مصطلح من المصطلحات المدروسة، في إطار منهج من مناهج الدراسة المصطلحية بالمفهوم العام. **وهذا الذي يمكن تلخيص معالمه الكبرى بإيجاز شديد منذ الشروع فيه حتى الفراغ منه في خمسه أركان:**

١ - **الإحصاء:**

يقصد بالإحصاء الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس، وما يتصل به، لفظًا ومفهومًا وقضية، في المتن المدروس، **وذلك يعني:**

---

(١) من كتاب: « علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية » (ص ٣٢٦ - ٣٣١) وفيه في (ص ٣٣١):
نقل الشق النظري لهذه الدراسة لفظًا ومضمونًا عن:
« نظرات في منهج الدراسة المصطلحية ومدى اهتمام إمام الحرمين به في كتابه الكافية » للدكتور الشاهد البوشيخي ضمن وقائع الندوة الدولية التي نظمتها كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر بالدوحة في موضوع: « الذكرى الألفية لإمام الحرمين الجويني (٤١٩هـ - ٤٧٨هـ) ». (انظر أيضًا: نظرات في المصطلح والمنهج، الدكتور الشاهد البوشيخي، سلسلة: دراسات مصطلحية، العدد (٢) (ط ٢)، مطبعة آنفو - برانت، فاس، ٢٠٠٣م).
وأما الأمثلة فقد تم تخصيصها في المصطلح الصحي التراثي، وهي مستوحاة من القانون لابن سينا، (نقلًا عن: المصطلح الطبي من خلال القانون لابن سينا، محمد بوحمدي، مجلة اللسان العربي، العدد (٤٣)، مكتب تنسيق التعريب، الرباط (١٩٩٧م)) والغاية من ذلك تقريب الفكرة وتبسيطها لا تطبيق المنهج حسب الأصول العلمية.
وللإشارة، فإن منهج الدراسة المصطلحية المحددة ملامحه أعلاه هو المنهج المعتمد في معهد الدراسات المصطلحية التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس المغرب، وبه أُنجزت - وتُنجز - عدة أبحاث لنيل شهادة الدكتوراه بإشراف مدير المعهد الدكتور الشاهد البوشيخي.

(١/١) إحصاء لفظ المصطلح إحصاء تامًّا، حيثما ورد، وكيفما ورد، وبأي معنى ورد، في المتن المدروس، ما دام قدر من الإصلاحية - داخل مجاله العلمي الخاص - ملحوظًا فيه: فالمصطلح مفردًا أو مجموعًا، معرفًا أو منكرًا، اسمًا أو فعلًا، مضمومًا إلى غيره أو مضمومًا إليه غيره، كل ذلك ضروري المراعاة عند الإحصاء. ومثاله إحصاء المصطلح الصحي « الرمد » في كل مواقع وروده في مصنف القانون، مثلًا، لابن سينا، وفي جل مقولاته النحوية وصيغه الصرفية وبناءاته التركيبية التي ورد بها.

(٢/١) إحصاء الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من جذره اللغوي والمفهومي إحصاء تامًّا كذلك، على التفصيل نفسه. ومثاله في سياق دراسة مصطلح « الرمد » عند ابن سينا: اللفظان الاصطلاحيان المشتقان من جذر « الرمد » (ر. م. د) وهما « الرمدي » و « الرميدة ». فالرمد التهاب في الملتحمة، والرمدي طبيب العيون، والرميدة العين المصابة بالرمد (١).

(٣/١) إحصاء التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح أو بعضه دون لفظه، إحصاء تامًّا كذلك. وذلك نحو ورود مفهوم مصطلح « الرمد » دون لفظه في سياق تعريف ابن سينا لمصطلح العشاء: « أن يتعطل البصر ليلًا، ويبصر نهارًا، أو يضعف في آخره وسببه كثرة رطوبات العين وغلظها وورم في الملتحمة ورطوبة الروح الباصر وغلظه » (٢)، فقوله: « الملتحمة » مفهوم مصطلح « الرمد » (٣).

(٤/١) إحصاء القضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه، وإن لم يرد بها لفظه. ونحوه في دراسة مصطلح « الرمد » وضع القضايا العلمية التي تندرج تحت مفاهيم، مثل: « الورم » و « الملتحمة » و « التكدر » و « الانتشار » وما له علاقة بأسباب الداء وأعراضه وعلاجه (٤).

فإذا استخلصت النصوص، وصنفت، حسب حاجة الدراسة، التصنيف الأَوَّلي، أمكن الانتقال إلى الركن الثاني، وهو الدراسة المعجمية:

٢ - الدراسة المعجمية:

ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية دراسة تبتدئ من أقدمها مسجلة

---

(١) نفسه (ص ١٢٦).
(٢) نفسه (ص ١٢٧).
(٣) نفسه (ص ١٢٨).
(٤) نفسه (ص ١٢٥ - ١٢٩).

أهم ما فيه، وتنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف، دراسة تضع نصب عينيها علام مدار المادة اللغوية للمصطلح؟ ومن أي المعاني اللغوية أُخذ المصطلح؟ وبأي الشروح شرح المصطلح؟ وذلك لتمهيد الطريق إلى فقه المصطلح وتذوقه، وليسهل تصحيح الأخطاء التي قد يكون جلبها الإحصاء.

ومثاله ما جاء في « المصطلح الطبي من خلال القانون لابن سينا » [١] من تدقيق لمصطلح « قرانيطس »: « ذكره ابن سينا في معرض حديثه عن أن أسباب الحول، وهو علة دماغية شبيهة جدًّا بالمينانجيت « التهاب السحايا » قرانيطس يقابله باليونانية « fhrenitis » وكانت ترجمته العربية أولًا « فرانطيس »، ثم أصابه تصحيف في كتابات الأطباء العرب، بمن فيهم ابن سينا، فصار قرانيطس، وعندما ترجم القانون إلى اللاتينية أصابه تصحيف ثان؛ إذ استبدلت النون بالباء في الترجمة اللاتينية فصار « Karabitus ». ومقابل « Phrenitis » بالفارسية « برسام » ومعناه التهاب الصدر (بر: الصدر، سام: التهاب). وبرسام بالعربية ذات الجنب. فحدث خلط وتداخل بين « برسام » وسرسام وهو ورم يحدث في الدماغ » [٢].

٣ - الدراسة النصية:

ويقصد بها دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه؛ من صفات وعلاقات، وضمائم، وغير ذلك.

وهذا الركن هو عمود منهج الدراسة المصطلحية: ما قبله يُمَهِّد له، وما بعده يُسْتَمدُّ منه؛ إذا أُحْسِنَ فيه بوركت النتائج وزكت الثمار، وإذا أسيء فيه لم تُفْضِ الدراسة إلى شيء يذكر. ومدار الإحسان فيه على الفهم السليم العميق للمصطلح في كل نص، والاستنباط الصحيح الدقيق لكل ما يمكن استنباطه مما يتعلق بالمصطلح في كل نص. فالنصوص ها هنا المادة الخام التي يجب أن « تعالج » داخل مختبر التحليلات بكل الأدوات والإمكانات، لتُقَطَّر منها المعلومات المصطلحية تقطيرًا، وتستخرج استخراجًا؛ فمعطيات الإحصاء، ومعطيات المعاجم، ومعطيات تحليل الخطاب المقالية والمقامية معًا،

(١) للدكتور محمد بوحمدي بمجلة اللسان العربي. ومنه الأمثلة كلها كما تقدم.

(٢) نفسه (ص ١٢٧، ١٢٨).

ومعطيات المعارف داخل التخصص وخارجه، ومعطيات المنهج الخاص والعام، النظري والعملي... كل أولئك ضروري المراعاة عند التفهم، وكل ذلك مما به يُتَمَكّن من المفهوم وما يُجلّي المفهوم.

(٤/١) الدراسة المفهومية:

ويقصد بها دراسة النتائج التي فُهمت واستُخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفا مفهوميًا يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس؛ **من:**

- **تعريف** له يحدده بتضمنه كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم.

- **وصفات** له تخصه؛ كالتصنيف في الجهاز، والموقع في النسق، والضيق أو الاتساع في المحتوى، والقوة أو الضعف في الاصطلاحية، والنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب.

- **وعلاقات** له تربطه بغيره؛ كالمرادفات والأضداد وما إليها، والأصول والفروع وما إليها...

- **وضمائم** إليه تكثِّر نسله وتحدد توجهات نموه الداخلي، كضمائم الإضافات والأوصاف...

- **ومشتقات** حوله من مادته تحمي ظهره، وتبين امتدادات نموه الخارجي.

- **وقضايا** ترتبط به أو يرتبط بها مما لا يمكن التمكن منه إلا بعد التمكن منها؛ كالأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير... وغير ذلك مما قد يستلزمه تفهم مفهوم، ولا يستلزمه تفهم آخر.

٥ - العرض المصطلحي:

ويقصد به الكيفية التي ينبغي أن تُعْرَض وتحرَّر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها. وهو الركن الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره. وجماع القول فيه حسب ما انتهت إليه التجربة أن يكون متضمنًا للعناصر الكبرى التالية على الترتيب:

(١/٥) التعريف:

ويتضمن:

- **المعنى اللغوي**، ولا سيما الذي يترجَّح أن منه أُخِذَ المعنى الاصطلاحي.

– **المعنى الاصطلاحي العام في الاختصاص**، ولا سيما الأقرب إلى مفهوم المصطلح المدروس.

– **مفهوم المصطلح المدروس** مُعَبَّرًا عنه بأدق لفظٍ وأوضح لفظٍ، وأجمع لفظٍ، ما أمكن.

وشرطه المطابقة للمصطلح، وضابطه أنه لو وضعت عبارة التعريف مكان المصطلح المعرَّف في الكلام لانسجم الكلام. وإنما ينضبط ذلك إذا راعى الدارس في تعريف المفهوم كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم، المستفادة من جميع نصوص المصطلح وما يتعلق به في المتن المدروس؛ فلا تبقى خاصة دون إظهار، ولا ميزة دون اعتبار.

وللتأكد من صحة التعريف وزيادة بيانه، يحلل بالتفصيل المناسب إلى كل عناصره. ومع كل مقال مثال، وإنما يتضح المقال بالمثال.

فإذا تم التعريف، وهو اللب والنواة، بدأ الحديث عن الصفات وهي اللحمة والكسوة:

(٢/٥) الصفات:

وتتضمن:

– **الصفات المصنفة**: وهي الخصائص التي تحدد طبيعة وجود المصطلح في الجهاز المصطلحي موضوع الدراسة، كالوظيفة التي يؤديها والموقع الذي يحتله وغير ذلك.

– **الصفات المبيِّنة**: وهي الخصائص التي تحدد درجة الاتساع أو الضيق في محتوى المصطلح، ومدى القوة أو الضعف في اصطلاحية المصطلح وغير ذلك.

– **الصفات الحاكمة**: وهي الصفات التي تفيد حكمًا على المصطلح؛ كالنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب وغير ذلك.

فإذا تمت الصفات الخاصة بالذات، بدأ الحديث عن العلاقات بغير الذات، مما يأتلف مع المصطلح ضربًا من الائتلاف، أو يختلف معه ضربًا من الاختلاف:

(٣/٥) العلاقات:

وتتضمن كل علاقة للمصطلح المدروس، بغيره من المصطلحات، **ولا سيما العلاقات الثلاث:**

- **علاقات الائتلاف**؛ كالترادف والتعاطف وغيرها.

- **علاقات الاختلاف**؛ كالتضاد والتخالف وغيرها.

- **علاقات التداخل والتكامل**؛ كالعموم والخصوص، والأصل والفرع وغيرها.

فإذا ضبطت العلاقات الواصلة للمصطلح بسواه، والفاصلة له عن سواه، أمكن الانتقال إلى ما ضم إلى المصطلح، أو ضم إليه المصطلح؛ مما يكثر نسله المصطلحي، ويحدد توجهات نموه الداخلي:

(٤/٥) الضمائم:

وتتضمن كل مركب مصطلحي (ضميمة) مكون من لفظ المصطلح المدروس، مضمومًا إلى غيره، أو مضمومًا إليه غيره، لتفيد الضميمة المركب في النهاية مفهومًا جديدًا خاصًّا مقيدًا ضمن المفهوم العام المطلق، للمصطلح المدروس. فكأن المصطلح بضمائمه ينمو ويتشعب مفهوميًّا من داخله. **وأبرز أشكال الضمائم:**

- **ضمائم الإضافة**؛ سواء أضيف المصطلح إلى غيره، أو أضيف غيره إليه.

- **ضمائم الوصف**؛ وقد يكون فيها المصطلح واصفًا أو موصوفًا.

فإذا انتهت الضمائم أمكن الانتقال إلى المشتقات:

(٥/٥) المشتقات:

وتتضمن كل لفظ اصطلاحي ينتمي لغويًّا ومفهوميًّا إلى الجذر الذي ينتمي إليه المصطلح المدروس... والمصطلح بمشتقاته من حوله، كأنما ينمو ويمتد مفهوميًّا من خارجه، وأشكال المشتقات وصورها مشهورة في باب الصرف.

فإذا فرغ من المشتقات بدئ وختم بالقضايا:

(٦/٥) القضايا:

وتضمن كل المسائل المستفادة من نصوص المصطلح المدروس وما يتصل به، المرتبطة بالمصطلح أو المرتبط بها المصطلح؛ مما لا يمكن التمكن من مفهومه حق التمكن. إلا بعد التمكن منها حق التمكن. وهي متعذرة الحصر لكثرة صورها وتنوعها من مصطلح إلى مصطلح. وأهميتها لا تكاد تقدر في التصور العام للأبعاد الموضوعية للمفهوم، ولا سيما في بعض العلوم.

ومن أصنافها - كما تقدم - « الأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير... ».

ويمكن أن تُستثمر خطوات الدراسة المفهومية والعرض المصطلحي في دراسة المصطلح الصحي « الرمد » مثلًا، المندرج في النسق المصطلحي لطب العيون وعرضه بما يتناسب معه منها، كما ورد في القانون استنادًا لدراسة « **المصطلح الطبي من خلال القانون لابن سينا** »، كما يلي:

- **التصنيف المفهومي**: يُمكن وضع مصطلح « الرمد » داخل سلسلة التصنيف المفهومي للمصطلحات التالية وفق الترتيب التالي: الورم - الملتحمة - الوَردِينج - البياض - الحدقة - العروق - الرمدي - الرميدة - الرَّمص - السَّبل - السَّفل - الظَّفرة - المرطوب - التكدر - التغميض.

- **التعريف**: « الرمد ورم في الملتحمة، فمنه ما هو ورم بسيط غير مجاوز للحد في درور العروق والسيلان والوجع، ومنه ما هو عظيم مجاوز في العِظَم، يربو فيه البياض على الحدقة فيغطيها ويمنع التغميض، ويسمى كِيموسيس، ويعرف عندنا بالورَدْينج » [(١)].

- **الصفات**: مثالها « المرطوب » وهي صفة لكثرة الرمد [(٢)].

- **العلاقات**: نحو:

أ - التشابه: « التكدر » شبيه الرمد، ويسمى « التخثر » و « الخثر » [(٣)].

ب - الفروع: « الرمد »... فمنه ما هو ورم بسيط غير مجاوز للحد في درور العروق والسيلان والوجع، ومنه ما هو عظيم مجاوز للحد في العِظَم، يربو فيه البياض على الحدقة فيغطيها ويمنع التغميض، ويسمى كِيموسيس، ويعرف عندنا بالوردينج » [(٤)].

- **الضمائم**: مثالها « علة الرمد » « الرَّمص »: « الوسخ الأبيض الذي يجتمع في موقع العين، ولا سيما في علة الرمد إذا نضج » [(٥)].

- **المشتقات**: ومنها « الرمدي: طبيب العيون » [(٦)]، و « الرميدة: العين المصابة بالرمد » [(٧)].

---

(١) نفسه (ص ١٢٦).
(٢) نفسه (ص ١٢٨).
(٣) نفسه.
(٤) نفسه (ص ١٢٦).
(٥) نفسه.
(٦، ٧) نفسه.

إن من شأن الإطار النظري العام لهذه الدراسة أن يُعَبِّد السبل أمام إنجاز دراسات مصطلحية تطبيقية، تُعمق تَمَكُّنَ الدارس من مادة الدراسة وآليات الوصف المصطلحي. ولا تختص بذلك طبيعة مادة مصطلحية دون غيرها ولا منظومة مصطلحية تراثية دون أخرى معاصرة، فكل العلوم والفنون عند كل الأمم والشعوب وفي جل الأمكنة والعصور قديمها وحديثها - حملت أسماء تُبِين عن مفاهيمها ومقاصدها.

* * *
* *



المَصَادِر وَالمرَاجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - بحث في الشابكة (الإنترنت) بعنوان المؤتمرات القومية والوطنية التي عقدت حتى الآن حول تعريب التعليم الطبي وتوصياتها وقراراتها، إعداد: خالد محيي الدين منيمنة، المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية - جمهورية مصر العربية.

٣ - الحيوان للجاحظ. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مطبعة مصطفى البابي الحلبي (ط ٢)، (١٩٦٥م)، القاهرة - مصر.

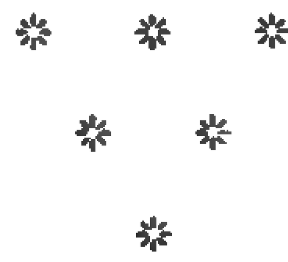
٤ - علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية - إشراف: أ. د. محمد هيثم الخياط، إسهام ومشاركة شبكة تعريب العلوم الصحية في المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، تحرير ومراجعة، معهد الدراسات المصطلحية، نشر أكاديميا - بيروت (٢٠٠٧م).

٥ - مجلة دراسات مصطلحية التي يصدرها معهد الدراسات المصطلحية، العدد الأول.

٦ - مجلة الهدى، فاس، العدد (٣٣).

٧ - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية. الشاهد البوشيخي. مطبعة آنفو - برانت. فاس (ط ١)، (٢٠٠٢م).

٨ - نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية الشاهد البوشيخي. مطبعة آنفو - برانت فاس (ط ١)، (٢٠٠٠م).



السيرة الذاتية للمؤلف

١ - معلومات عامة:

- الاسم : الشاهد بن محمد البوشيخي.
- تاريخ ومكان الازدياد: (١٩٤٥م)، بالحريشة، ناحية فاس.

المستوى العلمي: دكتوراة الدولة في الدراسة المصطلحية.

التخصص الدقيق: المصطلح النقدي والمصطلح القرآني.

التخصص العام: الدراسات الإسلامية والعربية.

الرتبة المهنية: أستاذ التعليم العالي.

- مؤسسة العمل (قبل المغادرة الطوعية): جامعة سيدي محمد بن عبد الله - كلية الآداب ظهر المهراز - فاس.
- مؤسسة العمل (بعد المغادرة الطوعية): مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، ومعهد الدراسات المصطلحية.

٢ - الشهادات العلمية:

جمع القرآن الكريم حفظًا ورسمًا (١٩٥٥م).

شهادة التعليم الثانوي من القرويين (١٩٦٣م).

شهادة الدروس العادية للمعلمين (١٩٦٥م).

شهادة الباكلوريا من التعليم الأصيل (تعليم القرويين) (١٩٦٥م).

شهادة الأدب من كلية الآداب بفاس (١٩٦٧م).

شهادة فقه اللغة من كلية الآداب بفاس (١٩٦٧م).

شهادة الحضارة الإسلامية من كلية الآداب بفاس (١٩٦٨م).

شهادة الكفاءة التربوية العليا من المدرسة العليا للأساتذة بفاس (١٩٦٨م).

شهادة استكمال الدروس في النقد الأدبي (١٩٧١م).

دبلوم الدراسات العليا في النقد الأدبي (الدراسة المصطلحية) (١٩٧٧م).

دكتوراة الدولة في النقد الأدبي (الدراسة المصطلحية) (١٩٩٠م)

٣ - الكتب المنشورة:

أ - في الدراسة المصطلحية:

- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ، نشر مرتين: الأولى بدار الآفاق ببيروت (١٩٨٢م)، والثانية بدار القلم بالقاهرة (١٩٩٥م).

- مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين قضايا ونماذج. نشريات القلم بباريس (١٩٩٣م).

- نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين. نشريات القلم بباريس (١٩٩٣م).

- دليل المصطلحات الفقهية (بالاشتراك). منشورات الإيسيسكو (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

- علم المصطلح وتطبيقاته في العلوم الصحية (إشراف ومراجعة). المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط. نشر أكاديميا. بيروت.

- مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية. (دراسات مصطلحية ١) فاس (ط١/٢٠٠٢).

- نظرات في المصطلح والمنهج. (دراسات مصطلحية ٢) فاس (ط١/٢٠٠٢).

- نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية. (دراسات مصطلحية ٣) فاس (ط١/٢٠٠٢).

- القرآن الكريم والدراسة المصطلحية. (دراسات مصطلحية ٤) فاس (ط١/٢٠٠٢).

- نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة. (دراسات مصطلحية ٥) فاس (ط١/٢٠٠٣).

- نظرات في قضية المصطلح العلمي في التراث. (دراسات مصطلحية ٦) فاس (ط١/٢٠٠٦).

- جهود معهد الدراسات المصطلحية في خدمة السنة المشرفة. (دراسات مصطلحية ٧) فاس (ط١/ ٢٠٠٩).

- مصطلح الأمة بين الإقامة والتقويم والاستقامة. (دراسات مصطلحية ٨) فاس (ط١/٢٠١٠).

- نظرات في تعريب العلوم الصحية وأهمية المصطلح الصحي في التراث. (دراسات مصطلحية ٩) فاس (ط١/٢٠١٠).

ب - في غير الدراسة المصطلحية:

- أعمال اليوم الدراسي عن مشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين إعداد وتقديم (ضمن سلسلة: من جهود العلماء في إصلاح التعليم بالمغرب) فاس (٢٠٠٠م).

- القرآن الكريم: طبيعته ووظيفته. (رسائل الهدى ١) فاس (٢٠٠٠م).

- القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية. (رسائل الهدى ٢) فاس (٢٠٠٠م).

- شروط الانتفاع بالقرآن الكريم. (رسائل الهدى ٣) فاس (٢٠٠١م).

- مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم. (رسائل الهدى ٤) فاس (٢٠٠٣م).

- المؤسسة التعليمية المغربية بين الواقع المشهود والموقع الشاهد. (رسائل الهدى ٥) فاس (٢٠٠٤م).

- القرآن والإنسان. (مكتبات هادفة. السلسلة القرآنية ٤) فاس (٢٠٠٩م).

- نظرات في المسألة النسائية في القرآن الكريم. (مكتبات هادفة. السلسلة القرآنية ٦) فاس (٢٠١٠م).

٤ - العضويات والمسؤوليات العلمية:

الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) منذ (٢٠٠٧م) حتى الآن.

مدير معهد الدراسات المصطلحية منذ تأسيسه سنة (١٩٩٣م) حتى (٢٠٠٦م).

مدير مجلة « دراسات مصطلحية » منذ تأسيسها سنة (٢٠٠١م) حتى الآن.

- رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها من (١٩٩٤/١٢) إلى (١٩٩٦/١٢م).

- رئيس وحدة مصطلحات القرآن والحديث وعلومهما بالدراسات العليا بجامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب ظهر المهراز (وحدة المعمقة ١٩٩٨/٩٧ - ٢٠٠٠/٩٩).

- رئيس وحدة القرآن والحديث وعلومهما بالدراسات العليا بجامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب ظهر المهراز. (وحدة الدكتوراه منذ ١٩٩٨م).

- رئيس لجنة المتابعة عن جمعيات العلماء بالمغرب المكلفة بإصلاح التعليم.

- نائب رئيس المجلس العلمي المحلي لجهة فاس بولمان.

- نائب رئيس المكتب الإقليمي في المغرب لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (٢٠٠٠م - ٢٠٠٥م).

- أمين من أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية (١٩٩٦م - ٢٠٠٠م).

- مستشار في مجلة « الأدب الإسلامي » العالمية (سابقًا).

- مستشار في مجلة « المشكاة » المغربية.

- مستشار في مجلة « آفاق أدبية » المغربية.

- مستشار في مجلة « مداد » (المركز الدولي للأبحاث والدراسات) بالسعودية.

- مستشار في مجلة « الأصول والنوازل » جدة. السعودية.

- محكم رسمي في مجلة « الإسلام في آسيا » بماليزيا.

- خبير محكم لدى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو).

- خبير محكم لدى المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن.

- خبير محكم لدى مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي (الأليكسو) بالرباط.

- خبير محكم لدى عدد من الجامعات المحلية والدولية في تقييم ما يرشح للنشر.

- عضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق.

- عضو اتحاد كتاب المغرب.

- عضو رابطة علماء المغرب (سابقًا).

- عضو مؤسس للجمعية المغربية للتراث.

- عضو الهيئة العلمية لجمعية ملتقى العلوم والمجتمع.

- عضو الهيئة الاستشارية لجائزة الإمام عبد الحميد بن باديس.
- عضو لجنة جائزة محمد السادس للفكر والدراسات الإسلامية.
- عضو شبكة تعريب العلوم الصحية التابعة لمنظمة الصحة العالمية - المكتب الإقليمي لشرق المتوسط بالقاهرة.
- عضو المجلس العلمي لمركز الأمير عبد المحسن ابن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية بالشارقة.
- عضو اللجنة العلمية بشعبة اللغة العربية (سابقًا).
- عضو مجلس الكلية (سابقًا).
- عضو اللجنة العلمية لكلية الآداب - ظهر المهراز فاس (سابقًا).
- مشرف على نحو ثلاثمائة رسالة جامعية (دكتوراه أو ماجستير).
- مشارك في عشرات المؤتمرات والندوات العلمية المحلية والدولية.
- ناشر لعديد من البحوث والمقالات في المجلات المحكمة المحلية والدولية.
- مخطط مشروع « المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية » والمشرف على إنجازه.
- مخطط مشروع « الجامع التاريخي لبيان القرآن الكريم » والمشرف على إنجازه.

* * *
*
*

رقم الإيداع

٢٠١١ / ١٤٦٥٩

الترقيم الدولي I.S.B.N

978 - 977 - 5059 - 67 - 3